جامعةُ النجاحِ الوطنيّة
كليّةُ الدّراساتِ العُليا

أُصولُ تَلقّي العِلْمِ وتَعْليمِهِ في ضَوْءِ السُنَّةِ النَّبَويَّةِ

(دِرَاسَةٌ مَوْضوعِيَّةٌ)

إعدادُ
عبد الرحمن محمد طرمان

إشراف
د. محمد راغب الجيطان

قُدّمتْ هذه الأطروحةُ استكمالًا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2019م

أُصولُ تلقّي العلمِ وتعليمِه في ضَوْءِ السُنَّةِ النَّبويَّةِ

(دراسةٌ موضوعيةٌ)

إعداد

عبد الرحمن محمد طرمان

نُوقشتْ هذه الأطروحةُ بتاريخ: 2019/9/19م، وأُجيزتْ.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
1. د. محمد راغب الجيطان / مشرفاً ورئيساً	.....
2. د. / ممتحناً خارجياً	.....
3. د. / ممتحناً داخلياً	.....

الإهداء

- إلى والديَّ العزيزين أطال الله في عُمرهما.

- إلى المربين في كلية الشريعة عامَّة، وإلى قسم أصول الدين خاصَّة حفظهم الله، وأدام عليهم الصحة والعافية.

- إلى إخواني وأخواتي وأبنائهم وفّقهم الله.

الشكر والتقدير

الشكر لله وحده الذي كان لي خير معين ونصير.

ثم أتوجّه بالشكر والتقدير إلى كلّ مَنْ مدَّ لي يدَ العون والمساعدة لإتمام هذه الدراسة، وأخصّ بالذكر أستاذي فضيلة الدكتور:

محمد راغب الجيطان، الذي بذل عظيم الجهد، لِتُبصر هذه الرسالة بنورِ علمِ حديثِ رسول الله ﷺ، فله مني كلُّ تقديرٍ ووفاء.

كما أتقدّم بعظيم الشكر والامتنان إلى عضوي لجنة المناقشة الدكتور خالد علوان، والدكتور عامر جود الله حفظهم الله، اللَّذين تفضلا بقَبول مناقشة هذه الرسالة، وإثرائها بتوجيهاتهم النيِّرة.

كما وأشكر أصدقائي الذين لم يتوانوا في تقديم الدَّعم والتَّوجيه لي علميَّاً، ومعنويَّاً، وأخصّ بالذكر الصديق محمد فقهاء.

الإقرار

أنا الموقع أدناه، مقدّم الرسالة التي تحمل العنوان:

أُصولُ تلقّي العلمِ وتعليمِه في ضَوْءِ السُنَّةِ النَّبويَّةِ (دراسةٌ موضوعيةٌ)

أقرّ بأنَّ ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نَتاج جُهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة كاملة، أو أي جزء منها لم يقدَّم من قبل لنيل أي درجة علمية، أو بحث علمي، أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية، أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

اسم الطالب: **Student's name**

التوقيع: **Signature:**

التاريخ: **Date:**

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	ج
الشكر والتقدير	د
الإقرار	هـ
فهرس المحتويات	و
الملخص	ط
مقدمة	1
أهمية الدراسة	2
مشكلة الدراسة	2
أهداف الدراسة	3
منهج الدراسة	3
الدراسات السابقة	4
خطة الدراسة	7
الفصل التمهيدي: مفهوم العلم في السُنَّة النبويَّة ومجالاته	9
المبحث الأول: مفهوم العلم في السُنَّة النبويَّة	10
المطلب الأول: العلم في اللغة	10
المطلب الثاني: العلم في الاصطلاح	12
المطلب الثالث: العلم في السُنَّة النبويَّة ومنزلته، وفضله	14
المبحث الثاني: مجالات العلوم في السُنَّة النبويَّة	25
المطلب الأول: علوم الدين وعلوم الدنيا في السُنَّة النبويَّة	25
المطلب الثاني: علوم الخير وعلوم الشر في السُنَّة النبويَّة	28
الفصل الأول: طرق تلقي العلم وطلبه، والصفات الأساسية لِمتلقيه، وأسس تَميُّز طالب العلم في السُنَّة النبويَّة	32
المبحث الأول: طرق تلقي العلم وطلبه في السُنَّة النبويَّة	33
المطلب الأول: مجالسة العلماء	33
المطلب الثاني: السفر والرحلة في طلب العلم والتعليم	37
المطلب الثالث: التعلم بالمراسلة	39

المطلب الرابع: التناوب في طلب العلم	44
المطلب الخامس: التوكيل في طلب العلم	46
المبحث الثاني: الصفات الأساسية لمتلقي العلم في السُنَّة النبويَّة	48
المطلب الأول: السؤال لطلب العلم	48
المطلب الثاني: الحرص على طلب العلم والاستزادة منه	52
المطلب الثالث: الدوام على مذاكرة العلم	55
المطلب الرابع: القدرة على النقد والنظر في اجتهاد العلماء	57
المبحث الثالث: أُسس تميّز طالب العلم في السُنَّة النبويَّة	62
المطلب الأول: ملازمة العلماء	62
المطلب الثاني: كتابة العلم	64
المطلب الثالث: التركيز على العلم النافع، ومتابعة تطوره	68
الفصل الثاني: تعليم العلم أسسه، ووسائله وأساليبه، وصفات العالم، وعمّن يتلقى العلم في السُنَّة النبويَّة	73
المبحث الأول: أُسس التعليم في السُنَّة النبويَّة	74
المطلب الأول: اختيار الوقت المناسب للتعليم	74
المطلب الثاني: العصف الذهني والحث على التفكير	77
المطلب الثالث: مراعاة الطاقة الاستيعابية –العقلية–للمتعلّمين	80
المطلب الرابع: مراعاة الفروق الفردية بين المتعلّمين	86
المطلب الخامس: التدرج في التعليم	90
المبحث الثاني: الأساليب والوسائل التعليمية في السُنَّة النبويَّة	94
المطلب الأول: تكرار الحديث	95
المطلب الثاني: أسلوب ضرب المثل	102
المطلب الثالث: طرح السؤال	113
المطلب الرابع: التعليم بالتطبيق العملي	119
المطلب الخامس: استخدام الوسائل التعليمية	125
المطلب السادس: التعليم بلغة الإشارة	129
المطلب السابع: أسلوب التعليم بالقصة في السُنَّة النبويَّة	135
المطلب الثامن: استخدام أسلوب الترغيب والترهيب في التعليم في السُنَّة النبويَّة	139
المطلب التاسع: منهج النبيﷺ في صناعة التفكير العلمي	147

المبحث الثالث: صفات العالم، وعمّن يتلقى العلم في السُنَّة النبويَّة	148
المطلب الأول: صفات العالم في السُنَّة النبويَّة	148
المطلب الثاني: عمّن يتلقى العلم	167
الفصل الثالث: محاذير في تلقي العلم وتعليمه في السُنَّة النبويَّة	177
المبحث الأول: محاذير في تلقي العلم في السُنَّة النبويَّة	178
المطلب الأول: الخجل	178
المطلب الثاني: النسيان	182
المطلب الثالث: عدم الإخلاص	184
المطلب الرابع: التكلّف في السؤال من غير حاجة	186
المبحث الثاني: محاذير في التعليم في السُنَّة النبويَّة	191
المطلب الأول: كتمان العلم	191
المطلب الثاني: القول بغير علم	194
المطلب الثالث: تعليم كل ما سمع من العلم	197
الخاتمة	200
النتائج والتوصيات	201
المصادر والمراجع	202
Abstract	B

أُصولُ تلقّي العلمِ وتعليمِه في ضَوْءِ السُنَّةِ النبويَّةِ

(دراسةٌ موضوعيةٌ)

إعداد

عبد الرحمن محمد طرمان

إشراف

د. محمد راغب الجيطان

الملخّص

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة منهج النبي ﷺ في تعليمه للصحابة رضوان الله عليهم، وغرس قواعد ومبادئ العلم والتعليم في نفوسهم، تقوم على المنهجين الاستقرائي والتحليلي في سبيل تحقيق ذلك.

وقد تكوّنت الدراسة من فصل تمهيدي، وثلاثة فصول، وخاتمة، حيث تحدَّد في الفصل التمهيدي مفهوم العلم ومجالاته، من حيث اللغة والاصطلاح، ونبذة عن العلم في السُنّة، ثم ذكر مجالات العلوم من حيث علوم الدين والدنيا، وعلوم الخير والشر.

ثم كان على إثره الفصل الأول الذي بيّنتُ فيه طرق تلقّي العلم مُستنبطةً من أقوال النبيﷺ وأفعاله، كمجالسة العلماء، والرحلة في طلب العلم، والمراسلة، والتناوب، والتوكيل، كما وبيّنَتُ في هذا الفصل الصفات الأساسية لمتلقي العلم، وهي: السؤال لطلب العلم، والحرص على الاستزادة منه، والقدرة على النقد، وتبع هذا التأصيل أهم الأُسس التي من شأنها أن تَميُّز طالب العلم كملازمة العلماء، والكتابة، والتركيز على العلم النافع ومتابعة تطوره.

أما الفصل الثاني فبيّنَتُ فيه فضل العلم، ثم ذكرت الأسس التعليمية في السُنَّة النبويَّة، كاختيار الوقت المناسب، والعصف الذهني، ومراعاة الفروق والطاقات عند المتعلّمين، كما وبيّنتُ أهم الأساليب والوسائل التي استخدمها النبي ﷺ في تعليم الصحابة رضي الله عنهم، كتكرار الحديث، وضرب المثل، وطرح السؤال والتطبيق العملي، ثم سلّطْتُ الضَوْءَ على الصفات الواجب

توفرها في العالم الذي يُتلقى عنه العلم، وهي: الصبر، والذكاء، والأمانة العلمية، وحل الإشكالات العلمية.

أما الفصل الثالث فقد وضّحتُ فيه أهمّ المحاذير التي تقف في وجه الطالب في تلقيه للعلم وطلبه، كالحياء، والنسيان، وعدم الإخلاص، والتكلّف في السؤال من غير حاجة، ثم ذكرت محاذير التعليم، ككتمان العلم، والقول بغير علم، وتعليم كل ما سُمِعَ من العلم.

وتوصّلْتُ الدراسة إلى:

1. بيان أصول المنهج النبوي وأُسسه في موضوع التعلّم والتعليم.

2. تميّز هذا المنهج بالوضوح، والشمول، والواقعية، فلم يكن مجرد حبر على ورق، بل كان له آثاره ونتائجه على أرض الواقع الإسلامي، والتي تتمثل في حرص الصحابة أبلغ الحرص على التعلّم، وأصبحت بفضله مساجد المسلمين حيثما وُجِدت داراً للعلم.

لذا وُسِمَتِ الدراسة بـِ: **(أصولُ تلقّي العلم وتعليمه في ضَوْء السُنّة النبويّة "دراسة موضوعية").**

مقدمة:

الحمد لله الذي هدانا للإيمان، ومنَّ علينا بالعلم لخدمة السنةِ والقرآن، والصلاة والسلام على النبي العدنان، المعلم الأول بالعمل واللسان، لبيان العلمِ بالحجة والبرهان، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان، أما بعد:

فقد أرسل الحق سبحانه وتعالى نبيه ﷺ ليخرج الناس من ظلمات الجهلِ إلى نور العلم، بتعليمهم أصول العلم والتعليم، وبيان طريق الحق، والتحذير من طريق الباطل والجهل، فأول آية نزلت (اقرأ)، لذا كان لِزاماً على الباحثين أن يبذلوا جهدهم لبيان المنهج النبويّ في التعليم بشتى مجالاته وجوانبه، ليكون نبراساً للعلماء وطلبة العلم في التعليم والتلقي.

يقول تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ الأحزاب: 21، وروى مسلم في صحيحه: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: "إِنَّ اللهَ لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا، وَلَا مُتَعَنِّتًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا"[1].

وقد جاءتْ هذه الدراسة لتسلّط الضوء على جانب من جوانب المنهج النبويّ، ألا وهو القواعد النبويّة في تلقّي العلم وتعليمه، من خلال الأحاديث الصحيحة الواردة عن النبيّ ﷺ والمختصة في الموضوع، وتصنيفها تحت ما يناسبها من المباحث والمطالب المتعددة.

والذي دفعني إلى هذه الدراسة هو حاجة المعلمين وطلاب العلم في هذه الأيام لمعرفة الأصول العلميّة والتعليميّة التي كانت منهجاً في شخصيّة النبيّ ﷺ كمعلم، وفي شخصيّة الصحابة رضوان الله عليهم كطلاب للعلم، حيثُ إنَّ جزءاً كبيراً من هذه المنهجية غُيّبت في شخصية المعلم والطالب، إما لضعف العلم والتعليم، أو نتيجةَ للإهمال وعدم المتابعة من الطرفين.

---

[1] – مسلم، بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ط/بلا)، كِتَابُ الطَّلَاقِ، بَابُ بَيَانِ أَنَّ تَخْيِيرَ امْرَأَتِهِ لَا يَكُونُ طَلَاقًا إِلَّا بِالنِّيَّةِ، رقم الحديث (1478)، (ج2، ص1104).

أهمية الدراسة:

تكمنُ أهمية هذه الدراسة في أنّها:

1. تُبيّن المنهج النبوي في تلقّي العلم وتعليمه، من خلال الأحاديث الصحيحة الواردة عن النبي ﷺ في ذلك.
2. تُبيّن كيفية الاقتداء بالنبي ﷺ والصحابة في مجال التعلّم والتعليم، للوصول إلى مراحل متقدمة من العلم والتعليم.
3. تُبيّن المحاذير التي يجب تجنبها في عمليتي التعلّم والتعليم، من خلال الأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك.
4. تُبيّن الآثار المترتبة على الالتزام بالمنهج النبوي التعليمي.

مشكلة الدراسة:

تتلخص مُشكلة الدراسة في الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. ما مفهوم العلم في السُنَّة النبويَّة ومكانته؟
2. ما معالم المنهج النبويّ في عمليتي التعلّم والتعليم؟
3. ما الصفات التي يجب توافرها في شخصية المتعلّم لتكوين العقلية العلمية، كما بيّنها النبي ﷺ للصحابة في السنة النبوية؟
4. ما الصفات التي يجب أن تتجسد في شخصية المعلم كما جاءت في المنهج النبويّ؟
5. ما الآثار والنتائج المترتبة على المنهج النبويّ في عمليتي التعلّم والتعليم؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

1. بيان مفهوم العلم ومكانته في السُنَّة النبويَّة .
2. بيان معالم المنهج النبوي في عمليتي التعلّم والتعليم .
3. معرفة آثار المنهج النبويّ التعليميّ في حياة الصحابة.
4. بيان الصفات التي يجب تجسّدها في شخصيتي المعلم والمتعلّم من خلال النهج النبويّ التعليميّ.

منهج الدراسة:

لتحقيق أهداف الدراسة استخدم الباحث المنهجين الآتيين:

أ. **المنهج الاستقرائيّ:** حيث سأقوم بتتبع الأحاديث الصحيحة التي تتعلّق بموضوع أصول تلقّي العلم وتعليمه.

ب. **المنهج التحليليّ** : ويقوم على تصنيف الأحاديث على عناوين المباحث، والمطالب المناسبة، ثم استخراج معالم المنهج النبويّ التعليميّ من خلالها.

ولتحقيق ذلك اتّبعتُ الخطوات الإجرائية التالية:

1. اقتصرتُ في هذه الدراسة على الأحاديث الواردة في الصحيحين، أو في أحدهما فقط.
2. عدم الاقتصار على الروايات المرفوعة عن النبي ﷺ، والرجوع إلى الروايات الموقوفة عن الصحابة في الصحيحين أو أحدهما أيضاً.
3. اتّباع الأسلوب العلميّ في توثيق المعلومات بشكل دقيق.
4. بيان الألفاظ الغامضة في الأحاديث الواردة.
5. وضع علامات الترقيم والتشكيل كما يقتضيه البحث العلميّ.

الدراسات السابقة:

في حدود بحثي واطّلاعي لم أجد دراسة مُستقلَّة حملت نفس العنوان واستوفت جميع فصولها، فالدراسات والأبحاث التي تتعلق بموضوع الدراسة تمثلت في جزئيات صغيرة من البحث، أو تعرضت للموضوع في إطار بحثي قريب من الموضوع كمواضيع التربية، ولكن ما وجدته كان مفيداً ونافعاً، ومن تلك الدراسات:

1. **منهج الرسول ﷺ في التربية من خلال السيرة النبوية**[1]، يتّفق الباحث مع هذه الدراسة في بعض المبادئ التربوية التي استمدتها الكاتبة من السيرة النبوية، كما ويتفق أيضاً في بعض الأساليب التربوية التي استخدمها النبي ﷺ لتربية أصحابه، والجديد في هذه الدراسة هو التأصيل لِموضوع العلم والتعليم بشكل عام، على خلاف هذه الدراسة التي تعرضت للمبادئ والأساليب في العلم كمحور رئيس للموضوع، كما وتعتمد دراستي على صحيح الأحاديث وما ثبت عن الصحابة في الصحيحين، بينما الكاتبة لم تتقيد بذلك، فرجعت إلى أحاديث من كتب السيِّر لم تَثْبتْ، ومع فائدة هذه الدراسة وما قدمته الكاتبة إلا أنها بحاجة إلى تهذيب وتنقيح.

2. **أساليب نبوية في التربية والتعليم**[2]، يتفق الباحث مع هذه الدراسة في الأساليب النبوية التي تم ذكرها في الدراسة في تربية النبي ﷺ وتعليمه للصحابة، والجديد في دراستي هو الاعتماد على منهج الاستقراء للأحاديث تحت كل مطلب يمثل أسلوب من أساليب التربية والتعليم، الذي وضع جميع الأحاديث المناسبة لكل أسلوب من أساليب النبي ﷺ في الموضوع، كما وأن تلك الدراسة اختصت بهذا الجانب فقط، على خلاف دراستي التي تناولت موضوع العلم والتعليم من أغلب جوانبه، مع عظيم الفائدة والبسط الذي يُحسب للباحث في دراسته.

---

[1] – دبابش، منال موسى علي، **منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في التربية من خلال السيرة النبوية**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية غزة، (ط/بلا)، (2008م).

[2] – أبو النصر، محمد، **أساليب نبوية في التربية والتعليم**، (ط/6)، 1463هـ، تمثل هذه الدراسة الكتاب الأول للباحث في سلسلة تطوير الكوادر التعليمية، حيث يمثل كاتبها عضو المكتب العلمي في تجمع دعاة الشام.

3. **مقدمة في التربية الإسلامية**[1]، حيث جاءت هذه الدراسة عامة في التربية الإسلامية في القرآن والسنة، ولم تتفق مع الباحث إلا كسابقتها من الدراسات في أساليب التربية الإسلامية، والجديد في دراستي هو اختصاصها بالمنهج النبوي، والاستقراء للأحاديث من الصحيحين أو أحدهما، على خلاف هذه الدراسة التي تحدثت عن الأساليب التعليمية في العلم والتعليم من القرآن والسنة بشكل مجمل، واقتصارها على مثال أو مثالين في كل أسلوب دون استقراء أو شمول.

4. **التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها** [2]، جاءت هذه الدراسة عامة في التربية وخاصة في التربية الوقائية، فتوسع الباحث في دراسته فتحدث عن الإطار المرجعي للتربية الوقائية، وعن مصادرها، ومجالاتها، وأساليبها، حيث جاءت موافقة لدراستي هذه في الأساليب النبوية لتعليم وتربية الصحابة، والجديد في دراستي هو اختصاصها بتأصيل تلقي العلم وتعليمه من السنة النبوية، على خلاف الباحث هنا الذي اتخذ جانباً أخر في تخصصه.

5. **الرسولﷺ والعلم** [3]، ركزت هذه الدراسة على الجانب التجريبي من العلم في منهج النبي صلى الله عليه وسلم، كما وركز الدكتور القرضاوي في دراسته هذه على جانب الآداب، والأخلاقيات في العلم والتعلّم، بينما دراستي جاءت بشكل أعم وأشمل، من حيث الأمثلة، وربطها بالواقع، والالتزام بالأحاديث من الصحيحين فقط، مع الإشارة إلى عظيم هذه الدراسة، وما فيها من معلومات وتعليقات رائعة جداً.

6. **الرسولﷺ المعلم وأساليبه في التعليم** [4]، جاءت هذه الدراسة لتركز بالدرجة الأولى على أساليب النبيﷺ في التعليم، فاختص الباحث في دراسته في هذا الجانب فقط، مع التوسع

---

[1] – أبو عرّاد، صالح بن علي، **مقدمة في التربية الإسلامية**، الدار الصولتية للتربية، جدة، (ط/1)، 2003م.

[2] – الحدري، خليل بن عبد الله بن عبد الرحمن، **التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1418هـ.

[3] - القرضاوي، يوسف، **الرسول والعلم**، دار الصحوة، القاهرة، (ط/بلا)، 2011م.

[4] - أبو غدة، عبد الفتاح، **الرسولﷺ المعلم وأساليبه في التعليم**، دار البشائر الإسلامية، بيروت–لبنان، (ط/1)، 1996م.

في البحث والاستطراد فيه، بشكل كبير، كما وأن عدم التزامه بصحيح الأحاديث خاصة من الصحيحين، جعله يتوسع ويفصل في المطالب والنقاط التي وضعها في دراسته، على خلاف دراستي التي جاءت تركز على عمليتين التعلّم والتعليم، وأسس، ووسائل، وأساليب، ومحاذير كل مرحلة، إلا أن هذه الدراسة من أجمل ما كُتِبَ في أساليب النبيﷺ في التعليم.

وينبغي الإشارة إلى أنّ هنالك العديد من الدراسات الصغيرة التي تناولت جزءاً بسيطاً من الموضوع وعمِلت عليه بحثاً من وُريقات صغيرة، مثل التكرار في الحديث النبوي الشريف [1]، للأستاذة الدكتورة أميمة بدر، وكذا من أساليب التربية النبوية، وقصص رواها النبي محمد ﷺ، كلاهما للدكتور عثمان قدري مكانسي، وبنية الزمان والمكان في قصص الحديث النبوي الشريف[2]، للطالبة سهام سديرة.

والجديد في هذه الدراسة هو التأصيل لموضوع تلقي العلم وتعليمه في المنهج النبوي كموضوع واحد مستقل يشمل الجانب التربوي، والتعليمي، واستقراء الأحاديث المناسبة، وتقسيمها على المباحث والمطالب التي وُضعت من أجلها، على عكس الدراسات السابقة التي تناولت أجزاءً من الموضوع من منظور تربوي فقط، كالتركيز على الأساليب التربوية النبوية، والتكرار في الحديث والقصص النبوي وغيرها.

[1] – بدر، أميمة، مجلة جامعة دمشق، المجلد (26)، العدد الأول+ الثاني، 2010م.

[2] – سديرة، سهام، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2006م.

خطة الدراسة:

تتكون هذه الدراسة من مقدمة، وفصل تمهيدي، وثلاثة فصول رئيسية، وخاتمة، وهي كآلاتي:

الفصل التمهيدي: مفهوم العلم ومجالاته في السُنَّة النبويَّة: وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مفهوم العلم.

المبحث الثاني: مجالات العلوم في السُنَّة النبويَّة.

الفصل الأول: طرق تلقي العلم، والصفات الأساسية لِمتلقيه، وأسس تميّز طالب العلم في السُنَّة النبويَّة: وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وسائل تلقي العلم في السُنَّة النبويَّة.

المبحث الثاني: الصفات الأساسية لمتلقي العلم في السُنَّة النبويَّة.

المبحث الثالث: أسس تميّز طالب العلم في السُنَّة النبويَّة.

الفصل الثاني: تعليم العلم أسسه، ووسائله، وصفات العالم، وعمّن يتلقى العلم في السُنَّة النبويَّة: وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: نشر العلم وفضله في السُنَّة النبويَّة.

المبحث الثاني: أسس التعليم في السُنَّة النبويَّة.

المبحث الثالث: وسائل التعليم في السُنَّة النبويَّة.

المبحث الرابع: صفات العالم وعمّن يتلقى العلم في السُنَّة النبويَّة.

الفصل الثالث: محاذير في تلقي العلم وتعليمه في السُنَّة النبويَّة: وفيه مبحثان:

المبحث الأول: محاذير في تلقي العلم في السُنَّة النبويَّة.

المبحث الثاني: محاذير في التعليم في السُنَّة النبويَّة.

الفصل التمهيدي

مفهوم العلم ومجالاته في السُنَّة النبويَّة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مفهوم العلم في السُنَّة النبويَّة.

المبحث الثاني: مجالات العلوم في السُنَّة النبويَّة.

الفصل التمهيدي

مفهوم العلم ومجالاته في السُنَّة النبويَّة

اهتمت السُنَّة النبويَّة بموضوع العلم اهتماماً بالغاً، وقد تكاثرت الأحاديث التي بيَّنت فضل العلم ومنزلة العلماء، ولا بد قبل بيان معالم المنهج النبوي التعليمي من بيان مفهوم العلم في السُنَّة النبويَّة، ومكانته.

وهو ما سأبينه من خلال المباحث الآتية

المبحث الأول

مفهوم العلم في السُنَّة النبويَّة

خلق الله تعالى الإنسان، وميزه عن سائر المخلوقات بالعلم، وأسجد ملائكته لآدم بسبب مؤهلاته العلمية، وقد احتفت السُنَّة النبويَّة بالعلم وبيَّنت مكانته وأهميته.

وتقتضي هذه الأهمية للعلم من معرفة معناه في اللغة والاصطلاح وهو ما سأبينه من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: العلم في اللغة:

تفيد مُعطيات اللغة أن كلمة العلم لها عشرة معانٍ، حيث وردت مفردة العلم في اللغة بفتح العين: العَلَمْ، وبكسرها: العِلم، ولكل منهما معانٍ، وهي:

أولاً: معنى العَلم بفتح العين:

الأول: الرّاية: قال ابن منظور: والعَلَمُ: الرَّايَةُ الَّتِي تَجْتَمِعُ إِلَيْهَا الجُنْدُ "[1].

الثاني: الفصل بين الأرضين: قال ابن منظور: "والعَلَم: الفصلُ يَكُونُ بَيْنَ الأَرْضَيْنِ"[2].

الثالث: ما يُنْصب في الطريق ليُستدل عليه: قال ابن منظور: " عَلَمٌ: يُقَالُ لِما يُبْنَى فِي جَوادِّ الطَّرِيقِ مِنَ الْمَنَازِلِ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى الطَّرِيقِ، والمَعْلَمُ: مَا جُعِلَ عَلامةً وعَلَماً للطُّرُق وَالْحُدُودِ مِثْلَ أَعلام الحَرَم ومعالِمِه الْمَضْرُوبَةِ عَلَيْهِ، والعَلَمُ: شَيْءٌ يُنْصَب فِي الفَلَوات تَهْتَدِي بِهِ الضالَّةُ"[3].

---

[1] – ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: 711هـ)، **لسان العرب**، دار صادر – بيروت، (ط/3– 1414 هـ)، (ج12، ص416)، والهروي، **تهذيب اللغة**، (ج2، ص254)، والفراهيدي، **كتاب العين**، (ج2، ص153)، وابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، (ج4، ص110)، والفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: 393هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، (ط/4، 1407 هـ – 1987 م)، (ج5، ص1990).

[2] – ابن منظور، **لسان العرب**، (ج12، ص419).

[3] – ابن منظور، **لسان العرب**، (ج12، ص420)، والهروي، **تهذيب اللغة**، (ج2، ص254)، والفراهيدي، **كتاب العين**، (ج2، ص153).

الرابع: العلامة (أي موضع العلامة): قال ابن فارس: "الْعَلَامَةُ، وَهِيَ مَعْرُوفَةٌ. يُقَالُ: عَلَّمْتُ عَلَى الشَّيْءِ عَلَامَةً. وَيُقَالُ: أَعْلَمَ الْفَارِسُ، إِذَا كَانَتْ لَهُ عَلَامَةٌ فِي الْحَرْبِ"[1]، وقال الفراهيدي: "والمَعْلَمُ: موضع العلامة"[2].

الخامس: الجبل الطويل: قال ابن منظور: " والعَلَمُ: الْجَبَلُ الطَّوِيلُ. وقِيل: العَلَمُ الْجَبَلُ فَلَمْ يَخُصَّ الطويلَ"[3].

السادس: الشقّ في الشفة العليا (أي دلالة أو علامة في الشفة): قال الهروي: "والعَلَم: الشقّ فِي الشَفَة الْعليا وعَلَمت الرجل أعْلُمُه عَلْماً إِذا شققت شفته الْعليا، وَهُوَ الأعلم"[4].

السابع: علم الثوب ورقمه: قال الهروي: "والعَلَم: عَلَم الثَّوْب ورَقْمه فِي أَطْرَافه، فيقال: أعلمت الثَّوْب إِذا جعلت فِيهِ عَلامَة أَو جعلت لَهُ عَلَماً، وأعلمت على مَوضِع كَذَا من الْكتاب عَلامَة"[5].

الثامن: الأثر والمنار الذي يُتميز به: قال ابن فارس: "(عَلَمَ) الْعَيْنُ وَاللَّامُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى أَثَرٍ بِالشَّيْءِ يَتَمَيَّزُ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ"[6].

---

[1] – ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، (ج4، ص110).

[2] – الفراهيدي، **كتاب العين**، (ج2، ص153)، وابن منظور، **لسان العرب**، (ج12، ص419).

[3] – ابن منظور، **لسان العرب**، (ج12، ص419)، والفراهيدي، **كتاب العين**، (ج2، ص152)، والهروي، **تهذيب اللغة**، (ج2، ص254)، وابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، (ج4، ص109).

[4] – الهروي، **تهذيب اللغة**، (ج2، ص254)، والفراهيدي، **كتاب العين**، (ج2، ص152)، وابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، (ج4، ص109)، وابن منظور، **لسان العرب**، (ج12، ص419)، والفارابي، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، (ج5، ص1990).

[5] – الهروي، **تهذيب اللغة**، (ج2، ص254)، والفراهيدي، **كتاب العين**، (ج2، ص153)، وابن منظور، **لسان العرب**، (ج12، ص420)، والزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، (ت: 1205هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (ط/بلا)، (ج33، ص132).

[6] – ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، (ج4، ص109)، وابن منظور، **لسان العرب**، (ج12، ص419).

ثانياً: معنى العِلم بكسر العين:

التاسع: نقيض الجهل: قال الفراهيدي: "علم: عَلِمَ يَعْلَمُ عِلْماً، نقيض جَهِلَ. ورجل علاّمة، وعلاّم، وعليم"[1]، وقال ابن فارس: "وَكُلُّ شَيْءٍ يَكُونُ مَعْلَمًا: خِلَافُ الْمَجْهَلِ"[2].

العاشر: المعرفة: قال ابن منظور: "وعَلِمْتُ الشيءَ أَعْلَمُه عِلْماً: عَرَفْتُه، فَيَجُوزُ أَنْ تَقُولَ عَلِمْتُ الشَّيْءَ بِمَعْنَى عَرَفْته وخَبَرْته"[3].

وبعد عرض هذه المعاني يتبين لنا أن معنى العلم بالكسر هو أقرب منه للفتح مع الدراسة بكلا المعنيين، سواء نقيض الجهل، أو المعرفة، مع توضيح أن العلم نقيض الجهل هو الأقرب لموضوع الدراسة، فالعلم نقيض الجهل وخلافه، وهو معرفة الشيء والجهل انعدام معرفة هذا الشيء.

المطلب الثاني: العلم في الاصطلاح:

عند النظر في تعريف العلماء للعلم في الاصطلاح، نرى اختلافاً بينهم في ذلك، ويمكننا إجمال هذا الاختلاف بتقسيم هذه التعريفات بناء على عدة اعتبارات كآلاتي:

اعتبار أهل الاختصاص، كالحكماء (الفلاسفة): وتعريفهم: "هو حصول صورة الشيء في العقل. وقيل: هو مستغنٍ عن التعريف"[4].

---

[1] – الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت: 170هـ)، **كتاب العين**، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (ط/بلا)، (ج2، ص152)، والهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري، أبو منصور (ت: 370هـ)، **تهذيب اللغة**، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ط/1، 2001م)، (ج2، ص252).

[2] – ابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: 1399هـ – 1979م، (ط/بلا)، (ج4، ص109).

[3] – ابن منظور، **لسان العرب**، (ج12، ص420)، والهروي، **تهذيب اللغة**، (ج2، ص254).

[4] – الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت: 816هـ)، **كتاب التعريفات**، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، (ط/1 1403هـ –1983م)، (ص155)، والكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، أبو البقاء الحنفي (ت: 1094هـ)، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، (ط/بلا)، (ص615).

وعلماء النفس، قولهم: هو "وصول النفس إلى معنى الشيء"[1].

ومنها اعتبار مطابقته للواقع أم لا؟، كقولهم: "والعلم: هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع"[2].

ومنها اعتبار معرفة الشيء وإدراكه، كقولهم: "وقيل: العلم هو إدراك الشيء على ما هو به". "وقيل: العلم: صفة راسخة تدرك بها الكليات والجزئيات"[3].

ومنها اعتبار كشف الغموض وزواله، كقولهم: "وقيل: زوال الخفاء من المعلوم، والجهل نقيضه"[4].

ويتبين من هذه التعريفات أنَّ الإمام الجرجاني كان مِنْ أول مَنْ جمع وتوسع في تعريف العلم في الاصطلاح متبعاً ما ذكره الإمام الأصفهاني في المفردات ولكن بشكل أوسع وأشمل مما كان عند الأصفهاني [5].

وذكر الإمام الجرجاني أثناء تعريفه للعلم أن التعريف باعتبار المطابقة للواقع أخص من التعريف باعتبار أهل الفلسفة وهم الحكماء، ولعلّ تفسير ما ذكره أنَّ الشيء الذي صدقه، وجزم به الواقع قد وقع فعلياً، فيصحّ تسميته علماً، وأما الثاني أي تعريف الحكماء فليس بالضرورة كل ما فكر به الإنسان، وله صورة في الذهن أنه أصبح واقعاً ومعتَقداً، وإنْ كانت احتمالية وقوعه كبيرة جداً، فالأول قد وقع وسُمِّي علماً، والثاني يبقى صورة في الذهن إلى حين وقوعه.

---

[1] – الجرجاني، **كتاب التعريفات**، (ص155).

[2] – الجرجاني، **كتاب التعريفات**، (ص155)، والمناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم القاهري (ت: 1031هـ)، **التوقيف على مهمات التعاريف**، عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت– القاهرة، (ط/1، 1410هـ–1990م)، (ص246).

[3] – الجرجاني، **كتاب التعريفات**، (ص155)، والسنيكي، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى (ت: 926هـ)، **الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة**، المحقق: د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر – بيروت، (ط/1، 1411)، (ص66)، والزَّبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، (ج33، ص127).

[4] – الجرجاني، **كتاب التعريفات**، (ص155).

[5] - **يُنظر**: الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف (ت: 502هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، (ط/1) – 1412 هـ، ص(580–582).

ويتضح مما سبق أنَّ هنالك علاقة ورابطاً واضحاً بين هذه التعريفات، فلا فروقات جوهرية بينها في الأصل، فالعلم هو إدراك الشيء، وهو أيضاً زوال الخفاء عن الشيء لِيُعلم، وهو أيضاً وصول النفس لمعنى الشيء، فما ذكره الجرجاني كان الجامع لكل ما يمكن أن يقال عن تعريف العلم في الاصطلاح باختلاف الاعتبارات التي عُرفت بناء عليها، ومن جميع وجهات النظر المختلفة لدى العلماء، فهي جميعها تصل بنا إلى مُؤدى واحد ألا وهو إدراك الشيء بحقيقته، سواء بحصول صورة الشيء المراد إدراكه، أو بزوال الخفاء عن الشيء حتى يُعلم إدراكه، أو حتى الحكم على الشيء بأنه موجود ومدرك.

وأما العلاقة بين التعريف اللغوي والاصطلاحي للعلم فتكمن في كون العلم في اللغة نقيض الجهل، والجهل لا يزول إلا بإدراك المعرفة، وما قول حذيفة بن اليمان ببعيد فقوله: (وَتَعَلَّمْتُ الشَّرَّ)"[1]، أي أدرك بالمعرفة مواطن الشر فابتعد، فتحصّن، فكونك علمت الشيء أي أنك عرفته وأدركته، فأصبحت لا تجهله، فالإدراك هو الجامع بين التعريفين اللغوي والاصطلاحي، وزوال الخفاء عن الشيء المعلوم هو نقيض الجهل، ووصول النفس إلى الشيء الذي كنت لا تعلمه هو أيضاً نقيض الجهل لعلمك بهِ، وحصول صورة الشيء بالذهن بعد جهلك بهِ أيضاً هو نقيض للجهل لتطابق هذه الصورة بالواقع.

المطلب الثالث: العلم في السُنَّة النَّبويَّة، ومنزلته، وفضله:

اهتم العلماء بِسُنَّة النبيﷺ خير اهتمام، وحاولوا دراسة جميع ما يتعلق بها، فأصبح علماً مستقلاً بذاته، وكثُرت حوله المؤلفات والمصنفات، وذلك لما جاء في سنَّتة الشريفةﷺ من فضل العلم والتعليم ونشره ومكانته، وبيان ذلك كآلاتي:

أولاً: العلم في كتب السنّة:

ومن خلال ما تقدّم يمكن القول إن مفهوم العلم في السنة هو ما بينت السنة حقيقته، وتمكنا من إدراكها، سواء تعلق هذا العلم بالله تعالى، أو الإنسان، أو الماديات [2].

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ المَنَاقِبِ، بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ، رقم الحديث (3607)، (ج4، ص200).

[2] - **يُنظر:** القرضاوي، يوسف، **الرسول والعلم**، دار الصحوة، القاهرة، (ط/بلا)، 2011م، (ص37).

وفي الجامع الصحيح – صحيح البخاري– نجد أن الإمام البخاريّ رحمه الله وضع كتاب العلم بعد كتاب بدء الوحي وكتاب الإيمان، ليكون ثالث كتب صحيحه، وقد اشتمل كما بيّن الإمام ابن حجر في فتح الباري، من الأحاديث المرفوعة على مئة حديث وحديثين، منها ستة عشر حديثاً مكرراً، وفيه من الآثار الموقوفة على الصحابة ومن بعدهم اثنان وعشرون أثراً [1].

وأما الإمام مسلم فلم يكن عنده كتاب العلم مطولاً وواسعاً كما عند البخاري، فذكر فيه ستة أبواب، تحتوي على تسعة أحاديث، ولكنه لم يلتزم ذكر أحاديث العلم تحت كتاب العلم كما فعله البخاري، فمن خلال تتبعي لأحاديث الإمام مسلم وجدت الأحاديث المتعلقة بالعلم في مختلف كتب صحيحه بين مرفوع وموقوف ما يقارب خمسة وستون حديثاً دون تكرار، وهذا بحسب استقرائي المتواضع من خلال البحث عن الأحاديث المتعلقة بموضوع الرسالة، وقد يحتاج ذلك لاستقراء دقيق مع معرفة عدد الآثار الموقوفة لحدة، ومعرفة عدد المكرر.

وأما كتب السنة الأخرى والتي عنيت بجمع الأحاديث المتعلقة بالعلم وغيره دون الاقتصار على الصحيح منها، بل ذكرت ما هو دون الصحة من الحسن والضعيف، فقد تكلم عنها بعض العلماء وذكر ملخصاً مختصراً عنها مثل الدكتور يوسف القرضاوي في بداية كتابه الرسول والعلم[2].

ثانياً: منزلة العلم في ضوء السنة:

يعد موضوع العلم في السنة النبوية، من القضايا التي كثر تناولها سواء بتأصيل قواعده، أو بالحث عليه، وبيان مكانته، ومجالاته المتنوعة، كما ويعد العلم من الركائز الأساسية في شرعنا الحنيف، فكلما ازداد المسلم علماً ازداد إيماناً، ولقد بيّن الله في كتابه الكريم فضل العلم في الكثير

---

[1] - **يُنظر:** ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت: 852)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة –بيروت، 1379، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (ج1، ص231–232).

[2] - **يُنظر:** القرضاوي، **الرسول والعلم**، (ص4–8).

من الآيات، قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾آل عمران: 18.

وفي الحديث الشريف بيان فضل العلم بأمور الدين فعن مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه، عن النَّبِيَّ ﷺ: قال: "(مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)"[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عن رَسُولُ اللهِ ﷺ: "(...مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ...)"[2].

ويمكن ربط أفضلية العلم من السنة بمعرفة أول ما نزل من القرآن، فقد ثبت من طريق البخاري، في كتاب بَدْء الوحي، أن أول آية سمعها النبي ﷺ هي (اقرأ)[3]، وفي هذا دلالة على أن العلمَ ذو شأنٍ عظيم.

وقد بوَّبَ البخاري في صحيحه (العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ)، وذكر فيه "وَأَنَّ العُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَرَّثُوا العِلْمَ، مَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ"[4]، ففضل العلم لا حدود له، وفضل النبي ﷺ بعلمه على سائر الخلائق.

ثالثاً: الحث على طلب العلم، ونشره، وأصناف المتعلمين:

1. طلب العلم، ونشره: حثّ النبيﷺ في سنته على طلب العلم، فتعددت الأحاديث في ذلك، منها ما رواه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو ـ رضي الله عنه ـ، عن النبي ﷺ: "«بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»"[5]، فالنبيّ

---

[1] – البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، (ت:256هـ)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)**، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، (ط/1، 1422هـ)، كتاب العلم، بَابٌ: مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، رقم الحديث (71)، (ج1، ص25)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الزكاة، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْمَسْأَلَةِ، رقم الحديث (1037)، (ج2، ص719).

[2] – مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ، رقم الحديث (2699)، (ج4، ص2047).

[3] – **يُنظر:** البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟، رقم الحديث (3)، (ج1، ص7).

[4] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ، (ج1، ص24).

[5] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، رقم الحديث (3461)، (ج4، ص140).

ﷺ أوصى بالعلم، والحث على نشره ولو بمقدار آية واحدة، وذلك إن دلَّ على شيء فإنما يدل على أهمية العلم في المنهج النبوي والحث على نشره.

فقوله ﷺ: (بلّغوا عني ولو آية)، يدل على الحث على نشر العلم ولو بآية، حيث اختلف العلماء بالمراد بمعنى كلمة آية، هل يُراد بها آية من القرآن أم أنه يُراد بها كل ما بلغ به الرسول ﷺ من آية وحديث وفعل وإشارة وغير ذلك، وأشار لذلك العيني فقال: "وقوله: (ولو آية)، أي: علامة ظاهرة فهو تتميم ومبالغة، أي: ولو كان المبلغ فعلاً أو إشارةً ونحوها، وقيل: إنما قال: آية، أي: من القرآن، ولم يقل: حديثا، فإن الآيات مع تكفل الله بحفظها واجبة التبليغ، فتبليغ الحديث يفهم منه بالطريق الأولى، وقيل: إنما قال: آية، ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآي، ولو قل ليشمل بذلك نقل جميع ما جاء به ﷺ"[1].

ومما سبق نستنتج ضرورة الحث على نشر العلم ولو كان قليلاً، فالنبي ﷺ حث على التبليغ ولو بآية، مع الإشارة إلى ضرورة الإسراع بالتبليغ مهما قل أو كَثر لما فيه من دلالة على أهمية الحث على نشر العلم وتبليغه.

فديننا الحنيف حث على طلب العلم بشكل كبير واهتم بالعلماء وطلبة العلم أشد اهتمام فشجعهم على الإقبال عليه ليبين لهم مدى عظم العلم وما ينتج عنه، كما جاء في حديث وفد عبد القيس الذين جاءوا إلى النبي ﷺ يطلبون العلم فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع وقال ﷺ: «احْفَظُوهُ وَأَخْبِرُوهُ مَنْ وَرَاءَكُمْ»"[2]، فالنبي ﷺ أمرهم بحفظ هذه الكلمات وأوصاهم بإخبار قومهم بها عند عودتهم.

2. **أصناف المتعلّمين:** قسمت السُنَّة النبوية الناس من حيث الانتفاع بالعلم، إلى ثلاثة أقسام، جاءت في هذا الحديث الرائع الذي رواه أبو مُوسَى رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "«مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ [3]، قَبِلَتِ المَاءَ،

---

[1] – العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج16، ص45).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ تَحْرِيضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ عَلَى أَنْ يَحْفَظُوا الإِيمَانَ وَالعِلْمَ، وَيُخْبِرُوا مَنْ وَرَاءَهُمْ، رقم الحديث (87)، (ج1، ص29)، وتم الإشارة إلى باقي مواضع ورود الحديث سابقاً.

[3] – **نقية:** أي: طائفة نقية؛ أي: من مواح النبات. القرطبي، **اختصار صحيح البخاري وبيان غريبه**، (ج1، ص58).

فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ [1]، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ [2] لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»"[3].

فدل بيان النبي ﷺ أقسام الناس في الانتفاع بالعلم، والعمل به إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: يتمثل في قوله صلى الله عليه سلم: (مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ).

قال ابن بطال: "أنه لا يقبل ما أنزل الله من الهدى والدين إلا من كان قبله نقيا من الإشراك والشك. فالتي قَبِلَت العلم والهُدى كالأرض المتعطشة إليه، فهي تنتفع به فتحيا فتنبت. فكذلك هذه القلوب البريئة من الشك والشرك، المتعطشة إلى معالم الهدى والدين، إذا وَعَت العلم حَيَتْ به، فعملت وأنبتت بما تحيا به أرماق الناس المحتاجين إلى مثل ما كانت القلوب الواعية تحتاج إليه"[4].

القسم الثاني: قوله ﷺ: (وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى).

فهذا القسم يمثل الناس الذين "قلوبهم متهيئة لقبول العلم لكنها ليس لها رسوخ، فهي تقبل وتمسك حتى يأتي متعطش فيروىَ منها ويَرِدُ على منهل يحيا به، وتسقى به أرض نقيَّة فتنبت وتثمر، وهذه حال من ينقل العلم ولا يعرفه ولا يفهمه"[5].

---

[1] – **أجادب:** و"الأرض الجدبة": التي لم تمطر، وهي هنا التي لا تشرب ولا تنبت لصلابتها. القرطبي، **اختصار صحيح البخاري وبيان غريبه**، (ج1، ص59).

[2] – **القيعان:** جمع قاع، وهو المستوطئ من الأرض. القرطبي، **اختصار صحيح البخاري وبيان غريبه**، (ج1، ص59).

[3] –البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ فَضْلِ مَنْ عَلِمَ وَعَلَّمَ، رقم الحديث (79)، (ج1، ص27).

[4] – ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج1، ص163).

[5] – المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

القسم الثالث: قوله ﷺ: (إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ).

وفي هذا القسم يريد بالقيعان أي "القلوب التي تسمع الكلام، فلا تحفظه، ولا تفهمه، فهي لا تنتفع به، ولا تنبت شيئًا، كالسِّباخ المالحة التي لا تمسك الماء ولا تنبت كلأ"[1].

رابعاً: فضل العلم والتعلّم:

1. فضل العلم: ومثاله ما رواه أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: {اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: 255]. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»"[2].

وفي هذا الحديث دلالة على فضل العلم والعالم على غيره فقوله ﷺ لأبي بن كعب (ليهنك العلم أبا المنذر)، فيه منقبة عظيمة لأبيّ ودليل على كثرة علمه، وتبجيل العالم فضلاء أصحابه وتكنيتهم، ويكفي من هذا شهادة النبي ﷺ لأبي المنذر بعلمه والدعاء له بقوله (ليهنك العلم) أي ليكن العلم هنيئًا لك، وهذا دعاء له بتيسير العلم له ورسوخه فيه[3].

2. فضل التعلّم: وأمثلته:

1. ما رواه أَبِو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: "إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ"[4].

---

[1] – ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج1، ص164).

[2] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ فَضْلِ سُورَةِ الْكَهْفِ، وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ، رقم الحديث (810)، (ج1، ص556).

[3] – **يُنظر:** النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج6، ص93)، والأُرَمي، **الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم**، (ج10، ص167).

[4] – مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الوصية، بَابُ مَا يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنَ الثَّوَابِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، رقم الحديث (1631)، (ج3، ص1255).

فقوله: (أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ)، فمن رحمه الله علينا أن جعل هذه الميزة بيننا لكي يكون هنالك منافسة وسباق على طلب العلم والإسراع إلى أهله، للاستفادة منهم والاغتنام من علمهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ المطففين: 26، جاءت الآية عامة وليست خاصة في التنافس في العلم، ولكن يُأخذ منها معنى التنافس، فلا يوجد حاجة للمنافسة أشد منها في العلم والتعلّم، فالعالم والمتعلم الذي نفع في حياته الناس بعلمه استحق استمرار الثواب والأجر في ميزانه حتى بعد موته، سواء كان علماً شرعياً أم علماً دنيوياً.

2. وما رواه عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»، قَالَ: وَأَقْرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي إِمْرَةِ عُثْمَانَ، حَتَّى كَانَ الحَجَّاجُ قَالَ: وَذَاكَ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا"[1].

هذا الحديث خاص بفضل تعلّم وتعليم القرآن الكريم، متمثلاً بتعلم آيات القرآن وحفظه وهو علم مستقل بذاته فهو خير العلوم وأفضلها، "وحديث عثمان يدل أن قراءة القرآن أفضل أعمال البرّ كلها؛ لأنه لما كان من تعلم القرآن أو علمه أفضل الناس وخيرهم دل ذلك على ما قلناه؛ لأنه إنما وجبت له الخيرية والفضل من أجل القرآن، وكان له فضل التعليم جاريًا ما دام كل من علمه تاليًا"[2]، فهذه الخيرية العظيمة وهذا الثواب الكثير استحقه كل من تعلم القرآن وعلمه لعظم هذا الكتاب وعظم ما فيه، وهذا ما دفع شيخ البخاري الحجاج أن يقول: (ذاك الذي أقعدني مقعدي هذا)، أي: ليعلم الناس القرآن حتى يحصل على تلك الفضيلة.

والروايتين على هذا النوع يمكن حملهما على النوع الأول أيضاً ففيهما فضل العلم والتعلّم.

ولم يهمل النبي ﷺ تعليم النساء بل اهتم بتعليمهنّ، سواء نساء بيته كما في حديث عائشة والذي هو أصل في مسألة التعليم، وفيه أنها كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا سألت النبي ﷺ عنه،

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ فَضَائِلِ القُرْآنِ، بَابٌ: خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، رقم الحديث (5027)، (ج6، ص196).

[2] – ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج10، ص265)، **ويُنظر**: ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (ج9، ص76)، والعيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج20، ص44).

فسألته عن قوله من حوسب عذب فوضح لها النبي ﷺ المقصود [1]، والذي أتضح منه أنها كانت معتادة على سؤاله ومراجعته في كل الأمور التي كان يعلّمها إياها وخاصة التي تُشكل عليها، وأما نساء المسلمين عامة، فكان عليه الصلاة والسلام يوجه لهن النصيحة ويحثهن على العلم والخير، وأكبر دليل على هذا أنه جعل لهنَّ يوماً خاصاً لتعليمهنّ وتأديبهن بتعاليم الإسلام وآدابه.

فالشرع حث على تعليم الأهل والنساء ومن صور هذا الحث بأنه ربط بعض الأمور بالتعليم ليبين لنا أهميته العلم، وما يُبنى عليه من الثواب العظيم لفاعله، وهذا الارتباط هو مختص بجانب الأهل ولا سيما النساء منه، ومثال ذلك ما رواه أَبو مُوسَى الأَشْعَرِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيﷺ: قال: "ثَلاَثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ: ...، وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ."[2].

فالشاهد من الحديث هو الصنف الثالث الذي ذكره النبي ﷺ وهي الأمة التي تكون عند رجل فأدبها وعلمها وأحسن تأديبها وتعليمها بتعاليم الإسلام والشرع الحنيف ثم أعتقها وتزوجها فله أجران؛ أجر العتق والتزويج، وأجر التأديب والتعليم، ففضل التعليم يساوي فضل العتق والزواج للأمة وهذا يدل على قيمة العلم وأهمية، ومدى قوة التشجيع والتحفيز الذي كان وما زال عليه شرعنا.

وأما الأحاديث الرئيسة بالموضوع فهي:

1. توصيته ﷺ بتعليم النساء: ومثاله ما رواه مَالِكُ بْنُ الحُوَيْرِثِ رضي الله عنه، قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِي، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا رَأَى شَوْقَنَا إِلَى

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ مَنْ سَمِعَ شَيْئًا فَلَمْ يَفْهَمْهُ فَرَاجَعَ فِيهِ حَتَّى يَعْرِفَهُ، رقم الحديث (103)، (ج1، ص34)، وكِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ {فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا} [الانشقاق: 8]، رقم الحديث (4939)، (ج6، ص167)، وكِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابٌ: مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ، رقم الحديث (6536)، (ج8، ص111)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَابُ إِثْبَاتِ الْحِسَابِ، رقم الحديث (2876)، (ج4، ص2204).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ تَعْلِيمِ الرَّجُلِ أَمَتَهُ وَأَهْلَهُ، رقم الحديث (97)، (ج1، ص31)، وكِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ {وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا} [مريم: 16] "، رقم الحديث (3446)، (ج4، ص167).

أَهَالِينَا، قَالَ: «ارْجِعُوا فَكُونُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ، وَصَلُّوا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ»"[1].

والشاهد من الحديث أنه ﷺ عندما أيقن أن الوفد قد تعلموا وأحسنوا ذلك، ورأى في أعينهم شوقهم لأهلهم، سمح لهم بالذهاب مع توصيتهم بتعليم أهل بيتهم ما علمهم إياه من تعاليم الإسلام وآدابه، من أحكام الصلاة والأذان والإمامة.

2. **تَفقّد النبي ﷺ للنساء ووعظهن:** ومثاله ما رواه ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَوْ قَالَ عَطَاءٌ: أَشْهَدُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ «خَرَجَ وَمَعَهُ بِلاَلٌ، فَظَنَّ أَنَّهُ لَمْ يُسْمِعْ فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ، فَجَعَلَتِ المَرْأَةُ تُلْقِي القُرْطَ وَالخَاتَمَ، وَبِلاَلٌ يَأْخُذُ فِي طَرَفِ ثَوْبِهِ»"[2].

كان النبي ﷺ حريصاً على وعظِ النساء وتعليمهنَّ ومن ذلك دعوته لهنَّ بالتصدق، فالمقصود من عبارة (فظن أنه لم يُسمِع النساء) دليل على أن الإمام يجب عليه تفقد رعيته، وتعليمهم، ووعظهم [3]، وهذا ما كان يظهر من حاله ﷺ في تعامله مع النساء عند تعليمهنّ أحكام الإسلام وآدابه ووعظهنّ بما يترتب عليه من الخير الكثير سواء في الدنيا أو في الآخرة.

3. **مبادرة النساء في طلب العلم:** حيثُ بادرنَ ولم يمنع عنهنّ النبيّ ﷺ العلم، بل جعل لهن يوماً خاصاً، وإن دلَّ ذلك فإنه يدل على أهمية الارتقاء بأمهات المؤمنين، ورفع درجة العلم الشرعي لنسائنا.

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الأَذَانِ، بَابُ مَنْ قَالَ: لِيُؤَذِّنْ فِي السَّفَرِ مُؤَذِّنٌ وَاحِدٌ، رقم الحديث (628)، (ج1، ص128)، وكِتَابُ الأَذَانِ ، بَابُ الأَذَانِ لِلْمُسَافِرِ ، إِذَا كَانُوا جَمَاعَةً، وَالإِقَامَةِ، وَكَذَلِكَ بِعَرَفَةَ وَجَمْعٍ، وَقَوْلِ المُؤَذِّنِ: الصَّلاَةُ فِي الرِّحَالِ، فِي اللَّيْلَةِ البَارِدَةِ أَوِ المَطِيرَةِ، رقم الحديث (631)، (ج1، ص128)، وكِتَابُ الأَذَانِ، بَابٌ: إِذَا اسْتَوَوْا فِي القِرَاءَةِ فَلْيَؤُمَّهُمْ أَكْبَرُهُمْ ، رقم الحديث (685)، (ج1، ص138)، وكِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ رَحْمَةِ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ، رقم الحديث (6008)، (ج8، ص9)، وكِتَابُ أَخْبَارِ الآحَادِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي إِجَازَةِ خَبَرِ الوَاحِدِ الصَّدُوقِ فِي الأَذَانِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّوْمِ وَالفَرَائِضِ وَالأَحْكَامِ، رقم الحديث (7246)، (ج9، ص86)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَابُ مَنْ أَحَقُّ بِالْإِمَامَةِ، رقم الحديث (674)، (ج1، ص465).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ عِظَةِ الإِمَامِ النِّسَاءَ وَتَعْلِيمِهِنَّ، رقم الحديث (98)، (ج1، ص31)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ صَلَاةِ الْعِيدَيْنِ، بَابُ تَرْكِ الصَّلَاةِ قَبْلَ الْعِيدِ وَبَعْدَهَا فِي الْمُصَلَّى، رقم الحديث (884)، (ج2، ص606).

[3] – **يُنظر:** العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج2، ص123).

ومثاله: ما رواه أَبِو سَعِيدٍ الخدري رضي الله عنه، قال: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ، فَقَالَ: «اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا»، فَاجْتَمَعْنَ، فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلاَثَةً، إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ»، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوِ اثْنَيْنِ؟ قَالَ: فَأَعَادَتْهَا مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: «وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ»"[1].

فلم يكتف النبي ﷺ بتعليم الرجال فقط، بل جعل للنساء يوماً خاصاً بهنّ، ليعلمهنّ أحكام الإسلام وآدابه وتعاليمه، فكان مما علمهن في يومهن هذا الحديث العظيم، الذي خاطب فيه عواطفهن ليطيب أنفسهن على ما قد أصاب بعضهن من هذه المحنة التي ذكرها ﷺ في الحديث[2]، فالشاهد من الحديث تخصيص النبي ﷺ للنساء يوم لتعليمهنّ ووعظهنّ.

4. تعليم النساء بعضهن لبعض: ومثاله عَنْ مُعَاذَةَ رضي الله عنها، أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتْ عَائِشَةَ فَقَالَتْ: "أَتَقْضِي إِحْدَانَا الصَّلاَةَ أَيَّامَ مَحِيضِهَا؟ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: أَحَرُورِيَّةٌ [3] أَنْتِ؟ قَدْ «كَانَتْ إِحْدَانَا تَحِيضُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ لَا تُؤْمَرُ بِقَضَاءٍ»"[4].

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ تَعْلِيمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ، لَيْسَ بِرَأْيٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ، رقم الحديث (7310)، (ج9، ص101)، وكِتَابُ العِلْمِ، بَابٌ: هَلْ يُجْعَلُ لِلنِّسَاءِ يَوْمٌ عَلَى حِدَةٍ فِي العِلْمِ؟، رقم الحديث (101)ن (ج1، ص32)، كِتَابُ الجَنَائِزِ، بَابُ فَضْلِ مَنْ مَاتَ لَهُ وَلَدٌ فَاحْتَسَبَ وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} [البقرة: 155]، رقم الحديث (1249)، (ج2، ص73)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ فَضْلِ مَنْ يَمُوتُ لَهُ وَلَدٌ فَيَحْتَسِبَهُ، رقم الحديث (2633)، (ج4، ص2028).

[2] – **يُنظر:** شاهين، **فتح المنعم شرح صحيح مسلم**، (ج10، ص136).

[3] – **أحروريـة:** نسبة إلى حروراء قرية على ميلين من الكوفة، عُرف فيها طائفة من الخوارج يوجبون على الحائض قضاء الصلاة الفائتة في زمن الحيض. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: 911هـ)، **الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج**، حقق أصله، وعلق عليه: أبو اسحق الحويني الأثري، دار ابن عفان للنشر والتوزيع –المملكة العربية السعودية – الخبر، (ط/1، 1416 هـ –1996 م)، (ج2، ص91).

[4] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْحَيْضِ، بَابُ وُجُوبِ قَضَاءِ الصَّوْمِ عَلَى الْحَائِضِ دُونَ الصَّلَاةِ، رقم الحديث (335)، (ج1، ص265)، والبخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الْحَيْضِ، بَابٌ: لاَ تَقْضِي الحَائِضُ الصَّلاَةَ، رقم الحديث (231)، (ج1، ص71).

والشاهد قول عائشة رضي الله عنها (كانت إحدانا تحيض على عهد الرسول ﷺ)، أي أنّ المقصود لا يأمرها النبي ﷺ بالقضاء مع علمه بالحيض وتركها الصلاة في زمنه ولو كان القضاء واجبا لأمرها به[1]، فالنبي ﷺ علّمَ النساء وقام بإعطائهن كافة المسائل والأحكام المتعلقة بما يَخُصُّهنَّ دون الرجال، وَمِثْلُ استنكار عائشة في الرواية يصل بنا إلى المدى العظيم والواسع من العلم الذي كانت عليه النساء اللواتي تتلمذن على يدي رسول الله ﷺ، وهذا له دور بارز في حماية الدين من التحريف والتبديل.

[1] – **يُنظر:** النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج4، ص27)، والأُزَمي، **الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم**، (ج6، ص246).

المبحث الثاني

مجالات العلوم في السُنَّة النبويَّة

تعددت مجالات العلوم في السنّة النبويّة، فمنها ما جاء في علوم الدين، ومنها في علوم الدنيا، ومنها ما جمع بين الاثنين، وهذه المجالات يمكن تقسيمها باعتبارين، هما: اعتبار الخير، واعتبار الشر، وبيان ذلك كالآتي:

المطلب الأول: علوم الدين وعلوم الدنيا في السُنَّة النبويَّة:

أولاً: علوم الدين: لا شك أن طلب العلم الشرعي هو من أعظم الأمور التي يمكن أن يتقرب بها العبد إلى ربه، والأحاديث في ذلك كثيرة وثابتة في السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ، ولهذا جعل طريق العلم طريقاً للجنة، ومن هذه الأحاديث التي تشهد لأفضلية العلم الشرعي، ما يلي:

1. عن مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه، قال: "سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ...)"[1].

قال ابن بطال: "فيه فضل العلماء على سائر الناس، وفيه فضل الفقه في الدين على سائر العلوم، وإنما ثبت فضله؛ لأنه يقود إلى خشية الله، والتزام طاعته، وتجنب معاصيه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾فاطر: 28 "[2].

وهذه الأحاديث وغيرها تبين فضل العلوم الشرعية على غيرها من العلوم الدنيوية.

2. وعن أبي مُوسَى رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "«مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابٌ: مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، رقم الحديث (71)، (ج1، ص25)، وكِتَابُ فَرْضِ الخُمُسِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ} [الأنفال: 41] "، رقم الحديث (3116)، (ج4، ص85)، وحديث رقم (7312)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ»، رقم الحديث (1037)، (ج3، ص1524).

[2] – ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: 449هـ)، **شرح صحيح البخاري**، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، (ط/2، 1423هـ – 2003م)، (ج1، ص154).

الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»"[1].

وقد بوّب البخاري رحمه الله الحديث بباب فَضْلِ مَنْ عَلِمَ وَعَلَّمَ، والنبي ﷺ هو خير من تعلم وعلّمَ، وهو خير قدوة وخير مثال للمعلمين ليقتدوا به في نشر علمهم وتفقيه غيرهم، وللمتعلمين أيضاً لحاجتهم للعلم؛ لإحياء قلوبهم ونفوسهم به لِتتشرب العلم كما تتشرب الأرض الطيبة الماء فتنتفع بهِ.

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب العلم، بَابُ فَضْلِ مَنْ عَلِمَ وَعَلَّمَ، رقم الحديث (79)، (ج1، ص27).

ثانياً: علوم الدنيا: تعددت العلوم الدنيوية وكثرت لا سيما في أيامنا هذه، حيث أصبحت هذه العلوم سلاحاً ذا حدين، فمن استغل العلوم الدنيوية بشكلٍ إيجابي سيفيد نفسه والمجتمع الذي حوله، ومن استغل هذه العلوم بشكلٍ سلبي وخاطئ فقد يؤثر على المجتمع ككل، ومن هنا فيجب صيانة النفس وتوجيهها لدراسة العلوم الدنيوية النافعة؛ لأن تركها يؤدي إلى تعطيل مصالح العباد وعدم الانضباط في الحياة.

فدراسة العلوم الدنيوية مهمٌّ، حيث إن أربعاً من الضروريات الخمس وهي: حفظ النفس، والمال، والعقل، والعرض، بحاجة إلى العلوم الدنيوية، ولكن أهميته يجب ألّا تغني عن دراسة العلم الشرعي والتفقه فيه، فهذه الضروريات الأربع لا يمكن تصورها من غير الضرورة الخامسة وهي حفظ الدّين.

1. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عن رَسُولُ اللهِ ﷺ: "(...مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ...)"[1].

وهذا الحديث عام في قضية طلب العلم فيدخل فيه العلم الشرعي والعلم الدنيوي، فالنبي ﷺ لم يحدد ولم يخصص علماً على غيره، فكأنه قال من سلك طريقاً يتعلم فيه العلم النافع ليعلم نفسه وينتفع به غيره كان الله معه وسهل له هذا الطريق.

2. وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عن رَسُولَ اللهِ ﷺ، أنه قَالَ: " إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: ...أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، ..."[2].

يبين هذا الحديث الشريف أن الإنسان إذا مات ينقطع بموتِهِ عن كل شيء، فلهذا من المفترض أن ينقطع ثوابه، ولكن من رحمه الله أن جعل بعض الأعمال سبباً لتجدد الثواب واستمراره

---

[1] – مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ، رقم الحديث (2699)، (ج4، ص2047).

[2] – مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الوصية، بَابُ مَا يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنَ الثَّوَابِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، رقم الحديث (1631)، (ج3، ص1255).

حتى بعد موت الشخص، ومنها العلم النافع، سواء كان علماً شرعياً أو علماً دنيوياً فالحديث عام في ذلك، وفضل العالم ليس فقط في دنياه عندما ينشر علمه وينفع به غيره، وإنما بعد مماته أيضاً.

وقسّم الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين، العلوم: "إلى ما هو محمود، فالمحمود ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطبّ والحساب...، وإلى ما هو مذموم، والمذموم فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعوذة والتلبيسات...، وإلى ما هو مباح، والمباح منه فالعلم بالأشعار التي لا سخف فيها وتواريخ الأخبار وما يجري مجراه"[1].

وكلام الإمام الغزالي يبين لنا مدى أهمية علوم الدنيا المحمودة وأنها مكملة لِنِظام الحياة، فكل علم هو في ذاته مهم ولا يُستغنى عنه، ولكن لو تمكن المسلم من الجمع بين العلم الشرعي بالإضافة إلى أحد العلوم الدنيوية أو أكثر كالطب والحساب وغيرها، لكان ذلك خيراً له وأفضل؛ لأن دراسة العلوم الدنيوية ليست منافيه للتفقّه في العلم الشرعي.

المطلب الثاني: علوم الخير وعلوم الشرّ في السُنَّة النَّبويَّة:

أولاً: علوم الخير: هنالك عدة اعتبارات قد يتم بها تقسيم العلم، منها: اعتبار الخير والانتفاع بالعلم، مثل: العلم الشرعي حيث لا ينكر أحدٌ أنه من علوم الخير بل هو الخير جله، كيف لا والنبي ﷺ قال: (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ...)[2]، فأي خير أعظم من اختيار الله لك لدراسة العلم الشرعي بشهادة الحبيب ﷺ.

ومنها: اعتبار عدم الانتفاع، فهو أقرب إلى المباح كما جاء في قول الغزالي مثل: العلم بالأشعار التي لا سخف فيها، وتواريخ الأخبار وما يجري مجراه.

وكلام الغزالي يدور حول هذه الاعتبارات فملخص قوله: أن العلم الدنيوي منه ما هو محمود وذلك لما فيه من الخير، مثل الطبّ، فهو علم لا يمكن الاستغناء عنه، وكيف يُستغنى عنه

---

[1] – الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت: 505هـ)، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة – بيروت، (ط/بلا)، (ج1، ص16).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب العلم، بَابٌ: مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، رقم الحديث (71)، (ج1، ص25)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الزكاة، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْمَسْأَلَةِ، رقم الحديث (1037)، (ج2، ص719).

وقد جاء علم الطبّ للمحافظة على أحد أهم الضروريات الخمس التي لا بد منها لكل إنسان ليعيش حياته الكريمة، ألا وهو البدن (أي النفس)، فالطبيب مسؤول عن الأبدان التي تُقدِّم نفسها لهُ للعلاج والخلاص من المرض الذي تحمله وتعاني منه، وكذا علم الحساب وباقي العلوم، فلا يمكن الاستغناء عن علم معين، فكل علم بذاته مهم ومكمل لحاجة الناس وضرورياتها، وإلا تعرض الناس للخطر وألقوا بأنفسهم إلى التهلكة.

ثانياً: علوم الشرّ: وهي العلوم التي جاءت لإلحاق الضرر بالغير، حيث يهدف من يتعلمها ويتعامل بها إلى الأذى والهلاك للناس، قال الله عز وجل في كتابه: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ الفلق: 4.

وأمثلته: السحر والكهانة والعرافة والتنجيم، وهذه العلوم ما هي إلا أعمال كفرية يدَّعي صاحبها العلم بالغيب، وأنه يعلم مكان الأشياء المسروقة والمفقودة...، فأصحاب هذه العلوم ليس لهم هدف إلا الضرر والأذى للناس، وذلك من خلال التفريق بين الأزواج وأكل مال الناس بدعوى إعطائهم المعلومات الغيبية، وقد ورد أدلة من القرآن والسنة في النهي عن مثل هذه العلوم وبيان مدى خطورتها وما يترتب عليها من العقاب، منها:

- قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾البقرة: 102.

والكلام في هذه الآية وتفسيرها طويل جداً، ولكن أمر تعلم السحر وما يُخلَّفه من أذى وضرر للناس واضح من الآية.

- وعَنْ صَفِيَّةَ، عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "«مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»"[1].

[1] – مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب السَّلَامِ، بَابُ تَحْرِيمِ الْكَهَانَةِ وَإِتْيَانِ الْكُهَّانِ، رقم الحديث (2230)، (ج4، ص1751).

فأي عقوبة أشد من عدم قَبول الصلاة من العبد، وما فرض الله هذه العقوبة إلا ليبين للناس مدى خطورة إتيان العرَّافين والمنجّمين، وما يُلحقونه من الضرر والأذى بالناس، والكهان بمقام السحرة والعرّافين والمنجّمين، والأدلة على ذلك موجودة وثابتة [1]، ولكن المقام لا يتسع لذكرها هنا، فاكتفيت بهذه الأدلة من القرآن والسنة.

فكل علم وافق الشريعة الإسلامية وفيه خير ونفعٌ للناس فهو من علوم الخير، وبالمقابل كل علم فيه مفسده وضرر وهلاك للناس فهو من علوم الشر، فاعتبارات العلوم تكون ما بين الخير والشر حيث تحدد بموافقتها للشريعة الإسلامية، باتباع أوامرها واجتناب نواهيها.

وفي نهاية هذا المبحث ينبغي الإشارة إلى ما نبه عليه بعض من سلفنا الصالح رحمهم الله، من وجوب معرفة الشر وليس تعلمه؛ وذلك لتوخيه، والحذر من الوقوع به، وهذا مقصد الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان من قوله: "«تَعَلَّمَ أَصْحَابِي الخَيْرَ وَتَعَلَّمْتُ الشَّرَّ»"[2].

وذكر في موضع آخر، من طريق أخرى أنه كان يسأل النبي ﷺ ويستفسر منه عن الشر مخافة أن يدركه، قال: "كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي»"[3].

وفي هذه الرواية الكثير من الحرص من سيدنا حذيفة رضي الله عنه، حيث قَصد من قوله أنه تعلم معرفة مواطن الشر وأسباب الوقوع فيه، فابتعد مخافة أن يدركه ويقع به، فمعرفة الإنسان بالشر ضرورية حتى يتمكن من تفاديه وتجنبه، وإلّا كان مصيدةً للوقوع في الشرور والفتن التي تُحيط به من غير أن يعلمها، فالأمر جُلّه يعود إلى العلم، فالعلم طريق المعرفة، والمعرفة تقود الإنسان إلى معرفة مواطن الخير والعمل بها، وإلى معرفة مواطن الشر والابتعاد عنها.

---

[1] – **يُنظر**: البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ قَوْلِ الرَّجُلِ لِلشَّيْءِ: لَيْسَ بِشَيْءٍ، وَهُوَ يَنْوِي أَنَّهُ لَيْسَ بِحَقٍّ، رقم الحديث (6213)، (ج8، ص47)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب السَّلَامِ، بَابُ تَحْرِيمِ الْكَهَانَةِ وَإِتْيَانِ الْكُهَّانِ، رقم الحديث (2228)، (ج4، ص1750).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ المَنَاقِبِ، بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ، رقم الحديث (3607)، (ج4، ص200).

[3] – **المرجع السابق**، كِتَابُ المَنَاقِبِ، بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ، رقم الحديث (3606)، (ج4، ص199).

الفصل الأول

طرق تلقّي العلم، والصفات الأساسيّة لِمتلقيه، وأُسس تميّز طالب العلم في السُنَّة النَّبويَّة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: طرق تلقي العلم وطلبه في السُنَّة النَّبويَّة:

المبحث الثاني: الصفات الأساسية لمتلقي العلم في السُنَّة النَّبويَّة:

المبحث الثالث: أسس تميّز طالب العلم في السُنَّة النَّبويَّة:

الفصل الأول

طرق تلقي العلم، والصفات الأساسية لِمتلقيه، وأسس تميّز طالب العلم في السُنَّة النَّبويَّة

إنَّ السُنَّة النَّبويَّة زاخرة بالأحاديث المتعلقة بموضوع العلم، فلا تكاد تجد جانباً من جوانب العلم إلا وفيه حديث من أحاديث النبي ﷺ، لذا وبعد الحديث عن مفهوم العلم في الفصل التمهيدي، يأتي هذا الفصل ليتناول الطرق التي من خلالها يتمكن طالب العلم من تحصيل العلم في الجانب والتخصص الذي يختاره، ثم معرفة أهم الصفات التي يجب عليه أن يتحلى بها عند تلقيه العلم، واكتساب الأسس التي تمكنه من النبوغ فيه حتى يتمكن من الانطلاق في رحلته العلمية، وهو ما سأبينه من خلال المباحث الثلاثة الآتية:

المبحث الأول

طرق تلقّي العلم وطلبه في السُنَّة النَّبويَّة

لقد ورد العديد من الطرق التعليمية في أحاديث النبي ﷺ، وتم الاعتماد على أعمها وأشملها وهي خمس كما سيتم ذكرها في هذا المبحث، وما سواها تكون على الأغلب وسائل فرعية تندرج تحت الوسائل الرئيسية التي سيتم ذكرها، وقد بلغ عدد الأحاديث في الوسائل ما يقارب عشرة أحاديث سيتم شرحها وتفصيلها تحت كل مطلب يتناسب مع موضع الرواية، وبيان ذلك كآلاتي:

المطلب الأول: مجالسة العلماء:

لا شك أن ملازمة العلماء ومجالستهم هي طريق العلم، وطريق صناعة العلماء، فكيف للمتعلم تلقي العلم ودراسته والخوض في ثناياه من غير حضور مجالس العلماء ومدارستهم، ولنا في السلف الصالح خير قدوة في حثهم على العلم ومجالسه، ومما نُقل عنهم، قول عبد الرحمن بن مهدي: "كان الرجل من أهل العلم، إذا لقي من هو فوقه في العلم، فهو يوم غنيمته، سأله وتعلم منه، وإذا لقي من هو دونه في العلم علَّمه، وتواضع له، وإذا لقي من هو مثله في العلم ذاكره ودارسه"[1]، وما ذكره ابن عبد البر بإسناده، قال: "كتب إلينا عمر بن عبد العزيز: «أما بعد: مُرْ أهل العلم والفقه من جندك فلينشروا ما علمهم الله عز وجل في مجالسهم ومساجدهم، والسلام»"[2].

وسأبين فيما يأتي أهم القضايا التي تتعلق بمجالسة العلماء:

أولاً: مفهوم المجالسة:

ونقصد بمجالسة العلماء: هي الجلوس مع أهل العلم، والتحدث إليهم في الأمور العلمية المراد اكتسابها وتعلمها.

---

[1] – الرامهرمزي، أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الفارسي (ت: 360هـ)، **المحدث الفاصل بين الراوي والواعي**، المحقق: د. محمد عجاج الخطيب، دار الفكر – بيروت، (ط/3، 1404)، أوصاف الطالب وآدابه، (ص205).

[2] – ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم النمري القرطبي (ت: 463هـ)، **جامع بيان العلم وفضله**، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، (ط/1، 1414 هـ – 1994 م)، باب جامع لنشر العلم، رقم الحديث (788)، (ج1، ص496).

ثانياً: آداب المجالسة [1]:

1. فضل سد خُلل الحلقة.

2. جلوس المرء حيث انتهى مجلسه، ولا يُقيم أحداً.

3. الثناء على من فعل جميلاً.

ثالثاً: عوائق المجالسة[2]:

1. الاستحياء من متابعة مجالس العلم.

2. الإعراض عن مجالس العلم، فمن قصد العلم ومجالسه، ثم أعرض عنها، فإن الله يُعرض عنه، ومن أعرض الله عنه فقد تعرَّض لسخطه.

رابعاً: النماذج الدالة على المجالسة في السُنَّة النَّبويَّة:

1. مجالسة النبي ﷺ للصحابة في المسجد: ومثاله ما رواه أَبِو وَاقِد اللَّيْثِيّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ " بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي المَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا: فَرَأَى فُرْجَةً فِي الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الآخَرُ: فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ: فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلاَثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَآوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ»"[3].

---

[1] – **يُنظر:** العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين (ت: 855هـ)، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ط/بلا)، (ج2، ص31).

[2] – **يُنظر:** ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج1، ص148).

[3] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ مَنْ قَعَدَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ المَجْلِسُ، وَمَنْ رَأَى فُرْجَةً فِي الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، رقم الحديث (66)، (ج1، ص24)، وكِتَابُ الصَّلاَةِ، بَابُ الحِلَقِ وَالجُلُوسِ فِي المَسْجِدِ، رقم الحديث (474)، (ج1، ص102)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب السَّلَامِ، بَابُ مَنْ أَتَى مَجْلِسًا فَوَجَدَ فُرْجَةً فَجَلَسَ فِيهَا وَإِلَّا وَرَاءَهُمْ، رقم الحديث (2176)، (ج4، ص1317).

وموضع الشاهد من حديث أبي واقد الليثي هو مجلس النبي ﷺ في المسجد والصحابة من حوله يستمعون إليه، وفي ذلك "استحباب التحليق في مجالس الذكر والعلم، وفيه أيضاً فضل ملازمة حلق العلم والذكر وجلوس العالم والمذكر في المسجد"[1].

وأشار كثير من المفسرين إلى هذا الحديث، فمثلاً ذكره الرازي في تفسيره[2] عند وصوله إلى قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ البقرة: 31، فذكر الحديث في معرض صفات العلماء التي ذكرها الله في كتابه، حيث ذكر عدداً من الآيات التي تحمل الصفات، ثم انتقل إلى الأحاديث والأخبار التي تحمل صفات للعلماء من السنة النبوية، ومثله النيسابوري في تفسيره غرائب القرآن [3]، وأما ابن كثير [4] من القدماء ودروزة [5] من المعاصرين فقد ذكروا هذا الحديث في تعرضهم لآية سورة المجادلة وهي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ المجادلة: 11، فجاء في قولهم: "قيل نزلت هذه الآية في مجالس الذكر، وذلك أنه كان بعض من حول النبي ﷺ إذا رأوا أحدهم مقبلا ضنوا بمجالسهم عند رسول الله ﷺ، فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض"[6]، وقوله (فانشزوا): أي انهضوا للتوسعة على المقبلين أو لما أمرتم به من صلاة أو جهاد أو غيرهما من أعمال الخير {فانشزوا} فانهضوا ولا تتثبطوا ولا تفرطوا"[7].

---

[1] – ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (ج1، ص157).

[2] – **يُنظر**: الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين خطيب الري (ت: 606هـ)، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ط/3 – 1420 هـ)، (ج2، ص396–401).

[3] – **يُنظر**: النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (ت: 850هـ)، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط/1 – 1416 هـ)، (ج1، ص221–226).

[4] – **يُنظر**: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، (ط/2، 1420هـ – 1999 م)، (ج8، ص48).

[5] – **يُنظر**: دروزة، محمد عزت، **التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]**، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، (ط/ 1383 هـ)، (ج8، ص485).

[6] – ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (ج8، ص48).

[7] – أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ)، **تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ط/بلا)، (ج8، ص220).

وبهذا نصل إلى اكتشاف مدى حرص الصحابة رضوان الله عليهم على التعليم والأخذ عن النبي ﷺ وحضور مجالسه، وأما مجالس العلم الآن تتمثل بدخول الإنسان إلى الجامعة والتسجيل بالتخصص الذي يريده وأن يتفقّه في العلم سواء الشرعي للمسلم، أو العلوم الأخرى لباقي الناس، وأن يبذل قصارى جهده بأن يكون أحد منارات هذا الزمن، وتشجيع الناس على العلم ببيان فضل العلم ومنزلة العلماء عند الله، وهذا لا يكون إلا بالتوجه إلى مجالس العلم وحلقات الذكر في كل مكان، في المساجد والمعاهد والكليات والمدارس وحتى في الطرقات.

وينبغي الإشارة إلى أن موقف الناس من تلقي العلم والجلوس في مجالسه ثلاثة كما أشار إليها الحديث بطوله، أفضلهم جميعًا هو الذي يزاحم الناس إلى مجلس العلماء، ويسرع إلى الاغتراف من علمهم، ويحرص على المتابعة والتلقي والفهم، والمنافسة والتقدم على غيره في تحصيله، وأوسطهم هو الذي يُقبل على مجالسه حيثما كان هو، وفي أي موقع من مجالسة، وأما الثالث الذي ترك المجلس وأعرض عنه، فأعرض الله تعالى عنه وغضب عليه [1].

2. الاجتماع على مدارسة العلم ومذاكرته سبب في نزول الرحمة: ومثاله ما رواه أَبِو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «...مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ...»"[2].

ومن المجالسة الاجتماع في بيت من بيوت الله لعقد مجلس علم لتلاوة القرآن، ودراسته فيما بينهم، وقيل: وقوله: (في بيت من بيوت الله)، وبيت الله خرج مخرج الغالب حيث كان في السابق هو مجمع المسلمين ومركزهم، وكذا لو اجتمعوا في غير المسجد، وفيه فضيلة الاجتماع لتلاوة القرآن ولعل الاجتماع الذي في الحديث للتعليم كذلك بدليل قوله يتدارسونه، وقال الطيبي: بيت الله شامل لجميع ما يبنى لله تقربًا إليه من المساجد، والمدارس، والرُبط، أي ما اجتمعوا في مسجد من

---

[1] – **يُنظر:** علي علي صبح، **التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف**، المكتبة الأزهرية للتراث، (ط/1: 1423 هـ- 2002م)، (ص186)

[2] – مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَار، بَابُ فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ، رقم الحديث (2699)، (ج4، ص2074).

مساجد الله تعالى [1]، والأمر هنا إنما هو لبيان فضل مجالس العلم الذي يكون فيها الاجتماع على ذكر الله من تلاوة كتابه ودراسته، فاختلاف المكان لا يهم سواء في المساجد كما كان سابقاً، أو في الجامعات والمدارس والكليات حالياً، فالمهم أن يكون مجلس العلم للذكر والتلاوة والدراسة، فالمقصود ليس الحصر في المسجد فقط، مع عدم إهمال المساجد، والتقليل من أهميتها في هذا الشأن، وكذا العلوم المقصودة ليست فقط التي تتعلق بالعلوم الشرعية بل تشمل جميع العلوم الدنيوية النافعة مع عدم إهمال تخصص العلوم الشرعية ومدى أهميتها، فكل مقامٍ أو مكانٍ يُستطاع فيه تلاوة كتاب الله ودراسة العلوم الشرعية والدنيوية فيه، يُعد مجلس علم، ويكون سبباً لنزول السكينة والطمأنينة على جلوسه وشهوده، ويكون سبباً أيضاً في تغطيتهم وسترهم برحمه الله ورضوانه، ثم إحاطة الملائكة لهم تشريفاً وتعظيماً لما يصنعون، وثناء الله عليهم فيمن عنده من الملائكة المقربين.

المطلب الثاني: السفر والرحلة في طلب العلم والتعليم:

لا شك أن طريق العلم فيه مشقة وتعب، وأكثر ما يجعله شاقاً ومتعباً هو الرحلة والسفر في طلبه، فهي أشبه ما يكون بالجهاد في سبيل الله، ففيها ترك للمال وللأهل وللولد، فطالب العلم لا بد له من أن يضحي بكثير من الأشياء من أجل العلم، فهذا الصحابي الجليل جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رحل مَسِيرَةَ شَهْرٍ، إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ، فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ [2].

أولاً: النماذج الدالة على الرحلة في طلب العلم في السُنَّة النَّبويَّة:

- **رحلة سيدنا موسى عليه السلام لطلب العلم عند الخضر:** فقد روى ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّهُ تَمَارَى[3] هُوَ وَالحُرُّ بْنُ قَيْسِ بْنِ حِصْنٍ الفَزَارِيُّ فِي صَاحِبِ مُوسَى، فَمَرَّ بِهِمَا

---

[1] – **يُنظر:** الأُرَمي، محمد الأمين بن عبد الله العَلَوي الهَرَري الشافعي، نزيل مكة المكرمة والمجاور بها، **الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (المسمَّى: الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج)**، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور هاشم محمد علي مهدي، المستشار برابطة العالم الإسلامي –مكة المكرمة، دار المنهاج –دار طوق النجاة، (ط/1، 1430هـ–2009م)، (ج25، ص63).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ الخُرُوجِ فِي طَلَبِ العِلْمِ، (ج1، ص26).

[3] – أي تجادل وتنازع. ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج4، ص476).

أُبَيٌّ بْنُ كَعْبٍ، فَدَعَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، فسأله، فَقَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ شَأْنَهُ يَقُولُ: " بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: أَتَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟ قَالَ مُوسَى: لاَ، فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مُوسَى: بَلَى، عَبْدُنَا خَضِرٌ، فَسَأَلَ السَّبِيلَ إِلَى لُقِيِّهِ، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ الحُوتَ آيَةً، ... فَوَجَدَا خَضِرًا، فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا مَا قَصَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ "[1].

قال ابن حجر: "هذا الباب معقود للترغيب في احتمال المشقة في طلب العلم، لأن ما يُغتبط به تحتمل المشقة فيه، ولأن موسى عليه الصلاة والسلام لم يمنعه بلوغه من السيادة المحل الأعلى من طلب العلم وركوب البر والبحر لأجله"[2].

ولعل هذا الحديث كان بمثابة قاعدة وأصل في حياة كل عالم، فالمتتبع لحياة العلماء من الصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم يرى أنه من الصعب إن لم يكن من الاستحالة ألّا يكون هنالك رحلة وسفر في حياة كل واحد منهم في سبيل العلم، فالمشقة ارتبطت بطريق العلم ورابطها الأكبر كان في السفر والرحلة في طلبه، فسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام كان نبياً مرسلاً من ربه وكان عالماً، إلا أنه عندما عَلِمَ أن هنالك من هو أعلم منه، ركب البر والبحر في سبيل التعلم ممن هو أعلم منه، مع التوضيح بأن رحلة سيدنا موسى لم تكن لتعلم الحكم الشرعي، وإنما كانت لتعلم قضايا أخرى أهمها أن لا نحكم على الظاهر كما جاء في القصة، وهي علم كان لا بد من تعلمه عن طريق السفر، والرحلة لبيان مدى أهمية هذه الخطوة للأنبياء والعلماء والمسلمين من بعدهم، وذلك لأنها قضايا متكررة وبديهية في السُنة الكونية لحياة الأفراد، وهذا ما كان عليه علماؤنا رحمهم الله في مؤلفاتهم، فالخطيب البغدادي ألف كتاباً سماه **(الرحلة في طلب الحديث)**[3].

وفي الوقت المعاصر، ومع اختلاف الوسائل والكيفيات، فإن خروج أحدنا إلى إكمال المرحلة الدراسية في الجامعات، والمعاهد خارج بلاده هي المشقة بعينها، فالغربة، وترك الأهل،

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ الخُرُوجِ فِي طَلَبِ العِلْمِ، رقم الحديث (78)، (ج1، ص26)، وبَابُ مَا ذُكِرَ فِي ذَهَابِ مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي البَحْرِ إِلَى الخَضِرِ، رقم الحديث (74)، (ج1، ص26)، وكِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ فِي المَشِيئَةِ وَالإِرَادَةِ: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ}، رقم الحديث (7478)، (ج9، ص140)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، رقم الحديث (2380)، (ج4، ص1852).

[2] – ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (ج1، ص168).

[3] – الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت: 463هـ)، **الرحلة في طلب الحديث**، المحقق: نور الدين عتر، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط/1، 1395).

والوطن، والمال، والولد، والمصالح، هي بحد ذاتها مشقة وتعب قبل البداية، والشروع في الدراسة والتعلم، لكن التضحية من أجل العلم أمر عظيم وإن كان متعباً وشاقاً.

ثانياً: الآثار التي ترافق عملية السفر في طلب العلم [1]:

فمن رواية موسى عليه السلام مع الخضر، يمكن استنتاج أهم الآثار المترتبة على عملية الرحلة لطلب العلم، منها:

1. التَّنْبِيه على شرف التَّعْلِيم، حَتَّى جَازَ فِي طلبه المخاطرة بركوب الْبَحْر، واحتمال المشقة في سبيله.

2. الرجوع إلى قول أهل العلم عند التنازع في المسألة.

المطلب الثالث: التعلم بالمراسلة:

تعد المراسلة من أهم الوسائل والطرق التي استخدمها الإنسان للتواصل مع العالم المحيط به، بدايةً من الحمام الزاجل، ومروراً بإرسال الرسل في العهد القديم، ثم تطور الأمر في أيامنا هذه حتى أصبحت المراسلات الإلكترونية هي الأكثر استخداماً ورواجاً لسهولة الاستخدام وحاجة العصر.

أولاً: مفهوم المراسلة:

والمراسلة من الرسالة ويُقصد بها أنها: " انبعاث أمر من المرِسل إلى المرَسل إليه، وأصلها المجلة أي الصحيفة المشتملة على قليل من المسائل التي تكون من نوع واحد"[2].

فالمراسلة إذاً هي: عملية يتبادل فيها طرفان مجموعة من الأخبار والرسائل.

---

[1] – **يُنظر:** الجروي، أحمد بن محمد بن منصور بن القاسم بن مختار القاضي، أبو العباس ناصر الدين ابن المنير الجذامي الإسكندراني (ت: 683هـ)، **المتواري على تراجم أبواب البخاري**، المحقق: صلاح الدين مقبول أحمد، مكتبة المعلا – الكويت، (ط/بلا)، (ص59)، والعيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج2، ص64)، والقاضي عياض، عياض بن موسى بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت: 544هـ)، **شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمٍ لِلقَاضِى عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِمٍ**، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، (ط/1، 1419هـ–1998م)، (ج7، ص375–378).

[2] – المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، (ص177).

ثانياً: جوانب المراسلة:

الجانب الأول: ويتمثل في تعليم فئة ومجموعة من القوم وتكليفهم بإخبار من ورائهم من القوم.

- وأما النماذج الدالة على الجانب الأول من المراسلة في السُنَّة النَّبويَّة، فهي:

1. وصية النبي ﷺ للوفد بإخبار القوم من ورائهم بما تعلموه: ومثاله ما رواه أَبو جَمْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: "كُنْتُ أُتَرْجِمُ بَيْنَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَبَيْنَ النَّاسِ، فَقَالَ: إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: ...فَمُرْنَا بِأَمْرٍ نُخْبِرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، نَدْخُلُ بِهِ الجَنَّةَ. فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: أَمَرَهُمْ بِالإِيمَانِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ، قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَتُعْطُوا الخُمُسَ مِنَ المَغْنَمِ» وَنَهَاهُمْ عَنِ الدُّبَّاءِ وَالحَنْتَمِ وَالمُزَفَّتِ " قَالَ شُعْبَةُ: رُبَّمَا قَالَ: «النَّقِيرِ» وَرُبَّمَا قَالَ: «المُقَيَّرِ» [1] قَالَ: «احْفَظُوهُ وَأَخْبِرُوهُ مَنْ وَرَاءَكُمْ»"[2].

وفي الحديث تحريض العَالِم للناس أن يحفظوا العلم، ويُعلموه، وأن للرجل أن يعلّم أهل بيته[3]، فقوله ﷺ: (احْفَظُوهُ وَأَخْبِرُوهُ مَنْ وَرَاءَكُمْ)، فيه وصيةً منه ﷺ للوفد من بني القيس بأن يحفظوا ويفهموا ما قاله النبي ﷺ لكي يوصلوه إلى باقي القوم وإلى أهليهم، فهنا حصلت المراسلة في إخبار الوفد بما سمعوه من النبي ﷺ لقومهم وأهليهم، فهي عملية نقل للعلم الذي هو الخبر

---

[1] – **الدباء**: القرعة، **والحنتم**: الجِرَار المطلية بالزجاج، **والمزفّت**: المطليُّ بالزفت، **والمقيّر**: المطليّ بالقار، وهو نوع من الزفت، القرطبي، أبو العباس ضياء الدين أحمد بن عمر الأنصاري الأندلسي القرطبي (578هـ–656هـ)، **اختصار صحيح البخاري وبيان غريبه**، المحقق: رفعت فوزي عبد المطلب، دار النوادر، دمشق – سوريا، (ط/1، 1435هـ– 2014م)، (ج1، ص61).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ تَحْرِيضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدَ عَبْدِ القَيْسِ عَلَى أَنْ يَحْفَظُوا الإِيمَانَ وَالعِلْمَ، وَيُخْبِرُوا مَنْ وَرَاءَهُمْ، رقم الحديث (87)، (ج1، ص29)، وكِتَابُ الإِيمَانِ، بَابٌ: أَدَاءُ الخُمُسِ مِنَ الإِيمَانِ، رقم الحديث (53)، (ج1، ص20)، وكِتَابُ مَوَاقِيتِ الصَّلاَةِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ المُشْرِكِينَ} [الروم: 31]، رقم الحديث (523)، (ج1، ص111)، وحديث رقم (1395)، وحديث رقم (3095)، وحديث رقم (4368)، وحديث رقم (6176)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ الْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَشَرَائِعِ الدِّينِ، وَالدُّعَاءِ إِلَيْهِ، رقم الحديث (17)، (ج1، ص46)، وكتاب الْأَشْرِبَةِ، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الِانْتِبَاذِ فِي الْمُزَفَّتِ وَالدُّبَّاءِ وَالْحَنْتَمِ وَالنَّقِيرِ، وَبَيَانِ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ، وَأَنَّهُ الْيَوْمَ حَلَالٌ مَا لَمْ يَصِرْ مُسْكِرًا، رقم الحديث (1995)، (ج3، ص1579).

[3] – **يُنظر**: ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج1، ص159)، والعيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج1، ص310).

والرسالة من الطرف الأول وهو النبي ﷺ، عن طريق هذا الوفد وهم المتعلم الأول، إلى الطرف الآخر الذي يتمثل في قومهم وأهليهم.

2. إرسال ابن عباس كتاباً فيه أجوبة ما سأله نجدة الحروري: ومثاله ما رواه يَزِيدُ بْنُ هُرْمُزَ، قَالَ: كَتَبَ نَجْدَةُ بْنُ عَامِرٍ الْحَرُورِيُّ [1] إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ يَسْأَلُهُ، عَنِ الْعَبْدِ وَالْمَرْأَةِ يَحْضُرَانِ الْمَغْنَمَ، هَلْ يُقْسَمُ لَهُمَا؟ وَعَنْ قَتْلِ الْوِلْدَانِ؟ وَعَنِ الْيَتِيمِ مَتَى يَنْقَطِعُ عَنْهُ الْيُتْمُ؟ وَعَنْ ذَوِي الْقُرْبَى مَنْ هُمْ؟ فَقَالَ لِيَزِيدَ: اكْتُبْ إِلَيْهِ، فَلَوْلَا أَنْ يَقَعَ فِي أُحْمُوقَةٍ [2] مَا كَتَبْتُ إِلَيْهِ [3]، اكْتُبْ: «إِنَّكَ كَتَبْتَ تَسْأَلُنِي عَنِ الْمَرْأَةِ وَالْعَبْدِ يَحْضُرَانِ الْمَغْنَمَ، هَلْ يُقْسَمُ لَهُمَا شَيْءٌ؟ وَإِنَّهُ لَيْسَ لَهُمَا شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُحْذَيَا، وَكَتَبْتَ تَسْأَلُنِي عَنْ قَتْلِ الْوِلْدَانِ، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَقْتُلْهُمْ، وَأَنْتَ فَلَا تَقْتُلْهُمْ إِلَّا أَنْ تَعْلَمَ مِنْهُمْ مَا عَلِمَ صَاحِبُ مُوسَى مِنَ الْغُلَامِ الَّذِي قَتَلَهُ، وَكَتَبْتَ تَسْأَلُنِي عَنِ الْيَتِيمِ مَتَى يَنْقَطِعُ عَنْهُ اسْمُ الْيُتْمِ؟ وَإِنَّهُ لَا يَنْقَطِعُ عَنْهُ اسْمُ الْيُتْمِ حَتَّى يَبْلُغَ وَيُؤْنَسَ مِنْهُ رُشْدٌ، وَكَتَبْتَ تَسْأَلُنِي عَنْ ذَوِي الْقُرْبَى مَنْ هُمْ؟ وَإِنَّا زَعَمْنَا أَنَّا هُمْ، فَأَبَى ذَلِكَ عَلَيْنَا قَوْمُنَا»"[4].

وفي هذا الحديث نرى أن هنالك طلب من أحد الطرفين بالكتابة له عن مسائل وقضايا لا يعلمها، وهو نجدة بن عامر الحروري فهو يمثل الطرف الأول، وأما الطرف الثاني الذي طُلبت منه الكتابة فهو ابن عباس، حيث طلب من يزيد الكتابة وأملى عليه الأجوبة ودفع إليه كتابه، فالشاهد هنا أنه حصل مراسلة معلومات وأخبار تمت الإشارة إليها من قِبَل أحدهم، فالتعليم بالمراسلة أمر

---

[1] – وهو: **نجدة** بن عامر الحروري من رؤوس الخوارج زائغ عن الحق، وهو ابن عمير اليمامي خرج باليمامة عقب موت يزيد بن معاوية وقدم مكة وله مقالات معروفة واتباع انقرضوا، وأنه كاتب بن عباس يسأله عن سهم ذي القربي وعن قتل الأطفال الذين يخالفونه وغير ذلك وأجابه بن عباس واعتذر عن مكاتبته له. ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت: 852هـ)، **لسان الميزان**، المحقق: دائرة المعرف النظامية – الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان، (ط/2)، 1390هـ /1971م، (ج6، ص148).

[2] – **أحموقة:** يعني فعلاً من أفعال الحمقى، ويرى رأي كرأيهم. النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت: 676هـ)، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ط/2، 1392)، (ج12، ص193).

[3] – **(فلولا أن يقع في أحموقة ما كتبت إليه):** أي لولا مخافة كتمان العلم (ما كتبت إليه) أي إلى نجدة الحروري من الخوارج معناه أن ابن عباس يكره نجدة لبدعته وهي كونه من الخوارج الذي يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ولكن لما سأله عن العلم لما يمكنه كتمه فاضطر إلى جوابه. الأُرَمي، **الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم**، (ج19، ص409–410).

[4] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ النِّسَاءِ الْغَازِيَاتِ يُرْضَخُ لَهُنَّ وَلَا يُسْهَمُ، وَالنَّهْيِ عَنْ قَتْلِ صِبْيَانِ أَهْلِ الْحَرْبِ، رقم الحديث (1812)، (ج3، ص1445).

قديم يرجع إلى عهد النبي ﷺ والصحابة الكرام، ولكنه كان محدوداً بالإمكانيات المتوفرة لديهم، وأما في عصرنا هذا فقد تطورت طرق التعليم بالمراسلة بتطور الأجهزة والمعدات.

الجانب الثاني من المراسلة: والذي يتمثل في رسائل النبي صلى الله عليه للملوك والحكام.

- وأما النماذج الدالة على هذا الجانب من السُنَّة النَّبويَّة، فهي:

1. مناولة الرسول كتاب العلم والذهاب به إلى الملوك والحكام: وأمثلة ذلك:

- ما رواه عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ: "أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ" بَعَثَ بِكِتَابِهِ رَجُلًا وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ البَحْرَيْنِ، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ البَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى، فَلَمَّا قَرَأَهُ مَزَّقَهُ فَحَسِبْتُ أَنَّ ابْنَ المُسَيِّبِ قَالَ: فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَنْ يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ»"[1].

- وما رواه أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: "كَتَبَ النَّبِيُّ ﷺ كِتَابًا –أَوْ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ –فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ لاَ يَقْرَءُونَ كِتَابًا إِلَّا مَخْتُومًا، فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ، نَقْشُهُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِهِ فِي يَدِهِ، فَقُلْتُ لِقَتَادَةَ مَنْ قَالَ: نَقْشُهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ أَنَسٌ"[2].

وفي الحديث مناولة النبي ﷺ الكتاب للرسول الذي كلفه أن يوصل هذه الرسالة لمن أمره، ويُستفاد من هذا جواز المراسلة بالتعليم، فالمراسلة هنا كانت بمثابة قاعدة أصّل لها النبي ﷺ، سواء على جانبها الأول المتمثل بتعليم فئة ومجموعة من القوم وتكليفهم بإخبار من ورائهم من القوم، أو الجانب الثاني الذي نحن بصدده والذي يتمثل بالرسائل للملوك والحكام.

2. كتابه إلى هرقل عظيم الروم: ومثاله ما رواه ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ، أَخْبَرَهُ مِنْ فِيهِ إِلَى فِيهِ، قَالَ: انْطَلَقْتُ فِي الْمُدَّةِ[3] الَّتِي كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ مَا يُذْكَرُ فِي المُنَاوَلَةِ، وَكِتَابِ أَهْلِ العِلْمِ بِالعِلْمِ إِلَى البُلْدَانِ، رقم الحديث (64)، (ج1، ص23).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ مَا يُذْكَرُ فِي المُنَاوَلَةِ، وَكِتَابِ أَهْلِ العِلْمِ بِالعِلْمِ إِلَى البُلْدَانِ، رقم الحديث (65)، (ج1، ص24)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب اللِّبَاسِ وَالزِّينَةِ، بَابٌ فِي اتِّخَاذِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتَمًا لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى الْعَجَمِ، رقم الحديث (2092)، (ج3، ص1657).

[3] - **المدَّة التي كانت بيني وبين رسول الله ﷺ:** يعني الصلح يوم الحديبية وكانت الحديبية في أواخر سنة ست من الهجرة. النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج12، ص103).

بِالشَّامِ إِذْ جِيءَ بِكِتَابٍ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى هِرَقْلَ يَعْنِي عَظِيمَ الرُّومِ، قَالَ: وَكَانَ دَحْيَةُ الْكَلْبِيُّ جَاءَ بِهِ، فَدَفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ بُصْرَى إِلَى هِرَقْلَ، فَقَالَ هِرَقْلُ: هَلْ هَاهُنَا أَحَدٌ مِنْ قَوْمِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَدُعِيتُ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَدَخَلْنَا عَلَى هِرَقْلَ،...، قَالَ: ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ...الحديث بطوله"[1].

فالمراسلة تمت هنا في الكتاب الذي أرسله النبي ﷺ لهرقل عظيم الروم، والذي يدعوه فيه إلى الإسلام والهدى، حيث جاءت واضحة المعالم والأطراف، بين النبي ﷺ، وبين الطرف الثاني وهو عظيم الروم.

وينبغي الإشارة إلى أن القرآن الكريم أصَّل لعملية المراسلة بآية واحدة، أصبحت منهجاً متبعاً، ووسيلة ثابتة من وسائل تلقي العلم من قِبَلِ النبي ﷺ ليعلّم الصحابة والعلماء من بعدهم، وهي قوله تعالى في قصة سيدنا سليمان في سورة النمل: ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ النمل: 28.

فألهم الله نبيه سليمان بحكمته "أن يجعل لاتصاله ببلاد اليمن طريق المراسلة لإدخال المملكة في حيز نفوذه، فكتب إلى ملكة سبأ كتابا لتأتي إليه وتدخل تحت طاعته، ولم يزل تبادلُ الرسائل بين الملوك من سُنَّة الدول ومن سُنَّة الدعاة إلى الخير، وقد كتب النبيﷺ إلى كسرى وقيصر.

فالهدهد من فصيلة الحمام، وهو قابل للتدجين، فقوله: اذهب بكتابي هذا يقتضي كلاماً محذوفاً وهو: أن سليمان فكر في الاتصال بين مملكته وبين مملكة سبأ فأحضر كتاباً وحمَّله الهدهد.

[1] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ كِتَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى هِرَقْلَ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، رقم الحديث (1773)، (ج3، ص1393)، والبخاري، **صحيح البخاري**، بَابُ بَدْءِ الوَحْيِ، رقم الحديث (7)، (ج1، ص8).

والإلقاء: الرمي إلى الأرض. وهو هنا مستعمل إما في حقيقته إن كان شأن الهدهد أن يصل إلى المكان فيرمي الكتاب من منقاره، وإما في مجازه إن كان يدخل المكان المرسل إليه فيتناول أصحابه الرسالة من رجله التي تربط فيها الرسالة"[1].

فالآية واضحة في قضية المراسلة من حيث أمر سيدنا سليمان للهدهد بالذهاب بالكتاب لملكة سبأ، فالهدهد هو وسيلة نقل الكتاب كالحمام الزاجل كما هو مُتعارف، والمرسل هو الطرف الأول سيدنا سليمان والطرف المستقبل الطرف الآخر هي ملكة سبأ، فالآية جمعت عناصر المراسلة الكاملة كما وضح الإمام ابن عاشور.

وما أكثر المراسلة في عصرنا هذا، ولكنها ليست بالشكل الذي كانت عليه في زمن النبي ﷺ وصحابته الكرام، بل تشكلت وتمثلت في مواقع التواصل الاجتماعي، والأجهزة الكهربائية التي تمكننا من التواصل مع الناس، من أجهزة خلوية، وأجهزة حواسيب وغيرها، فالأزمنة تغيرت وأصبحت بحاجة إلى ما يتناسب مع متغيراتها، وهي من نِعَم الله التي بسطها لعباده، فالمراسلة والتواصل من خلال مكالمة هاتفية، أو رسائل كتابية عن طريق المواقع تختصر جهداً كبيراً جداً على الناس، من كتابة خط اليد، وتكاليف المواصلات، والنقل وغيرها.

المطلب الرابع: التناوب في طلب العلم:

لمَّا كان أمر العلم مهماً وله شأن عظيم، كان سبباً في تناوب عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع جاره الأنصاري يوماً بعد يوم، ومرّة بعد مرّة بالنزول من عوالي المدينة إلى رسول الله ﷺ، فانشغالهم بأمور دنياهم دفعهم للتفكير في أمر التناوب كي لا يفوتهم شيء من العلم والخير عن رسول الله ﷺ.

---

[1] – ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت: 1393هـ)، **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: 1984 هـ، (ط/بلا)، (ج19، ص257).

أولاً: مفهوم التناوب:

والمقصود بالتناوب: هو التعاقب، أي أن تفعل الشيء مرّة ويفعل الآخر مرّة"[1].

ثانياً: النموذج الدال على التناوب في السُنَّة النَّبويَّة: وهو:

- **التناوب على العلم لعدم تفويته:** ومثاله ما رواه عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، عَنْ عُمَرَ، "قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي المَدِينَةِ وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ اليَوْمِ مِنَ الوَحْيِ وَغَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، ..."[2].

وفي الحديث الحرص على طلب العلم، وأنَّ لطالب العلم أنْ يَنظُر في معيشته، وما يستعين به على طلب العلم، وأن الصحابة، رضي الله عنهم، كانوا حريصين على تبليغ العلم لبعضهم البعض ونقل كل ما سمعوه من النبي ﷺ، فينبغي التناوب في العلم والاشتغال به لأهميته والحرص الشديد الذي رافقه من الصحابة والعلماء من بعدهم [3]، فالتناوب في العلم هو لبيان شأن وعِظم العلم، قال القسطلاني: "والمقصود من إيراده لهذا الحديث هنا التناوب في العلم اهتماماً بشأنه"[4].

---

[1] – الأُرَمي، **الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم**، (ج16، ص247).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ التَّنَاوُبِ فِي العِلْمِ، رقم الحديث (89)، (ج1، ص29)، وكِتَاب المَظَالِمِ وَالغَصْبِ، بَابُ الغُرْفَةِ وَالعُلِّيَّةِ المُشْرِفَةِ وَغَيْرِ المُشْرِفَةِ فِي السُّطُوحِ وَغَيْرِهَا، رقم الحديث (2468)، (ج3، ص133)، وكِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ مَوْعِظَةِ الرَّجُلِ ابْنَتَهُ لِحَالِ زَوْجِهَا، رقم الحديث (5191)، (ج7، ص28)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الطَّلَاقِ، بَابٌ فِي الْإِيلَاءِ، وَاعْتِزَالِ النِّسَاءِ، وَتَخْيِيرِهِنَّ وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ} [التحريم: 4]، رقم الحديث (1479)، (ج2، ص1105).

[3] – **يُنظر:** العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج2، ص105)، وابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (ج1، ص185-186)،

[4] – القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت: 923هـ)، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، (ط/7، 1323 هـ)، (ج1، ص187).

فشأن العلم عظيم، وعظيم جداً، فمن هنا تناوب سيدنا عمر رضي الله عنه مع جاره خشية أن يفوتهم شيء عن رسول الله ﷺ، فحرصهم الشديد على العلم ملموس من تناوبهم وتعاقبهم يوماً بعد يوم، ومرّة بعد مرّة، لحضور مجالس النبي ﷺ وسماعه.

وقد تكون هنالك أسباب تحكم البعض فتضطره إلى اللجوء إلى المناوبة في زماننا هذا، كأن يتناوب طالب مع زميله بعض المعلومات في فترة معينة لسبب مرضيّ أو لسفر لوقت معين أو غير ذلك، ومن صورها في وقتنا الحاضر حضور صاحبك لمجلس تلقي العلم والقيام بتسجيل المحاضرات والدروس على الأجهزة الإلكترونية ونقلها له عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي، فهذا كله يدخل تحت مسمى التناوب في طلب العلم على اختلاف وتنوع صوره.

ثالثاً: أثر التناوب على المتعلّم:

وقد استنتجت من خلال حديث هذا المطلب وما عليه من التعليقات، أهم آثار المناوبة على المتعلّم، منها:

1. دفع النفس لزيادة الحرص على طلب العلم والانتفاع به.
2. بيان عِظم العلم وما يستحقه من تضحيةٍ وبذلٍ من الجهد والعطاء في سبيله.
3. تعويد النفس على المساعدة من خلال تقديم العلم لمن فاته.
4. تنشيط الذاكرة من خلال تكرار وإعادة ما سمعه من العلم ومدارسته لغيره عند غيابه.

المطلب الخامس: التوكيل في طلب العلم:

وأما التوكيل فكان أحد وسائل تلقي العلم التي ابتدأها علي بن أبي طالب رضى الله عنه، فكانت منه بقصد الحياء من رسول الله ﷺ، إلا أنها أصبحت بعد ذلك قاعدة ثابتة، وأُخذ منها عدة أحكام، أهمها هو جواز التوكيل في طلب العلم مهما كان السبب، فالمهم هو الحصول على

المعلومة، وليس السبب الذي وكل غيره لمعرفة هذه المعلومة، فسيدنا علي كان سبب توكيله لسيدنا مقداد هو حياؤه من سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام لكونه زوج ابنته فاطمة رضي الله عنهم.

أولاً: مفهوم التوكيل:

ويُقصد بالتوكيل: بأنه "إقامة الغير مقام نفسه بالتصرف ممن يملكه"[1].

ثانياً: النموذج الدال على التوكيل في السُنَّة النَّبويَّة: وهو:

- **توكيل الغير بطلب العلم لسببٍ ما:** ومثاله ما رواه عَلِيُّ بْن أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ رَجُلًا مَذَّاءً [2] فَأَمَرْتُ المِقْدَادَ بْنَ الأَسْوَدِ أَنْ يَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: «فِيهِ الوُضُوءُ»"[3].

فحياء علي بن أبي طالب رضي الله لم يمنعه من معرفة الحكم الشرعي في حالته، فوكل غيره للسؤال عن هذه المسألة لمعرفة حكمها، فمن هنا يمكننا معرفة مدى حرصهم على العلم، فوجود حاجز منعه من السؤال مباشرة دفعه إلى هذه الطريقة، وقد يكون هنالك أسباب أخرى تدفع للتوكيل الغير في معرفة المعلومة، مثل عدم معرفة بعض الأشخاص عن مختص في مسألة معينة يريد السؤال عنها فيكلف غيره ممن لهم دراية وخبره أكثر منه لمعرفة الحكم في مسألته.

---

[1] – الجرجاني، **كتاب التعريفات**، (ص70).

[2] – **مذاء:** من المذي، وهو ماء رقيق يخرج عند الملاعبة. القرطبي، **اختصار صحيح البخاري وبيان غريبه**، (ج1، ص67).

[3] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ مَنِ اسْتَحْيَا فَأَمَرَ غَيْرَهُ بِالسُّؤَالِ، رقم الحديث (132)، (ج1، ص38)، وكِتَابُ الغُسْلِ، بَابُ غَسْلِ المَذْيِ وَالوُضُوءِ مِنْهُ، رقم الحديث (269)، (ج1، ص62)، وحديث رقم (178)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْحَيْضِ، بَابُ الْمَذْيِ، رقم الحديث (303)، (ج1، ص247).

المبحث الثاني

الصفات الأساسية لِمُتَلقّي العلم في السُنَّة النَّبويَّة

يجب على طالب العلم أن يتحلّى بالصفات الرئيسة التي تساعده على تلقي العلم بجانب وسائل تلقي العلم كما سبق ذكرها، وهذه الصفات لا تقل أهمية عن الوسائل السابقة، فالطالب الذي يريد تلقي العلم بصدق يحرص على السؤال لطلب العلم، ويحاول أن يكون أول السائلين، وأن يداوم على مذاكرة ما يأخذه من العلم أولاً بأول، ثم يحاول قدْر الإمكان أن يجتهد لينال صفة التفوق والبروز بين أقرانه في مجلسه أو جامعته أو مدرسته من خلال امتلاكه ملكة النّقد والنظر في اجتهاد العلماء، فهذه الصفات تمكنه من الوصول إلى مرحلة علمية متقدمة غزيرة المعلومات، وتفصيل ذلك كالآتي:

المطلب الأول: السؤال لطلب العلم:

ينبغي لطالب العلم أن يبتدأ مرحلته العلمية بهذه الصفة، لكي يتلقى العلم الذي يريده، فكيف سيحمل العلم دون السؤال عما يَخفى عليه مما أراد أن يعلمه، وهذه الصفة هي أحد أهم الصفات التي يجب أن ترافق طالب العلم ليس فقط في بداية تلقيه العلم بل في جميع مراحل حياته، فانظر قول عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ، وتأمله مراده، وهو: "خَمْسٌ إِذَا أَخْطَأَ القَاضِي مِنْهُنَّ خَصْلَةً، كَانَتْ فِيهِ وَصْمَةٌ: أَنْ يَكُونَ فَهِماً، حَلِيماً، عَفِيفاً، صَلِيباً، عَالِماً، سَئُولاً عَنِ العِلْمِ"[1].

فأشار عمر بن عبد العزيز إلى أنه يجب على القاضي أن يكون كثير السؤال عن العلم، وما ذلك إلّا لبيان أهمية السؤال عن العلم، وأن كمال العلم لا يحصل إلّا بالسؤال عنه حتى ولو كان قاضياً، وبيان أهمية هذه الصفة تتضح بمتابعة أحاديث النبي ﷺ ومعرفة أحوال صحابته والذين هم تلاميذه الكرام رضوان الله عليهم.

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الأَحْكَامِ، بَابٌ: مَتَى يَسْتَوْجِبُ الرَّجُلُ القَضَاءَ، (ج9، ص67).

وأما النماذج الدالة على سؤال الصحابة بقصد طلب العلم، فهي:

1. سؤال أبي هريرة للنبيّ ﷺ بأسعد الناس بشفاعته: ومثاله ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُى مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»"[1].

وفي الحديث: "أن الحريص على الخير والعلم يبلغ بحرصه إلى أن يسأل عن غامض المسائل، ودقيق المعاني؛ لأن المسائل الظاهرة إلى الناس كافة يستوي الناس في السؤال عنها، لاعتراضها في أفكارهم، وما غمض من المسائل، ولطف من المعاني، لا يُسأل عنها إلا راسخ بَحَّاث، يبعَثُه على ذلك الحرص، فيكون ذلك سبباً إلى إثارة فائدة يكون له أجرها، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، وفيه: أن للعالم أن يَتَفرّس في متعلميه، فيظن في كل واحد مقدار تقدمه في فهمه، وأن ينبهه على تفرّسه فيه، ويُعرّفه ذلك، ليبعثه على الاجتهاد في العلم والحرص عليه.

فعلى الطالب أن يسأل، قال تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾النحل: 43، وليس للعالم أن يسكت إذا رأى تغييراً في الدين إذا علم أن ذلك لا يضره، ثم على العالم أن يبين إذا سئل، فإن لم يبين بعد أن يسأل فقد كتم، إلا أن يكون له عذر فيعذر"[2].

فمن هذه الرواية نستنتج أهم عامل وعنصر في تكوين هذه الشخصية لدى أبي هريرة رضي الله عنه، وهي أن الحرص على العلم يبدأ بالسؤال، فكن أول السائلين دائماً إن استطعت.

2. مراجعة عائشة للنبي ﷺ: ومثاله ما رواه ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، أَنَّ عَائِشَةَ، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ: كَانَتْ لاَ تَسْمَعُ شَيْئًا لاَ تَعْرِفُهُ إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ» قَالَتْ

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ الحِرْصِ عَلَى الحَدِيثِ، رقم الحديث (99)، (ج1، ص31)، وكِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ صِفَةِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، رقم الحديث (6570)، (ج8، ص117).

[2] – ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج1، ص175).

عَائِشَةُ: فَقُلْتُ أَوَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: {فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا} [الانشقاق: 8] قَالَتْ: فَقَالَ: " إِنَّمَا ذَلِكِ العَرْضُ، وَلَكِنْ: مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ يَهْلِكْ"[1].

وأما الشاهد من هذا الحديث فهو سؤال عائشة للنبي ﷺ، فكانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلّا سألت عنه النبي صلى الله عليه وسمل وراجعته فيه، وهذا يبين لنا مدى حِرص عائشة رضى الله عنها على السؤال في الأمور التي تُشكل عليها ولم تدرك معناها، بل وأنها ناقشت النبي ﷺ ليزيد الأمر عندها وضوحاً [2]، وهذا ما يجب على طلبة العلم من أن يتخذوه منهجاً في حياتهم خلال مسيرتهم في تلقي العلم.

3. إعجاب عمر بسؤال ابن عباس: ومثاله ما رواه عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي ثَوْرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ المَرْأَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَيْنِ قَالَ اللَّهُ لَهُمَا: {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا}[التحريم: 4] فَحَجَجْتُ مَعَهُ، فَعَدَلَ وَعَدَلْتُ مَعَهُ بِالْإِدَاوَةِ، فَتَبَرَّزَ حَتَّى جَاءَ، فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْإِدَاوَةِ فَتَوَضَّأَ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، مَنِ المَرْأَتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَانِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمَا: {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا}[التحريم: 4]؟ فَقَالَ: وَاعَجَبِي لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ...الحديث بطوله"[3].

وأما حرص ابن عباس رضي الله عنهما على السؤال للتفقّه في الدين كان بشهادته هو لِما في نص الحديث، ولكن العلماء حملوا جملته على احتمالين ذكرهما الكرماني، فقال: "وهو إما

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ مَنْ سَمِعَ شَيْئًا فَلَمْ يَفْهَمْهُ فَرَاجَعَ فِيهِ حَتَّى يَعْرِفَهُ، رقم الحديث (103)، (ج1، ص34)، وكِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ {فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا} [الانشقاق: 8]، رقم الحديث (4939)، (ج6، ص167)، وكِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابٌ: مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ، رقم الحديث (6536)، (ج8، ص111)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَابُ إِثْبَاتِ الْحِسَابِ، رقم الحديث (2876)، (ج4، ص2204).

[2] – **يُنظر**: ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (ج1، ص197)، والعيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج2، ص3882).

[3] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَاب المَظَالِمِ وَالغَصْبِ، بَابُ الغُرْفَةِ وَالعُلِّيَّةِ المُشْرِفَةِ وَغَيْرِ المُشْرِفَةِ فِي السُّطُوحِ وَغَيْرِهَا، رقم الحديث (2468)، (ج3، ص133)، وكِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ مَوْعِظَةِ الرَّجُلِ ابْنَتَهُ لِحَالِ زَوْجِهَا، رقم الحديث (5191)، (ج7، ص28)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الطَّلَاقِ، بَابٌ فِي الْإِيلَاءِ، وَاعْتِزَالِ النِّسَاءِ، وَتَخْيِيرِهِنَّ وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ} [التحريم: 4]، رقم الحديث (1479)، (ج2، ص1111).

تعجب من جهله بذلك وهو كان مشهوراً بينهم بعلم التفسير، وإما من حرصه على سؤاله عما لا يتبنه له إلا الحريص على العلم من تفسير ما لا حكم فيه من القرآن"[1].

لذا حمل الكثير من العلماء قول ابن عباس على الاحتمال الثاني، قال ابن بطال: "فأما قوله: (واعجباً لك) عجب من حرصه على سؤاله عما لا ينتبه إليه إلا الحريص على العلم من تفسير ما لا مُحكم فيه من القرآن"[2].

4. السؤال لطلب العلم وإحالة السائل لمن هو أعلم منه: ومثاله ما رواه شُرَيْحِ بْنِ هَانِئٍ، قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ أَسْأَلُهَا عَنِ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ، فَقَالَتْ: عَلَيْكَ بِابْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَسَلْهُ فَإِنَّهُ كَانَ يُسَافِرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلْنَاهُ فَقَالَ: «جَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ لِلْمُسَافِرِ، وَيَوْمًا وَلَيْلَةً لِلْمُقِيمِ» قَالَ: وَكَانَ سُفْيَانُ، إِذَا ذَكَرَ عَمْرًا، أَثْنَى عَلَيْهِ"[3].

فسؤال شريح لعائشة، ثم توجيهها لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم، فيه من الحرص الشديد على السؤال، وعدم التوقف عن السؤال بمجرد عدم وجود الإجابة أول مرة، وفي هذا دافع لمحاولة وجود الإجابة عند الطرف الذي وُجِّهَ إليه، حيث لم يمنعه ذلك من اللجوء إلى الطرف الآخر لوجود الإجابة عنده.

5. طلب العلم في الأمور المستورة: ومثاله ما روته عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ غُسْلِهَا مِنَ المَحِيضِ، فَأَمَرَهَا كَيْفَ تَغْتَسِلُ، قَالَ: «خُذِي فِرْصَةً مِنْ مَسْكٍ، فَتَطَهَّرِي بِهَا» قَالَتْ: كَيْفَ أَتَطَهَّرُ؟ قَالَ: «تَطَهَّرِي بِهَا»، قَالَتْ: كَيْفَ؟، قَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، تَطَهَّرِي» فَاجْتَبَذْتُهَا إِلَيَّ، فَقُلْتُ: تَتَبَّعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ"[4].

---

[1] – الكرماني، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين (ت: 786هـ)، **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، (ط/1: 1356هـ – 1937م، ط/2: 1401هـ – 1981م)، (ج11، ص34).

[2] – ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج6، ص596)، وابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (ج5، ص117).

[3] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابِ الطَّهَارَةِ، بَابُ التَّوْقِيتِ فِي الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ، رقم الحديث (276)، (ج1، ص232).

[4] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الحَيْض، بَابُ دَلْكِ المَرْأَةِ نَفْسَهَا إِذَا تَطَهَّرَتْ مِنَ المَحِيضِ، وَكَيْفَ تَغْتَسِلُ، وَتَأْخُذُ فِرْصَةً مُمَسَّكَةً، فَتَتَّبِعُ أَثَرَ الدَّمِ، رقم الحديث (314)، (ج1، ص70).

وفي الحديث الكثير من الآداب المتقلعة بالعلم، أهمها: أدب السؤال، وحسن توجيهه إلى أهله، وعدم التحرج في السؤال عن الأمور المستورة خاصة عند المرأة، ففيه: " تكرير الجواب لإفهام السائل دون أن يكشف، ومراجعة السائل إذا لم يفهم، وفيه: أن السائل إذا لم يفهم وفهمه بعض من في مجلس العالم والعالم يسمع، أن ذلك سماع من العالم يجوز أن يقول فيه حدثني وأخبرني"[1].

وهذا الحديث يُعطينا مدى أهمية السؤال عند من يريد التعلم، ولو كان الشيء الذي يريد معرفته يختص بأمور مستورة، فالسؤال نتج من باب الحرص على الحصول على المعلومة، بل وفيه الحرص على تكرار سؤاله لعدم فهم الإجابة أول مرة، فهذا يعطينا دافعاً لعدم التحرج من طرح السؤال مرة ثانية وثالثة أيضاً، وفيه أيضاً من الاقتداء بالمعلم وهو هنا النبي ﷺ من الصبر لطرح السؤال أكثر من مرة، وتكرار الإجابة أكثر من مرة، وفيه من الاحترام والأدب بالتعريض للأمور المستورة، وسيأتي الكلام على هذا.

فينبغي لطالب العلم أن يكون سئولاً عن العلم، من خلال الحرص الشديد على السؤال، ومحاولاته الدائمة في كل مرة بأن يجتهد في كونه أول السائلين، سواء في الجامعات أو المدارس أو المعاهد وجميع مجالس العلم، حيث تعدُ هذه الصفة أولى الصفات التي تمكنه من إكمال مسيرته التعليمية، فبسؤاله هذا سوف يُصدم بفوائد عظيمة في مرحلته التعليمية ويتعلم من تجاربه.

المطلب الثاني: الحرص على طلب العلم والاستزادة منه:

لا بد لطالب العلم من أن يكون شديد الحرص على طلبه للعلم، بل ومحاولة الاستزادة منه ولا سيما في التخصص والجانب الذي يريده، وبذلك يخطو خطوة أخرى من الصفات الرئيسة التي تمكنه من تلقي العلم، التي لا بد من حضورها في شخصية طالب العلم، فالحريص على الشيء يُبدي له اهتماماً كبيراً ويعطيه جانباً كبيراً من العناية، ولنا في نماذج حرص صحابةِ رسول الله ﷺ خير مثال:

---

[1] – ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج1، ص440)، وابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (ج1، ص416)، والعيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج3، ص287).

1. **الحرص على طلب العلم مع ضعف الإمكانيات:** ومثاله ما رواه أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا فَتَحَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مَكَّةَ، قَامَ فِي النَّاسِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ... فَقَامَ أَبُو شَاهٍ – رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ – فَقَالَ: اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ»، قَالَ الْوَلِيدُ: فَقُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ: مَا قَوْلُهُ: اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «هَذِهِ الْخُطْبَةَ الَّتِي سَمِعَهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ»"[1].

وفي الحديث دلالة على حرص أبي شاه على التعلم؛ لأنه قد يكون علم من حاله أنه لا يقوي على الحفظ، فطلب من النبي صلى الله عليه سلم بأن يوكل أحداً بالكتابة له، حتى استغرب البعض فقالوا ماذا نكتب له، فقال هذه الخطبة التي سمعها، فحرصه على المفاهيم النبوية التي سمعها، دفعه لطلب الكتابة وتقييد ما صدر عن رسول الله ﷺ.

2. **حرص أبي هريرة على الاستزادة من العلم:** ومثاله ما رواه وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَخِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: «مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلاَ أَكْتُبُ»"[2].

فقول أبي هريرة: "مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي"، فحرصه على العلم والاستزادة منه جعل عنده إيثار طلب العلم على طلب المال وفضل التقلل من الدنيا على حساب العلم لما فيه من ثواب في الآخرة [3].

3. **شهادة النبي ﷺ لأبي هريرة بحرصه على العلم والاستزادة منه:** ومثاله ما رواه سَعِيدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ

---

[1] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ تَحْرِيمِ مَكَّةَ وَصَيْدِهَا وَخَلَاهَا وَشَجَرِهَا وَلُقَطَتِهَا، إِلَّا لِمُنْشِدٍ عَلَى الدَّوَامِ، رقم الحديث (1355)، (ج2، ص988)، والبخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ كِتَابَةِ العِلْمِ، رقم الحديث (112)، (ج1، ص33)، وكِتَاب فِي اللُّقَطَةِ، بَابُ كَيْفَ تُعَرَّفُ لُقَطَةُ أَهْلِ مَكَّةَ، رقم الحديث (2434)، (ج3، ص125) وحديث رقم (6880).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ كِتَابَةِ العِلْمِ، رقم الحديث (113)، (ج1، ص34).

[3] – **يُنظر**: ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج1، ص194).

مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»"[1].

وفي الحديث أن النبي ﷺ شهد لأبي هريرة بالحرص على طلب العلم، حيث أخبره بأنه عَلِمَ أنه سيكون أول من سيسأله عن هذا الأمر، لِما يعلمه النبي ﷺ من حال أبي هريرة من شدة حرصه على العلم ومحاولة الاستزادة منه في كل جوانبه، والتي تتمثل بكل ما صدر عن النبي ﷺ، فالإنسان لا يكون حريصاً على الشيء إلّا بكثرة السؤال عنه والعناية به، وهذا يكشف لنا ملامح شخصية أبي هريرة رضي الله عنه العلمية، حيث كان كثير السؤال للنبي ﷺ، وكثير الملازمة له ولمجالسه، وحريصاً على ألّا يفوته شيء عنه، فهذه الصفة في متلقي العلم تجعله متميزاً عن غيره لما يكون عنده من الدافع النفسي في حرصه على طلب العلم والخوض في ثناياه.

4. **الإصرار على السؤال في العلم من باب الحرص:** ومثاله ما رواه عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي ثَوْرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ المَرْأَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَيْنِ قَالَ اللَّهُ لَهُمَا: {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا}[التحريم: 4] ... فَقَالَ: وَاعَجَبِي لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ..."[2].

إن السؤال في العلم ناتج من كون طالب العلم الحريص على علمه، فهذا ابن عباس كان حريصاً كل الحرص على سؤال عمر بن الخطاب رضي الله عنهم عن معرفة من المقصود بالآية من أزواج النبي ﷺ، وهذا ما جعل عمر بن الخطاب يتعجب منه في قوله: (واعجبًا لك) "أي عجب من حرصه على سؤاله عما لا ينتبه إليه إلا الحريص على العلم من تفسير ما لا محكم فيه من القرآن"[3].

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ الحِرْصِ عَلَى الحَدِيثِ، رقم الحديث (99)، (ج1، ص31)، وكِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ صِفَةِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، رقم الحديث (6570)، (ج8، ص117).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَاب المَظَالِمِ وَالغَصْبِ، بَابُ الغُرْفَةِ وَالعُلِّيَّةِ المُشْرِفَةِ وَغَيْرِ المُشْرِفَةِ فِي السُّطُوحِ وَغَيْرِهَا، رقم الحديث (2468)، (ج3، ص133)، وكِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ مَوْعِظَةِ الرَّجُلِ ابْنَتَهُ لِحَالِ زَوْجِهَا، رقم الحديث (5191)، (ج7، ص28)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الطَّلَاقِ، بَابٌ فِي الْإِيلَاءِ، وَاعْتِزَالِ النِّسَاءِ، وَتَخْيِيرِهِنَّ وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ} [التحريم: 4]، رقم الحديث (1479)، (ج2، ص1111).

[3] – ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج6، ص596)، وابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (ج5، ص117).

فقد كان الصحابة حرصين على العلم أشد الحرص، واهتموا بذلك حيث تعددت صور هذا الحرص، منها كتابة العلم كما في الرواية الأولى، ومنها ملازمة العلماء الدائمة وحضور مجالسهم بانتظام كما كان عليه أبو هريرة مع النبي ﷺ، وأيضاً الإلحاح في السؤال وتكراره كما ابن عباس مع سيدنا عمر رضي الله عنهم، فتنوع هذه الصور كان نابعاً من الحرص الشديد على العلم، والاستزادة منه ومحاولة الإحاطة بكل جوانبه، وهذا ما يجب أن يكون عليه طالب العلم في أيامنا هذه، فاختر لنفسك أي صورةٍ تجدها مناسبة تجعلك حريصٌ على طلب العلم.

المطلب الثالث: الدّوام على مذاكرة العلم:

ليكون الإنسان مداوماً على مذاكرة العلم لا بد له من أن يكون حريصاً عليه، وحريصاً على السؤال، وعدم التحرج من تكراره، وأن يحفظ ما تعلمه ويداوم على مذاكرته مع غيره، كما كان يفعل عمر بن الخطاب في تناوبه مع جاره في مجالس النبي ﷺ، ولنا في الصحابي أبي هريرة خير قدوة؛ لكونه أكثر الصحابة رواية عن النبي ﷺ، حيث تفرغ لتلقي العلم عنه، وكان شديد الحرص على ملازمة وحضور وسماع النبي ﷺ في شتى حالاته وموضوعاته، فهذه العوامل هي التي جعلته أكثر الصحابة رواية، بالإضافة إلى عدم التحرج من سؤال النبي ﷺ ومن تكراره السؤال عليه، وهذا ما تبينه الأحاديث، الآتية:

1. **إقرار أبي هريرة بحفظه للعلم، والمداومة عليه عند النبي ﷺ:** ومثاله ما وراه سَعِيدٌ المَقْبُرِيّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: " حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وِعَاءَيْنِ: فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا البُلْعُومُ"[1].

وفي هذا الحديث إقرار من أبي هريرة لحفظه العلم والمداومة عليه من النبي ﷺ، حيث قَسم العلم إلى وعاءين، الوعاء الأول وهو العلم الذي نشره من أحاديث رواها عن النبي ﷺ، وأما القسم والوعاء الثاني فمعناه: " وقوله: تمت، وأما الآخر لو بثثته قطع هذا البلعوم، يعنى أنها كانت أحاديث أشراط الساعة، وتغيير الأحوال، والتضييع لحقوق الله تعالى"[2].

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ حِفْظِ العِلْمِ، رقم الحديث (120)، (ج1، ص35).

[2] – ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج1، ص195).

وأما ما يُستفاد من الحديث هو أن أبا هريرة كان مداوماً على العلم، قال ابن بطال: "فيه حفظ العلم والدأبُ عليه، والمواظبة على طلبه"[1]، وأن هنالك العديد من "الأسباب التي تساعد على كثرة حفظ العلم وتحصيله ملازمة العلماء والتفرغ عن الشواغل والانقطاع للدراسة كما كان أبو هريرة رضي الله عنه يلزم النبي ﷺ لشبع بطنه، فحفظ ما لا يحفظون، وتفوق على غيره"[2].

2. **مذاكرة العلم بعد المناوبة:** ومثاله ما رواه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، عَنْ عُمَرَ، "قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي المَدِينَةِ وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، ..."[3].

فعمر بن الخطاب وجاره كانا حريصين على التناوب يوم بعد يوم على مجالس العلم لكل منهما خوفٌ من أن يفوتهما شيء عن رسول الله ﷺ، ومذاكرة العلم الذي تم تلقيه عن النبي ﷺ بينهما ليتم حفظه ودراسته، فالمناوبة كانت هنا لتحصيل المداومة.

فالمناوبة صورة رائعة للدوام على مذاكرة العلم، وعدم إهماله مع الانشغال بالأمور الدنيوية، فهي بمثابة حل يقتضي مبادلة العلم بين التلاميذ مما يُعطي فوائد فرعية أخرى مثل تنشيط الذاكرة، والتعلق بالعلم والمحافظة عليه.

3. **الملازمة تقتضي المداومة:** ومثاله ما رواه الأَعْرَجُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: "إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَلَوْلاَ آيَتَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُ حَدِيثًا، ثُمَّ يَتْلُو {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالهُدَى}[البقرة: 159] إِلَى قَوْلِهِ {الرَّحِيمُ}[البقرة: 160] إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ المُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ، وَإِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الأَنْصَارِ كَانَ

---

[1] – ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج1، ص194).

[2] – الشيخ حمزة محمد قاسم، **منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري**، (ج1، ص214).

[3] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ التَّنَاوُبِ فِي العِلْمِ، رقم الحديث (89)، (ج1، ص29)، وكِتَاب المَظَالِمِ وَالغَصْبِ، بَابُ الغُرْفَةِ وَالعُلِّيَّةِ المُشْرِفَةِ وَغَيْرِ المُشْرِفَةِ فِي السُّطُوحِ وَغَيْرِهَا، رقم الحديث (2468)، (ج3، ص133)، وكِتَابُ النِّكَاح، بَابُ مَوْعِظَةِ الرَّجُلِ ابْنَتَهُ لِحَالِ زَوْجِهَا، رقم الحديث (5191)، (ج7، ص28)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الطَّلَاقِ، بَابٌ فِي الْإِيلَاءِ، وَاعْتِزَالِ النِّسَاءِ، وَتَخْيِيرِهِنَّ وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ} [التحريم: 4]، رقم الحديث (1479)، (ج2، ص1105).

يَشْغَلُهُمُ العَمَلُ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَإِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِشِبَعِ بَطْنِهِ، وَيَحْضُرُ مَا لاَ يَحْضُرُونَ، وَيَحْفَظُ مَا لاَ يَحْفَظُونَ"[1].

فالحرص على العلم والمداومة عليه تساعد طالب العلم على الاستمرارية في مذاكرة العلم وتتفتح له عدة آفاق في دقائق العلوم، فمذاكرة أبي هريرة رضي الله عنه للعلم ومتابعته له عن النبي ﷺ، دليل على حفظه للعلم والدأب عليـه، ومواظبته على طلبه [2]، فمقتضى الملازمة هي المداومة.

ونحن في هذا الزمن قد سخر الله لنا الكثير من النعم التي تمكنُنا من زيادة الحرص والدوام على متابعة العلم ومذاكرته باستمرار، فالأجهزة الالكترونية وخاصة الحواسيب من أكبر النعم التي منَّ الله علينا بها، وذلك في حال استخدامها في الجانب الإيجابي، والذي منه حفظ العلم ومتابعة مستجداته من خلال المواقع، ومن خلال شبكة الانترنت، فلا تكاد ترى طالب علم يستغنى عن جهاز الحاسوب الذي يساعد في حفظ الآلاف من الكتب، والبرامج المهمة في خدمة العلم.

المطلب الرابع: القدرة على النَّقدُ والنظر في اجتهاد العلماء:

وهذه الصفة قد لا تكون لجميع طلبة العلم، وإنما تختص الطلبة المتعمقين والدقيقين في طلبهم ونظرهم لمسائل العلم واجتهاد العلماء، فهذه الصفة يتميز فيها الطالب المتفوق والمتميز في تلقيه العلم عن غيره من الطلبة، فقد يستطيع أيُّ طالب علم أن يكون حريصاً على السؤال في العلم وأن يذاكره، ولكن ليس كل طلبة العلم قادرين على امتلاك هذه الصفة لدقتها واحتياجها إلى ذهن صافٍ وهي ملكة النَّقد والنظر إلى اجتهاد العلماء وإحصاء أدلتهم؛ لأنها تقود إلى التمييز بين الأدلة المطروحة من قبل العلماء هل هي موافقة للأدلة الصحيحة الثابتة أم أنها مخالفة ويتم رفضها؟ والنظر إلى خبايا المعلومات ودقائقها، وهذا ما توضحه الأحاديث الآتية:

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ حِفْظِ العِلْمِ، رقم الحديث (118)، (ج1، ص35).

[2] – **يُنظر**: ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج1، ص194)، وابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (ج1، ص215)، والعيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج2، ص182).

1. **نقد ابن عباس لمن حوله بسؤال أهل الكتاب في أمور الشريعة الإسلامية:** ومثاله ما رواه عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عُتْبَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: " يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الكِتَابِ، وَكِتَابُكُمُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ أَحْدَثُ الأَخْبَارِ بِاللَّهِ، تَقْرَءُونَهُ لَمْ يُشَبْ، وَقَدْ حَدَّثَكُمُ اللَّهُ أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ بَدَّلُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ وَغَيَّرُوا بِأَيْدِيهِمُ الكِتَابَ، فَقَالُوا: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، أَفَلاَ يَنْهَاكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنَ العِلْمِ عَنْ مُسَاءَلَتِهِمْ، وَلاَ وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلًا قَطُّ يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ "[1].

وفي هذا الحديث دلالة على إنكار وانتقاد ابن عباس رضي الله عنه لمن يسأل أهل الكتاب عن أمور شرعية، وسبب هذا الإنكار أن كتابنا وهو القرآن الكريم الذي أُنزل على سيدنا محمد ﷺ، فيه أحدث الأخبار أي إنه أقرب الكتب نزولاً إليكم من عند الله، فالحديث بالنسبة إلى المنزول إليهم وهو في نفسه قديم على ما عرف في موضعه، وقوله لم يُشَب وهو الخلط، أي: لم يخلط ولم يبدل ولم يغير، فإنكار ابن عباس جاء؛ لأن الله سبحانه حدثنا في القرآن بأن أهل الكتاب بدلوا ما أنزله إليهم، وذلك في قوله: (بدلوا)، من التبديل، قال الله تعالى في حق اليهود: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗا ﴾البقرة: 79، وأما قوله أفلا ينهاكم فيه نوع من الاستغراب والإنكار من ابن عباس أي بعد أن علمتم أنهم بدلوا دينهم، وأن القرآن أحدث الأخبار التي أنزلها الله فكل هذا لا ينهاكم عن مسائلتهم، وكأنه يستشهد على هذا بقوله: ولا والله وهي إما تأكيد لنفي ما قبله أو ما بعده، يعني: هم لا يسألونكم، فأنتم بالطريق الأولى أن لا تسألوهم[2].

فهذه العقلية التي كان يتملكها ابن عباس رحمه الله، ينبغي أن تكون مَلَكَة ملازمة لطلبة العلم وأن يحاولوا تنميتها، فالنقد في العلم مهم ومهم جداً سواء في العلم الشرعي، أو في أي نوع من أنواع العلوم، فنقد العلم هنا يكون بعرض ما يُقال على النصوص والقواعد الثابتة من الدين، فإن

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الشَّهَادَاتِ، بَابُ لاَ يُسْأَلُ أَهْلُ الشِّرْكِ عَنِ الشَّهَادَةِ وَغَيْرِهَا، رقم الحديث (2685)، (ج3، ص181)، وكِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تَسْأَلُوا أَهْلَ الكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ»، رقم الحديث (7363)، (ج9، ص111)، وكِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [الرحمن: 29]، رقم الحديث (7523)، (ج9، ص153).

[2] – **يُنظر**: العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج13، ص261).

خالف ما ثبت يردُّ كما جاء بالحديث من رد سؤال أهل الكتاب عن أمور شرعنا، وكذا العلوم الدنيوية فإن المقياس هو موافقة القواعد الأساسية والحقائق الثابتة لعلم ما أو مخالفته.

2. **نقد عائشة لعمر بن الخطاب في قضية تعذيب المؤمن ببكاء أهله عليه:** ومثاله ما رواه ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فَلَمَّا مَاتَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَتْ: رَحِمَ اللَّهُ عُمَرَ، وَاللَّهِ مَا حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُعَذِّبُ المُؤْمِنَ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ»، وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَزِيدُ الكَافِرَ عَذَابًا بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ»، وَقَالَتْ: حَسْبُكُمُ القُرْآنُ: {وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [الأنعام: 164] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «عِنْدَ ذَلِكَ وَاللَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى» قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: «وَاللَّهِ مَا قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا شَيْئًا»"[1].

وفي هذا الحديث يمكننا النظر إلى جانبين، الأول اجتهاد العلماء وأن المجتهد قد يصيب وقد يخطئ، والثاني أن اعتراض وانتقاد بعضهم البعض لم يكن بدافع سوء الظن أو الاتهام وإنما يكون من باب التثبت في العلم والدين، وأن عملهم هذا لا يكون عشوائياً وإنما باتباع الدليل الصحيح.

وهذا ما حصل مع أمّ المؤمنين عائشة عندما أخبرها ابن عباس عمّا كان يقوله عمر بن الخطاب رضي الله عنهم جميعاً من أن المؤمن يعذب ببكاء أهله عليه عند موته، ولكنها لم تقبل هذا القول فجعلته في ميزان النَّقد من خلال عرض هذا القول على الأدلة الثابتة، وهذا ما قالته لابن عباس، فذكرت الآيات التي تعارض قول عمر كما هي في الحديث، وأيضاً ينبغي الإشارة إلى ما جاء في آخر الحديث من أن عبد الله بن عمر كان حاضراً في هذا النقاش، ولم يعترض، ولم يقل شيئاً، وقد يكون هذا لنظره إلى ما جاء من الطرفين وقناعته بأدلة الطرف الثاني وهي عائشة، وعدم التعليق لقناعته مع أن الطرف الأول هو أبوه عمر، فالقناعة في المسائل المتعلقة بالعلم والدين تأتي بالدليل الصحيح والثابت فقط لا بغيره.

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الجَنَائِزِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُعَذَّبُ المَيِّتُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ» إِذَا كَانَ النَّوْحُ مِنْ سُنَّتِهِ، رقم الحديث (1288)، (ج2، ص79)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ الْمَيِّتِ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ، رقم الحديث (929)، (ج2، ص642).

والمتأمل لما سبق من الكلام يدرك أن ملكة النَّقد في العلم مهمة جداً، ولكنها صعبة تحتاج إلى الكثير من التبحّر في العلم لكي تمكنه من النظر إلى اجتهاد العلماء والنظر في طرح أدلتهم وآرائهم، وهي تعتمد على كل ما سبق من الصفات فهي تحتاج متابعة طويلة ومستمرة في العلم، تبدأ بالسؤال والحرص الكثير على العلم، والدوام على مذاكرته باستمرار ثم النظر إلى اجتهاد العلماء وعرض الآراء في كل مسألة على الأدلة سواء من القرآن الكريم أو من السنة الصحيحة الثابتة.

3. **نقد عمر لقول فاطمة بنت قيس لمخالفته للقرآن:** ومثاله ما رواه أَبو إِسْحَاقَ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ، وَمَعَنَا الشَّعْبِيُّ، فَحَدَّثَ الشَّعْبِيُّ بِحَدِيثِ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ، «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، لَمْ يَجْعَلْ لَهَا سُكْنَى وَلَا نَفَقَةً»، ثُمَّ أَخَذَ الْأَسْوَدُ كَفًّا مِنْ حَصًى، فَحَصَبَهُ بِهِ، فَقَالَ: وَيْلَكَ تُحَدِّثُ بِمِثْلِ هَذَا، قَالَ عُمَرُ: لَا نَتْرُكُ كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّنَا ﷺ لِقَوْلِ امْرَأَةٍ، لَا نَدْرِي لَعَلَّهَا حَفِظَتْ، أَوْ نَسِيَتْ، لَهَا السُّكْنَى وَالنَّفَقَةُ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ} [الطلاق: 1]"[1].

والمنهج في هذا الحديث مطابق للحديث السابق، فالشعبي ذكر الحديث كما يعلمه، والأسود ذكر له الاستشهاد الصحيح الذي قاله عمر من قبل، والذي استدل به على عكس ما ذكره الشعبي وذلك بالدليل الصحيح من القرآن الكريم، فسيدنا عمر وضع قول فاطمة بنت قيس في ميزان النَّقد العلمي الذي يخضع فيه قول العالم إلى عرضه على الدليل الصحيح فإن وافق قُبل وأن خالف رُفض، وهنا الواضح أن سيدنا عمر رفض قول فاطمة بنت القيس لأنه يستحيل أن يقول النبي ﷺ شيئاً يخالف القرآن.

قال القاضي عياض: "أثبت لها السكنى والنفقة، فتعلق بقول الله سبحانه: ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ ﴾ الطلاق: 6، وأما النفقة فلأنها محبوسة عليه، وهذا عنده توجب لها النفقة، وقول عمر: "لا ندع كتاب ربنا" : فالذي يظهر في كتاب ربنا إثبات السكنى خاصة"[2].

---

[1] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الطَّلَاقِ، بَابُ الْمُطَلَّقَةِ ثَلَاثًا لَا نَفَقَةَ لَهَا، رقم الحديث (1480)، (ج2، ص1118).

[2] – القاضي عياض، **إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم**، (ج5، ص54).

وهذه الأحاديث مثال يحتذى به في هذا الطريق وهذه الملكة التي ينبغي أن يمتلكها طلاب العلم فضلاً عن النظر إلى اجتهاد العلماء والتأمل في آرائهم ونقشاتهم واختلافاتهم، فبهذا يصبح الإنسان قادراً على التمييز بين ما هو صحيح؛ لأنه وافق الأدلة الصحيح الثابتة، وبين ما هو خاطئ ومخالف للأدلة الصحيحة فيتم رفضه، وذلك من إطالة النظر والتروي في عملية البحث والتمحيص الدقيق في الأدلة والحقائق التي يُراد دراستها.

ومن خلال دراسة أحاديث هذا المبحث، ومعرفة أهم تعليقات العلماء على هذه المطالب، استنتجتُ أثر هذه الصفات على شخصية متلقي العلم، وهي:

1. زيادة قوة الشخصية العلمية لِمتلقي العلم.

2. تقدير العلم والاستزادة منه، والحفاظ عليه من الضياع والتشتت.

3. تمييز المتعلّم الأدلة الصحيحة الثابتة في المسألة الموصلة إلى الطريق المنهج الصحيح، عن الأدلة الغير صحيحة التي تؤدي إلى العدول عن المنهج الصحيح.

4. وضع أدلة المسائل العلمية في ميزان النقد الذي امتلكه من خلال مسيرته العلمية في تخصصه والنظر إلى آراء العلماء وأدلتهم.

المبحث الثالث

أُسس تميّز طالب العلم في السُنَّة النَّبويَّة

وفي هذا المبحث سيتمّ عرض أهم الأسس التي من خلالها يكون الطالب متميزاً فيما تعلمه ومتمكناً منه، وهذا لا يكون إلا بمروره بالمراحل السابقة من تتبع وسائل التلقي ومعرفة الصفات التي يجب اكتسابها ليتلقى العلم، فالأسس التي تساعد على التميّز في العلم هي مرحلة متأخرة عما سبق، وبيان هذه الأسس كالآتي:

المطلب الأول: ملازمة العلماء:

تعدّ ملازمة العلماء وحضور مجالسهم هي ضرورة من ضروريات تحصيل العلم والتميّز فيه، فما كان عليه أمثال أبي هريرة وعبد الله بن مسعود وابن عباس رضوان الله عليهم، من التميّز في العلم والشهرة بالذكاء والفطنة، إلّا نتيجة أنهم كانوا يتميزون عن غيرهم من الصحابة بإمكانية الدخول على النبي ﷺ وسؤاله ومجالسته والسماع منه مباشرةً، فابن عباس كان ابن عم النبي ﷺ وخالته ميمونة زوجة النبي ﷺ، وأما ثبوت كثرة دخول ابن مسعود على النبي ﷺ فجاء في الحديث عند الإمام البخاري: " سَمِعْتُ أَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: «قَدِمْتُ أَنَا وَأَخِي مِنَ اليَمَنِ فَمَكُثْنَا حِينًا مَا نُرَى إِلَّا أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ، لِمَا نَرَى مِنْ دُخُولِهِ، وَدُخُولِ أُمِّهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ»"[1]، وأما أبو هريرة فمر معنا سابقاً من أنه كان يلزم النبي ﷺ بشبع بطنه.

وذكر موضوع الملازمة للنبي ﷺ يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالصحابي الجليل أبي هريرة، وذلك لشهرته بكثرة رواية الحديث لِما كان عليه من إيثار الدنيا على العلم النبوي لملازمته للنبي ﷺ، فكثرة رواية أبي هريرة نتيجة لدوام الملازمة، نماذج ذلك:

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، بَابُ مَنَاقِبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم الحديث (7363)، (ج5، ص28).

1. ما رواه وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَخِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: «مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلاَ أَكْتُبُ»"[1].

2. وما رواه الأَعْرَجُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: " إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَلَوْلاَ آيَتَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُ حَدِيثًا، ثُمَّ يَتْلُو {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالهُدَى} [البقرة: 159] إِلَى قَوْلِهِ {الرَّحِيمُ} [البقرة: 160] إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ المُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ، وَإِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمُ العَمَلُ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَإِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِشِبَعِ بَطْنِهِ، وَيَحْضُرُ مَا لاَ يَحْضُرُونَ، وَيَحْفَظُ مَا لاَ يَحْفَظُونَ"[2].

فكثرة رواية أبي هريرة في الحديث ما هي إلا نتيجة لدوام ملازمته للنبي ﷺ، فكما هو متعارف عليه في علم الحديث أن أبا هريرة أكثر الصحابة روايةً للحديث عن النبي ﷺ، وهذا ما يتبين بنصه هو في الحديث الأول، وما جعلهم في هذه المرتبة هي قضية ملازمتهم للنبي ﷺ وحرصهم على عدم تفويت مجالسه، فأبو هريرة رضي الله عنه كان يلزم النبي ﷺ ويؤثر طلب العلم على المال والدنيا.

فحضور مجالس العلماء وملازمتهم تزيد من تميّز طالب العلم، وتعمل على جذبهم إلى حلقات العلم والعلماء، لكي تتفتح الآفاق لديهم، وتعطيهم إمكانية التفكير والنظر في اجتهاد العلماء والمقارنة بين آرائهم والحكم عليها من خلال الدليل الصحيح، إضافة إلى الثواب العظيم والخير الكثير الذي يستحقه من يلتزم بهذه الأمور من الله عز وجل.

وكذا التزام الطالب بمحاضراته وحصصه مع مدرّسه، فهو مثيل المجالسة والملازمة في السابق، فمتابعة المعلم والاهتمام بكل ما يطلبه من الطالب هو أحد أهم الأسباب التي تؤدي إلى نبوغ الطالب وثرائه بالمعلومات اللازمة لتخصصه.

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ كِتَابَةِ العِلْمِ، رقم الحديث (113)، (ج1، ص34).

[2] – **المرجع السابق**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ حِفْظِ العِلْمِ، رقم الحديث (118)، (ج1، ص35).

المطلب الثاني: كتابة العلم:

تعد كتابة العلم من الأسس القديمة التي ساهمت في تميّز بعض الصحابة في عهد النبي ﷺ، كعبد الله بن عمر، حيث كانت الكتابة في ذلك الزمن محصورة في فئة قليلة، فكان أشهر من الصحابة في الحفظ والكتابة، حيث اتخذ الكتابة وسيلةً للحفظ مما أدى ذلك إلى تميّزه بين الصحابة في العلم، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على اقتداءه واتباعه لأوامر النبي ﷺ في حثه على كتابة العلم وتقييده.

أولاً: الخلاف على مشروعية الكتابة:

وفي البداية ينبغي الإشارة بشكل سريع إلى أن العلماء اختلفوا في مشروعية الكتابة، بين الجواز والمنع وذلك لوجود أدلة صحيحة ثابتة عن النبي ﷺ لا تجيز الكتابة، منها ما أخرجه مسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: " لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ، وَحَدِّثُوا عَنِّي، وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ – قَالَ هَمَّامٌ: أَحْسِبُهُ قَالَ – مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ "[1].

واختلفت التأويلات حول المقصود بهذا الحديث، نذكر أهمها بشكل سريع ونرجح ما نراه أصوب، فهذا الإمام ابن قتيبة يذكر الأحاديث في الجواز والنهي عن الكتابة ثم يعلق قائلاً: "ونحن نقول: إن في هذا معنيين:

أحداهما: أن يكون من منسوخ السنة بالسنة، كأنه نهى في أول الأمر عن أن يكتب قوله، ثم رأى بعد –لما علم أن السنن تكثر وتفوت الحفظ– أن تكتب وتقيد، **والمعنى الآخر:** أن يكون خص بهذا عبد الله بن عمرو؛ لأنه كان قارئا للكتب المتقدمة، ويكتب بالسريانية والعربية وكان غيره من الصحابة أميين، لا يكتب منهم إلا الواحد والاثنان، وإذا كتب لم يتقن، ولم يُصب التهجي. فلما خشي عليهم الغلط فيما يكتبون نهاهم، ولما أمن على عبد الله بن عمرو ذلك، أذن له"[2].

---

[1] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، بَابُ التَّثَبُّتِ فِي الْحَدِيثِ وَحُكْمِ كِتَابَةِ الْعِلْمِ، رقم الحديث (3004)، (ج4، ص2298).

[2] – ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت: 276هـ)، **تأويل مختلف الحديث**، المكتب الاسلامي –مؤسسة الإشراق، (ط/2–مزيده ومنقحة 1419هـ –1999م)، (ص411).

وأما الخطابي فقال: "ويُشبه أن يكون النهي متقدماً وآخر الأمرين الإباحة، وقد قيل إنه إنما نهى أن يكتب الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة؛ لئلا يختلط به ويشتبه على القارىء، فأما أن يكون نفس الكتاب محظوراً، وتقييد العلم بالخط منهياً عنه فلا"[1].

وغيرها من وجهات النظر لدى العلماء حول هذا الموضوع، ولكن بالنظر إلى ما ذكره ابن قتيبة فإن النسخ لا يحل الإشكال حول الموضوع، كما أن قوله الثاني غير مقنع؛ لأنه ثبت أن غير عبد الله بن عمر كان يكتب ويتقن، وأما قول الخطابي فيستحيل القول باختلاط القرآن بالحديث على الصحابة، وعدم تمييزهم بينهم لما عُرف عنهم من صفاوة أذهانهم وفهمهم العميق، وأما ما يترجح لدى الباحث فهو أن علة المنع كانت في بداية الدعوة والقرآن ينزل فخاف النبي ﷺ انكبابهم على دراسة غير القرآن، وترك القرآن اعتماداً على ذلك، وهذا ما ذهب إليه الدكتور نور الدين عتر[2].

ثانياً: دور الكتابة في تميّز طالب العلم ونبوغه، وأثرها عليه:

وقد استنتج الباحث من أحاديث هذا المطلب أثر الكتابة ودورها على تميّز طالب العلم، وأهمها:

1. تساهم كتابة العلم في زيادة توثيق العلم وتثبيته في نفس الطالب.

2. تساعد كتابة العلم على زيادة حفظه وصيانته من الضياع، لاعتبارها مرجعاً موثقاً عند العودة للاطلاع على ما تم تقييده من العلم.

3. تساعد الطالب على تنشيط ذاكرته من خلال رجوعه إلى كتاباته ومذاكرتها ومراجعه ما جاء فيها واختبار نفسه بموافقتها مع ما في صدره من العلم.

---

[1] – الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (ت: 388هـ)، **معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود**، المطبعة العلمية – حلب، (ط/1 1351 هـ –1932 م)، (ج4، ص184).

[2] – **يُنظر:** عتر، الدكتور نور الدين، **منهج النقد في علوم الحديث**، دار الفكر، دمشق – سورية، (ط/3، 1401 هـ –1981 م)، (ص 42–43).

ثالثاً: النماذج الدالة على كتابة الصحابة وتميّز بعضهم فيها:

1. شهرة ابن عمر بالكتابة وتميّزه بها: ومثاله ما رواه وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَخِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: «مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَلاَ أَكْتُبُ»"[1].

فكما تميّز أبو هريرة بحفظه للحديث لكثرة ملازمته للنبي ﷺ وحضور مجالسه، حيث جعله ذلك بالمركز الأول من حيث الإكثار من رواية الأحاديث، تميّز أيضاً ابن عمر بجعله بنفس مرتبة أبي هريرة أو أقل درجة؛ وذلك لكتابته لجميع الأحاديث والروايات التي سمعها عن النبي ﷺ، فهذه من أهم الأسباب التي جعلته ممن اشتهر بحفظه للعلم وتميّزه بتقييده وكتابته لأحاديث النبي ﷺ.

2. تعد كتابة العلم تأسيساً لقواعد علمية ثابتة تعتبر كمرجع: وأمثلة ذلك:

- ما رواه أَبو جُحَيْفَةَ، قَالَ: قُلْتُ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: هَلْ عِنْدَكُمْ كِتَابٌ؟ قَالَ: "لاَ، إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ، أَوْ فَهْمٌ أُعْطِيَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ، أَوْ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ. قَالَ: قُلْتُ: فَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ؟ قَالَ: العَقْلُ[2]، وَفَكَاكُ الأَسِيرِ[3]، وَلاَ يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ"[4].

- وما رواه يَزِيدَ بْنِ هُرْمُزَ، قَالَ: كَتَبَ نَجْدَةُ بْنُ عَامِرٍ الْحَرُورِيُّ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ يَسْأَلُهُ، عَنِ الْعَبْدِ وَالْمَرْأَةِ يَحْضُرَانِ الْمَغْنَمَ، هَلْ يُقْسَمُ لَهُمَا؟ وَعَنْ قَتْلِ الْوِلْدَانِ؟ وَعَنِ الْيَتِيمِ مَتَى يَنْقَطِعُ عَنْهُ الْيُتْمُ؟ وَعَنْ ذَوِي الْقُرْبَى مَنْ هُمْ؟ فَقَالَ لِيَزِيدَ: اكْتُبْ إِلَيْهِ، فَلَوْلَا أَنْ يَقَعَ فِي أُحْمُوقَةٍ[5] مَا كَتَبْتُ إِلَيْهِ، اكْتُبْ: «إِنَّكَ كَتَبْتَ تَسْأَلُنِي عَنِ الْمَرْأَةِ وَالْعَبْدِ يَحْضُرَانِ الْمَغْنَمَ، هَلْ يُقْسَمُ لَهُمَا شَيْءٌ؟ وَإِنَّهُ لَيْسَ لَهُمَا شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُحْذَيَا، وَكَتَبْتَ تَسْأَلُنِي عَنْ قَتْلِ الْوِلْدَانِ، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَقْتُلْهُمْ، وَأَنْتَ فَلَا تَقْتُلْهُمْ إِلَّا أَنْ تَعْلَمَ مِنْهُمْ مَا عَلِمَ صَاحِبُ مُوسَى مِنَ الْغُلَامِ الَّذِي

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، وكِتَابُ العِلْمِ، بَابُ كِتَابَةِ العِلْمِ، رقم الحديث (113)، (ج1، ص34).

[2] – **العقل** أي: الدية، وإنما سميت به؛ لأنهم كانوا يعطون فيها الإبل، ويربطونها بفناء دار المقتول بالعقال، وهو الحبل.

[3] – **فكاك الأسير** والمعنى: أن فيها حكم تخليص الأسير من يد العدو، والترغيب في ذلك.

[4] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ كِتَابَةِ العِلْمِ، رقم الحديث (111)، (ج1، ص33)، وكتاب فَضَائِلِ المَدِينَةِ، بَابُ حَرَمِ المَدِينَةِ، رقم الحديث (1870)، (ج3، ص20).

[5] – أحموقة: يعني فعلاً من أفعال الحمقى، ويرى رأي كرأيهم.

قَتَلَهُ، وَكَتَبْتَ تَسْأَلُنِي عَنِ الْيَتِيمِ مَتَى يَنْقَطِعُ عَنْهُ اسْمُ الْيُتْمِ؟ وَإِنَّهُ لَا يَنْقَطِعُ عَنْهُ اسْمُ الْيُتْمِ حَتَّى يَبْلُغَ وَيُؤْنَسَ مِنْهُ رُشْدٌ، وَكَتَبْتَ تَسْأَلُنِي عَنْ ذَوِي الْقُرْبَى مَنْ هُمْ؟ وَإِنَّا زَعَمْنَا أَنَّا هُمْ، فَأَبَى ذَلِكَ عَلَيْنَا قَوْمُنَا»"[1].

فما كتبه علي بن أبي طالب في الصحيفة، وابن عباس لنجدة الحروري أصبحت قواعد أساسية ثابتة في الجزء العلمي الذي كُتبت فيه، فما كتبه علي في صحيفته من الدية، وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر أدى ذلك لشهرته في هذه المسائل وارتباطها به، مما جعله يتميّز في هذا الجانب من العلم.

3. تساعد كتابة العلم على تقوية الطالب الضعيف، بعدم ضياع العلم عليه من خلاله مراجعته للمكتوب: ومثاله ما رواه أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مَكَّةَ قَامَ فِي النَّاسِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الفِيلَ، وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهَا لاَ تَحِلُّ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي، وَإِنَّهَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَإِنَّهَا لاَ تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، فَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهَا، وَلاَ يُخْتَلَى شَوْكُهَا، وَلاَ تَحِلُّ سَاقِطَتُهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ، وَمَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ، إِمَّا أَنْ يُفْدَى وَإِمَّا أَنْ يُقِيدَ»، فَقَالَ العَبَّاسُ: إِلَّا الإِذْخِرَ [2]، فَإِنَّا نَجْعَلُهُ لِقُبُورِنَا وَبُيُوتِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِلَّا الإِذْخِرَ» فَقَامَ أَبُو شَاهٍ – رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ – فَقَالَ: اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ»، قُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ: مَا قَوْلُهُ اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: هَذِهِ الخُطْبَةَ الَّتِي سَمِعَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ"[3].

---

[1] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ النِّسَاءِ الْغَازِيَاتِ يُرْضَخُ لَهُنَّ وَلَا يُسْهَمُ، وَالنَّهْيِ عَنْ قَتْلِ صِبْيَانِ أَهْلِ الْحَرْبِ، رقم الحديث (1812)، (ج3، ص1445).

[2] – **الإذخر**: نبات عشبي من فصيلة النجيليات له رائحة ليمونية عطرة أزهاره تستعمل منقوعا كالشاي ويقال له أيضا طيب العرب والإذخر المكي من الفصيلة نفسها جذوره من الأفاويه ينبت في السهول وفي المواضع الجافة الحارة ويقال له أيضا حلفاء مكة. النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج7، ص7).

[3] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَاب فِي اللُّقَطَةِ، بَابُ كَيْفَ تُعَرَّفُ لُقَطَةُ أَهْلِ مَكَّةَ، رقم الحديث (2434)، (ج3، ص125)، وكِتَابُ العِلْمِ، بَابُ كِتَابَةِ العِلْمِ، رقم الحديث (112)، (ج1، ص33) وحديث رقم (6880)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ تَحْرِيمِ مَكَّةَ وَصَيْدِهَا وَخَلَاهَا وَشَجَرِهَا وَلُقَطَتِهَا، إِلَّا لِمُنْشِدٍ عَلَى الدَّوَامِ، رقم الحديث (1355)، (ج2، ص988).

لا شك أن طلب أبي شاه لكتابة العلم له لخشيته على نفسه من ضياع العلم الذي قيل أمامه ربما لعدم مقدرته على الحفظ، وفي هذا من الحرص على حفظ العلم وتقييده بمراجعته لما كتب له.

فتقييد العلم وكتابته من شأنه أن يحفظ العلم ويحميه من الضياع، ففي حفظ العلم عن الطريق الكتابة زيادة من التوثيق للنبوغ فيه، خاصة وأنه الكتابة تمكننا من الرجوع إلى الصحف والكتب والنظر والتأمل فيها فهذا يعطي تمكين أكبر من النبوغ بما يتم مذاكرته ومراجعته باستمرار.

وما أسهل الكتابة في وقتنا هذا مع كثرة الاختراعات التي من حولنا، فالكتابة أصبحت شيئاً سهلاً على الأجهزة، وتدوين المعلومة والرجوع إليها أكثر سهولة، ومع سهولة الكتابة الآن إلا أنها ذات أهمية كبيرة جداً فحفظ العلم مهم، ويجب أن يتعامل الطالب مع كتابته بعناية كبيرة حتى لا يضيع تعبه ويضيع علمه الذي حفظه.

المطلب الثالث: التركيز على العلم النافع، ومتابعة تطوره:

حثّ الصحابة على التركيز على ما ينفع من العلم، فبعد أن بيّن لهم النبي ﷺ العلم النافع وحذرهم مما يؤثر على هذا العلم وما يؤدي إلى ضياعه، كنهيه عن بعض الأشياء وبأمره بالتمسك بأشياء أخرى، وأما النهي عن بعض الأمور التي من شأنها تشتيت المتعلّم عن تركيزه على العلم النافع، مثاله ما أورده البخاري في صحيحه: "عَنْ وَرَّادٍ، كَاتِبِ المُغِيرَةِ، قَالَ: كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى المُغِيرَةِ: اكْتُبْ إِلَيَّ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ ...، وَكَتَبَ إِلَيْهِ إِنَّهُ (كَانَ يَنْهَى عَنْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ...)"[1]، "فقوله: (قيل وقال): وهو الإكثار من الكلام والإرجاف، نحو قول الناس: أعطى فلان كذا ومنع كذا، والخوض فيما لا يعنى، وقوله:

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ قِيلَ وَقَالَ، رقم الحديث (6473)، (ج8، ص100)، وكِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ وَتَكَلُّفِ مَا لاَ يَعْنِيهِ، رقم الحديث (7292)، (ج9، ص95)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْأَقْضِيَةِ، بَابُ النَّهْيِ عَنْ كَثْرَةِ الْمَسَائِلِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ، وَالنَّهْيِ عَنْ مَنْعٍ وَهَاتِ، وَهُوَ الِامْتِنَاعُ مِنْ أَدَاءِ حَقٍّ لَزِمَهُ، أَوْ طَلَبِ مَا لَا يَسْتَحِقُّهُ، رقم الحديث (593)، (ج3، ص1341).

(كثرة السؤال): وأصل النهى عن كثرة السؤال والتنطع في المسائل مبين في كتاب الله تعالى في بقرة بنى إسرائيل أمرهم الله بذبح بقرة فلو ذبحوا أي بقرة كانت لكانوا مؤتمرين غير عاصين"[1].

وبتأمل الكلام السابق ندرك أن الخوض فيما لا يعني والإكثار من التخبط في الكلام الذي لا يختص بالموضوع الذي يُراد دراسته والبحث فيه يُؤدي إلى الخروج عن المطلوب والتشتت والضياع عما هو مقصود، وكذا كثرة السؤال والتنطع في طرحه، والمثال الذي ذكره ابن بطال في شرحه وهي قصة بني إسرائيل عندما أمرهم ربُّ العزة بذبح البقرة حتى شدّدوا فشدّد الله عليهم، فكثرة السؤال جعلتهم يخوضوا فيما لا يعني حتى تشتتوا وضاعوا فيما كانوا مأمورين فيه مهما كان السبب سواء تكبراً وعناداً، أم جهلاً وبعداً عن الحقيقة.

وينبغي الإشارة إلى أنه قد ينتج عن كثرة السؤال والخوض في قيل وقال فيما لا يختص بالموضوع، البعد عن متابعة المستجدات العلمية وتطوراتها التي قد تعطي فائدة عظيمة وكبيرة لموضوع البحث والدراسة، فالمستجدات العلمية تُكتشف من خلال البحث والتنقيب والسؤال عما يختص ويركز على صلب الموضوع والدراسة لا عمّن يشتتها ويضيعها.

وهنالك مثال آخر قد يُستفاد منه عدم التشتت من حديث النبي ﷺ، وهو قوله: "وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللهِ"[2]، فكأن النبي ﷺ قال تركت فيكم كتاب الله الكريم فإن فهمتموه وتبعتموه وتمسكتم به فلن تضلوا ولن تتشتتوا وتضيعوا من بعدي، فسلوك الطريق الصحيح والمنهج القويم في المسلك المُخطط له هو ما يصل بنا إلى ما هو صحيح، وأما أذا أدخلنا أساليب التشتت التي من شأنها تشغل أن طالب العلم عن تركيزه على العلم النافع، من القيل والقال وكثرة السؤال وترك ما إن تمسكنا به ضللنا فحتماً ستتغير نتيجة هذه الطريق وهذا المسلك العلمي، ويؤدي بنا إلى التشتت والضياع، وعدم متابعة التطورات العلمية التي يمكن أن تخدمنا في هذه الدراسة العلمية والبحثية.

---

[1] – ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج6، ص531)، و(ج10، ص339).

[2] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ حَجَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رقم الحديث (1218)، (ج2، ص886).

النموذج الدال على التركيز على العلم النافع، ومتابعة تطوره، فهو حديث ابن عباس رضي الله عنهما حين أنكر على المسلمين سؤال أهل الكتاب، وهو ما رواه عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عُتْبَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: " يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الكِتَابِ، وَكِتَابُكُمُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ أَحْدَثُ الأَخْبَارِ بِاللَّهِ، تَقْرَءُونَهُ لَمْ يُشَبْ، وَقَدْ حَدَّثَكُمُ اللَّهُ أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ بَدَّلُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ وَغَيَّرُوا بِأَيْدِيهِمُ الكِتَابَ، فَقَالُوا: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، أَفَلاَ يَنْهَاكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنَ العِلْمِ عَنْ مُسَاءَلَتِهِمْ، وَلاَ وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلًا قَطُّ يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ "[1].

فقد حذر ابن عباس رضي الله عنهما على خطورة سؤال أهل الكتاب عن أمور ديننا، وهذه الخطورة تتمثل في أن سؤالهم قد يؤدي إلى التشتت عند البعض في أحكام الدين والعلم، فلهذا علل كلامه بأن الله أنزل كتابه الكريم على نبيه ﷺ ناسخاً لما قبله، وأن أهل الكتاب بدلوا دينهم وغيروا ما جاء في كتابهم، واستشهد على ذلك من القرآن الكريم، فابن عباس أمرهم بالتركيز على القرآن، وترك ما سواه من الكتب السماوية؛ لعدم التشتت والضياع، وفي ذلك إشارة إلى متابعة القرآن لِما فيه من التطورات والمستجدات التي لم تأتِ في الشرائع السابقة لشريعة الإسلام.

ولأهمية هذه الميزة على طلبة العلم أن يهتموا بها بحيث يجعلوا تركيزهم على ما ينفع الموضوع المراد دراسته، وأن ينصب اهتمامهم على المقصد الأساسي من هذه الدراسة ومتابعة ما يخص هذه الدراسة وما يُذكر حولها من تطورات متعددة، والتي تهدف إلى تنمية هذه الدراسة وتطويرها، وبهذا تتكون لديهم ملكة التركيز والاهتمام على الهدف الأساسي النافع للدراسة التي يُراد الخوض فيها، ويصبح التمييز بين ما يختص بهذه الدراسة وما لا يخصها من تشتيت وضياع وعدم تركيز واضح، بالإضافة إلى متابعة أخر التطورات العلمية حول موضوع الدراسة.

وعدم التشتت يلزمه التركيز من طلبه العلم؛ لأنه يُبنى على معرفه الدليل ومتابعة آراء العلماء وأدلتهم في كل مسألة، وهذا أكثره موجود ومدروس على مواقع الانترنت، ولكن إذا ما لم

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الشَّهَادَاتِ، بَابُ لاَ يُسْأَلُ أَهْلُ الشِّرْكِ عَنِ الشَّهَادَةِ وَغَيْرِهَا، رقم الحديث (2685)، (ج3، ص181)، وكِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تَسْأَلُوا أَهْلَ الكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ»، رقم الحديث (7363)، (ج9، ص111)، وكِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [الرحمن: 29]، رقم الحديث (7523)، (ج9، ص153).

يوجد علم كافٍ، وخلفية مسبقة عند الطالب، صَعُبَ عليه أن يتعامل معها، وأما متابعة التطورات العلمية فهذا في زماننا متاح للجميع وفي كل المواقع، حيث جَعَل الانترنت العالم كقرية صغيرة، فكل التطورات والمستجدات المتعلقة بالعلم والعالم موجودة باستمرار، وبشكل متجدد على مواقع التواصل الاجتماعي، ولكن كما نبهنا بأنها تحتاج إلى معرفة كيفية التعامل معها، حيث أنها تحتاج أسلوباً علمياً معين لكل شخص كلٌ حسب تخصصه.

الفصل الثاني

تعليم العلم أسسه، ووسائله وأساليبه، وصفات العالم، وعمّن يتلقّى العلم في السُنَّة النَّبويَّة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أُسس التعليم في السُنَّة النَّبويَّة:

المبحث الثاني: الأساليب والوسائل التعليميّة في السُنَّة النَّبويَّة:

المبحث الثالث: صفات العالم وعمّن يتلقّى العلم في السُنَّة النَّبويَّة:

الفصل الثاني

تعليم العلم أسسه، ووسائله وأساليبه، وصفات العالم، وعمّن يتلقى العلم في السُنَّة النَّبويَّة

بعد الحديث عن طُرق تلقي العلم وبيان الصفات الرئيسة لمتلقي العلم، والأسس التي تساعد على النبوغ فيه، وتأصيلها من السنة النبوية، جاء الحديث هنا عن تعليم العلم وأهم ما يتعلق به، من الأسس المهمة في التعليم والوسائل المستمدة من حديث رسول الله ﷺ للتعليم وأهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها العالم ومن يكون أهلاً وكفأً للعلم فُيتلقى عنه، لما لهذهِ الحلقة من دور في رسم المنهج الذي يعين المتعلم على أن يكون نافعاً منتفعاً بعلمه وتعلّمه، فتنوعت أحاديث هذا الفصل وكثرت؛ لذلك تم تقسيمها حسب المباحث والمطالب المناسبة لها، وبيان ذلك كالآتي:

المبحث الأول

أُسس التعليم في السُنَّة النَّبويَّة

في هذا المبحث سيكون الكلام عن أهمّ الأسس التعليمية التي أوجدها النبي ﷺ في حياته وجعلها منهجاً متبعاً في شتّى مجالاته، والتي يجب على المعلم والمدرّس أن يكون على اطلاع بها، وأن يحاول تَعلَّمَها واكتسابها من خبرته وتجربته التعليمية؛ لأن معرفة هذه الأسس تؤدي إلى معرفة الزمان والمكان والهيئة والحال التي يكون عليها الطرف المُراد تعليمه، سواء الاجتماعية أو النفسية أو الجسمية أو العقلية وغيرها، المتمثل بالطلبة في جميع مواقعهم من المدرسة إلى المعهد ووصولاً للجامعة، مما يؤدي ذلك إلى تحقق المطلوب وهو إيصال العلم والمعلومات مع التأكد من تثبيتها، والاستفادة منها، والخروج بالنتائج المَرجو تحققها، ومن هذه الأسس، اختيار الوقت المناسب، والعصف الذهني، ومراعاة الطاقات والفروق المختلفة للطلبة، والتدرج في التعليم.

المطلب الأول: اختيار الوقت المناسب للتعليم:

يُعدّ اختيار الوقت المناسب من أهم أسس التعليم، وذلك لِعديد ما يُبنى عليه من الأسس الأخرى إن لم تكن جميعها، منها مراعاة طاقة الطلاب سواء العقلية أو السمعية أو الاستيعابية، فلا بد من اختيار الوقت المناسب الذي يراعي الحالة التي يكون عليها الطلبة؛ لكي ينتفعون بهذا العلم ويتقبلونه، كما وأن اختيار الوقت المناسب يندرج تحته وسيلة عدم التكرار والتتابع في طرح المعلومات وذلك لكي لا يُصاب الطلبة بالملل مما يؤدي إلى النفور والهروب من التعليم، وغيرها من الأسس والوسائل التي تتعلق بهذا الأساس المهم، وبيان ذلك كالآتي:

1. تخصيص النبي ﷺ أوقات لِلتَّعلّم: ومثاله ما رواه أبو عُثْمَانَ النَّهْدِيّ رضي الله عنه، عَنْ حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ...، قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ؟ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ

عَيْنٍ[1]، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، عَافَسْنَا[2] الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ[3]، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ"[4].

وأما الشاهد من الحديث المتعلق بالمطلب هو قوله ﷺ: "ولكن يا حنظلة ساعة وساعة"، فالنبي ﷺ أعلمه بأن ظاهر حاله وحال النفس البشرية عامة لا تقتضي بقاءهم على وتيرة واحدة، مع توضيح أن مثل هذا ليس بنفاق، فأعلمهم أن هذه الحال التي وجدوها من أنفسهم عنده لو كانوا ملازمين لها لصافحتهم الملائكة في الطريق [5]، فكأنّ النبي ﷺ قال لحنظلة والحكم له ولجميع المسلمين أنه يجب علينا أن نختار الوقت المناسب الذي تكون النفس فيه تشتهي طلب الحديث والعلم، سواء كان العلم الشرعيّ أو الدنيويّ، فالساعة أي الوقت التي تكونُ فيها النفس تبتغي العلم وتشتهيه هي ساعة التعليم ووقته، والساعة التي تكون فيها النفس عكس ذلك وتميل للانشغال بمتاع الدنيا من المال والزوج والولد فهي ليست ساعة التعليم، وليست وقته، وإنما ساعة الدنيا والانشغال بها.

2. توظيف النبي ﷺ الأحداث المناسبة في التعليم: ومثاله ما رواه عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا

---

[1] – **كأنا رأي عين:** أي كأنا بحال من يراها بعينه. النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج17، ص66).

[2] – **عافسنا:** أي حاولنا ذلك ومارسناه واشتغلنا به أي عالجنا معايشنا وحظوظنا. النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج17، ص66).

[3] – **الضيعات:** جمع ضيعة وهي معاش الرجل من مال أو حرفة أو صناعة. النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج17، ص66).

[4] – مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب التَّوْبَةِ، بَابُ فَضْلِ دَوَامِ الذِّكْرِ وَالْفِكْرِ فِي أُمُورِ الْآخِرَةِ وَالْمُرَاقَبَةِ وَجَوَازِ تَرْكِ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ وَالِاشْتِغَالِ بِالدُّنْيَا، رقم الحديث (335)، (ج4، ص2106).

[5] – **يُنظر:** القاضي عياض، **إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم**، (ج8، ص250).

فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: «أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ» قُلْنَا: لاَ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لاَ تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: «لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا»"[1].

في الحديث أن النبي ﷺ استغل الموقف الذي حصل أمامه مع الصحابة، حيث أضاعت المرأة ولدها وأخذت تطلبه وتمشي بسرعة للبحث عنه من خوفها فقدانه، فعندما وجدته احتضنته وضمته ببطنها وارضعته، فهنا النبي ﷺ استغل هذه الحادثة ليبين للصحابة أن ما رأوه من رحمة هذه الأم بولدها لا تذكر أمام رحمه الله عز وجل بعباده، وأن الله عز وجل هو أرحم الراحمين، فاختيار النبي ﷺ لهذه الموعظة في هذا الموقف كان هو الوقت المناسب الذي جعل من المتعلّم يتفاعل مع العلم بحيث لا يفارق عقله.

3. توصية الصحابة لبعضهم البعض باختيار الوقت المناسب، وترك أوقات الملل: ومثاله ما رواه عِكْرِمَةَ رحمه الله، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: "«حَدِّثِ النَّاسَ كُلَّ جُمُعَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ أَبَيْتَ فَمَرَّتَيْنِ، فَإِنْ أَكْثَرْتَ فَثَلاَثَ مِرَارٍ، وَلاَ تُمِلَّ النَّاسَ هَذَا القُرْآنَ، وَلاَ أُلْفِيَنَّكَ [2] تَأْتِي القَوْمَ وَهُمْ فِي حَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِهِمْ، فَتَقُصُّ عَلَيْهِمْ، فَتَقْطَعُ عَلَيْهِمْ حَدِيثَهُمْ فَتُمِلُّهُمْ، وَلَكِنْ أَنْصِتْ، فَإِذَا أَمَرُوكَ فَحَدِّثْهُمْ وَهُمْ يَشْتَهُونَهُ، فَانْظُرِ السَّجْعَ مِنَ الدُّعَاءِ فَاجْتَنِبْهُ» فَإِنِّي عَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ يَعْنِي لاَ يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ الِاجْتِنَابَ"[3].

فابن عباس رضي الله عنه عهد النبي ﷺ وتعلم منه هذه القاعدة وهذا الأساس المهم في التعليم والذي يعد أصلاً من أصوله، فمفهوم الشاهد كأنه يتلخص بأنّ قوله إن الوقت المناسب للتعليم هو عندما يأمرك الناس ويطلبوا منك الحديث والعلم وظاهر حالهم أنهم يشتهون تعلّم الحديث ويرغبونه فذاك وقته، فقال ابن بطال: "أنه لا ينبغي نشر الحكمة والعلم ولا الحديث بهما من لا يحرص على سماعهما وتعلمهما، فمتى حدث به من يشتهيه ويحرص عليه، كان أحرى أن يُنتفع به، ويَحْسَن موقعه عنده، ومتى حدث به من لا يشتهيه لم يحسن موقعه عنده، وكان في ذلك إذلال

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ رَحْمَةِ الوَلَدِ وَتَقْبِيلِهِ وَمُعَانَقَتِهِ، رقم الحديث (5999)، (ج8، ص8)، ومسلم **صحيح مسلم**، كتاب التَّوْبَةِ، بَابٌ فِي سِعَةِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ، رقم الحديث (2754)، (ج4، ص2109).

[2] – **ألفينك:** أصادفنك وأجدنك. مصطفى البغا، في **تعليقه** على صحيح البخاري في الهامش، بنفس صفحة الحديث.

[3] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الدَّعَوَاتِ، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ السَّجْعِ فِي الدُّعَاءِ، رقم الحديث (6337)، (ج8، ص74).

للعلم وحط له، والله تعالى قد رفع قدْره حين جعله سببًا إلى معرفة توحيده وصفاته تعالى، والى علم دينه وما تعبَّد به خلقه"[1].

المطلب الثاني: العصف الذهنيّ والحث على التفكير:

حث النبي صلى الله عليه سلم تلاميذه من الصحابة رضي الله عنهم على التفكير، وإعمال العقل الذي يؤدي بطلبة العلم إلى العصف الذهني، بحث يساعدهم ذلك على إيجاد الحلول والتسهيل في التنقيب على الآراء والأفكار التي تصل به إلى تعلّم العلم الذي أراد.

أولاً: مفهوم العصف الذهنيّ: يُعرف العصف الذهنيّ على أنه هو: "تنشيط للذهن وذلك عن طريق التفكير السريع لحل قضية معينة عن طريق التنقيب عن آراء وأفكار وحلول خلاقة وإيجابية اتجاه موضوع معين"[2].

فعملية العصف الذهني تمثل أسلوباً علمياً لتحفيز التفكير وتنشيط الذهن عند المتعلّم من خلال الأساليب التي يستخدمها العالِم مع تلاميذه، وأهمها في موضوعنا هذا هي كيفية طرح السؤال، وإيجاد الغموض المحفز فيه لتنشيط الذهن وتنمية التفكير العقلي عند المتعلّمين لتحفيز العقل على الإبداع واعطاء الحلول للإجابة على السؤال، وهذا نجده مبثوثاً في كتاب الله في آياتٍ كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ آل عمران: 191، فالحق سبحانه جعل التفكّر من صفات أصحاب العقول الراجحة وهم أُولي الألباب، فحثهم على إعمال العقل في سنن الله في كونه وخلقه، وكذا التفكر في العلم فهو أحدى الوسائل التي تصل بنا إلى تعلّم ما لم نعلم.

ثانياً: أهمية العصف الذهنيّ في التعليم:

واستنتاج أهمية العصف الذهنيّ يكون من خلال استنباط المنهج النبوي في حث الصحابة على التفكير، وإعمال العقل، فالنبي ﷺ حث تلاميذه وأمته من بعدهم على التفكّر فجعل لعلماء هذه الأمة ميزة الاجتهاد لينالوا بعلمهم الأجر أضعاف غيرهم، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: "«إِذَا

---

[1] – ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج10، ص98)، وابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (ج11، ص139).

[2] – شبكة موضوع، بواسطة غادة الحلايقة –آخر تحديث: ٢٠:٤٣، ٢٣ يوليو ٢٠١٨، اسم المقال: **تعريف العصف الذهني**، (https://mawdoo3.com).

حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»"[1]، فالنبي ﷺ شجعنا على العلم والوصول فيه إلى أعلى المراتب، ثم بعد ذلك شجعنا على الاجتهاد في هذا العلم وأي تشجيع أكبر من أن الاجتهاد مع الإصابة له أجران؛ أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، والاجتهاد الخاطئ له أجر واحد وهو أجر الاجتهاد فقط.

ومما سبق استنتج الباحث أهمية العصف الذهنيّ والحث على التفكير ويتلخص ذلك في:

1. تشجيع المتعلّمين على التفكير وإعمال العقل والتنقيب على الآراء من غير التخوف في الوقوع بالخطأ.

2. تنشيط الذهن وإعطاء المتعلّمين القدرة على إيجاد الحلول المناسبة وبسرعة.

3. تفتّح الذاكرة لدى المتعلّمين وجعلهم ينظرون إلى عمق المسائل وباطنها.

ثالثاً: العصف الذهنيّ كأساس من أسس التعليم: وأمثلته:

1. طرح السؤال مع تقريب الإجابة، لإعمال العقل: ومثاله ما رواه ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ المُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ» فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ البَوَادِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ»"[2].

قال ابن حجر: "امتحان العالم أذهان الطلبة بما يخفى مع بيانه لهم إن لم يفهموه"[3]، فالنبي ﷺ طرح السؤال ليمتحن الصحابة رضي الله عنهم مع بعض الدلائل الغامضة لتقريب الإجابة إلى أذهانهم وهي تشبيه هذه الشجرة بالمسلم، وهذا ما يسمى بالعصف الذهني في علم

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ أَجْرِ الحَاكِمِ إِذَا اجْتَهَدَ فَأَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ، رقم الحديث (7352)، (ج9، ص108)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْأَقْضِيَةِ، بَابُ بَيَانِ أَجْرِ الْحَاكِمِ إِذَا اجْتَهَدَ فَأَصَابَ، أَوْ أَخْطَأَ، رقم الحديث (1716)، (ج3، ص1342).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ قَوْلِ المُحَدِّثِ: حَدَّثَنَا، وَأَخْبَرَنَا، وَأَنْبَأَنَا، رقم الحديث (61)، (ج1، ص22)، وحديث رقم(62)، و(72)، و(131)، و(2209)، و(4698)، و(5444)، و(5448)، و(6122)، و(6144)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابُ مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّخْلَةِ، رقم الحديث (2811)، (ج3، ص2164).

[3] – ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (ج1، ص146).

التربية حالياً، فطرح مثل هذه الأسئلة بهذا الأسلوب هو ما يؤدي إلى تنشيط الذهن عند الطلاب لكي يفكروا بالإجابة بشكل سريع وذلك من خلال محاولة التنقيب عنها بالآراء والأفكار التقريبية الموصلة إلى أقرب نقطة توصل لهذه الإجابة.

وهذا أسلوب ينبغي على المعلّم أن يتبعه أثناء تعليم المتعلّمين، وفي الحديث "استحباب إلقاء العالم المسألة على أصحابه ليختبر أفهامهم، ويرغبهم في الفكر، وفيه جواز اللغز مع بيانه"[1].

2. طرح السؤال للقياس العقلي، باختيار الباطن لا الظاهر من المقصود: ومثاله ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»"[2].

فدلّ الحديث على أن سؤال النبي ﷺ عن شيء معروف وهو المفلس، ليس لظاهر الأمر، وإنما لإحداث قياس عقلي يتم من خلاله بيان عِظم من شتم وضرب وهو يصلي، ويصوم، ويزكي، فالنبي ﷺ أراد بمفهوم المفلس من أفلست حسانته وفنيت مقابل معاصيه وفواحشه، وهذا ما أشار له النووي، فقال: "وإنما حقيقة المفلس هذا المذكور في الحديث فهو الهالك الهلاك التام والمعدوم الإعدام المقطع فتؤخذ حسناته لغرمائه فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه ثم ألقي في النار فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه"[3].

---

[1] – العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج2، ص15).

[2] – مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، رقم الحديث (2581)، (ج4، ص1997).

[3] – النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج16، ص136).

فمثل هذه الأسس والأساليب التعليمية والتربوية في المنهج النبوي يجب اتباعها مع الطلاب؛ لما فيها من بناء فكري وعقلي لهم، وذلك من خلال تنشيط الذاكرة والذهن بواسطة الأسئلة التحفيزية، وخلق التحديات المنشطة لهم.

المطلب الثالث: مراعاة الطاقة الاستيعابية –العقلية–للمتعلّمين:

لا بد للمعلم بأن يراعي طاقات الطلاب فهي تختلف من طالب لآخر، فالقدرات العقلية والاستيعابية لدى الناس متفاوتة وهي من سنن الله في خلقه، ولا شك أنه ﷺ هو خير المعلمين وأفهمهم، فكان رحيماً رفيقاً بتلاميذه الكرام رضوان الله عليهم وبأمته جميعاً، وذلك بشهادة الحق سبحانه والذي قال في كتابه الكريم: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ التوبة: 128، وهذا ما يجب أن يقتدي به كل معلّم؛ لكي يتمكن من توصيل العلم لكل الفئات والعقليات التي يدرّسها ومحاولة مراعاة جميع هذه القدرات المختلفة.

أولاً: مفهوم الطاقة الاستيعابية، وأهمية مراعاتها:

والطاقة في اللغة: هي "القدرة، وما يستطيع الإنسان أن يفعله بمشقة"[1].

وأما الاستيعاب في اللغة: منه: "استيعاب الحديث: أي فهم جميع معانيه"[2].

وعلى هذا فأن **الطاقة الاستيعابية:** هي القدرة التي يمتلكها الطالب في فهمه لِما يُعرض عليه من العلم مع المشقة، وهي تختلف من إنسان لآخر.

ومن وجهة نظر الباحث فإن أهمية مراعاة الطاقة الاستيعابية تكمن في:

1. إيصال المعلومة لكل طالب من طلبة العلم على اختلاف قدراتهم الاستيعابية وإمكانياتهم العقلية.

---

[1] – مجمع اللغة العربية بالقاهرة، **المعجم الوسيط**، (ج2، ص571).

[2] – محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي، **معجم لغة الفقهاء**، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، (ط/2)، 1408 هـ – 1988 م، (ص67).

2. تشجيع طلبة العلم ذوي الطاقة الاستيعابية المنخفضة على الاستمرار في العملية التعليمية من خلال محاولة المعلم معه في تعليمه مهما بلغت العملية من مشقة.

ثانياً: مراعاة النبي ﷺ الطاقة الاستيعابية للمتعلّمين: وبيان ذلك كآلاتي:

1. تخصيص النبي ﷺ قوماً بالعلم دون قومٍ: وأمثلة ذلك ما يلي:

- ما رواه أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، وَمُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: «يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلاَثًا، قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَلاَ أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: «إِذًا يَتَّكِلُوا» وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا"[1].

في الحديث أن النبي ﷺ خصَّ معاذ بن جبل بهذا الكلمات عن غيره من الصحابة؛ وذلك لَما عَلِم من حاله أن يمتلك قوة الضبط وصحة الفهم لِما أعطاه الله من الإمكانيات العقلية التي يعطيها الله لمن يشاء من عباده، فالإمام البخاري ترجم هذا الحديث والذي يليه تحت (باب من خصَّ بالعلمِ قوماً دون قومٍ) فكأنه أردا أن يقول أن مثل هذه الأحاديث خصها النبي ﷺ ببعض تلاميذه؛ لأنه يعلم أن غيرهم لم يكونوا ليفهموه على هذه الشاكلة والناحية التي أراد، فطاقاتهم الاستيعابية لا تتحمل فهم هذه المعلومات على الطريق الصحيح.

- وما قاله عَلِيٌّ رضي الله عنه: «حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ» حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى عَنْ مَعْرُوفِ بْنِ خَرَّبُوذٍ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ عَنْ عَلِيٍّ بِذَلِكَ"[2].

فقول علي رضي الله عنه (حدثوا الناس) بصيغة الأمر: "أي كلّموا الناس بما يعرفون أي بما يفهمون والمراد كلموهم على قدر عقولهم، وقوله أن يكذب بصيغة المجهول؛ وذلك لأن

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ مَنْ خَصَّ بِالعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ، كَرَاهِيَةَ أَنْ لاَ يَفْهَمُوا، رقم الحديث (128–129)، (ج1، ص38)، وحديث رقم (2856)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ مَنْ لَقِي اللهَ بِالْإِيمَانِ وَهُو غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحُرِّمَ عَلَى النَّارِ، رقم الحديث (30)، (ج1، ص58).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ مَنْ خَصَّ بِالعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ، كَرَاهِيَةَ أَنْ لاَ يَفْهَمُوا، رقم الحديث (127)، (ج1، ص37).

الشخص إذا سمع ما لا يفهمه وما لا يتصور إمكانه يعتقد استحالته جهلاً، فلا يصدق وجوده فإذا أسند إلى الله ورسوله يلزم تكذيبهما"[1].

فالقدرات العقلية بين البشر متفاوتة فما يفقهه البعض بيسر قد يكون من صِعاب الأمور عند غيرهم، فلذا يجب على المعلم أن يخاطب كل شخص حسب قدرته العقلية والاستيعابية، وإلّا كان ضرر هذا الكلام أكثر من نفعه، ويُحدث عند البعض إشكالاً وغموضاً مما يؤدي إلى عدم فهم المعلومة بالشكل الصحيح، وانتشارها وتبليغها بالشكل الخاطئ الذي فُهمت عليه أول مرة، وفي سياق ذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه كلماته الرائعة: "«مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً»"[2].

2. **تتابع الكلام وعدم سرده ليستوعبه المتعلّمين:** ومثاله ما رواه عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْر رضي الله عنهِ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: "«أَلاَ يُعْجِبُكَ أَبُو فُلاَنٍ، جَاءَ فَجَلَسَ إِلَى جَانِبِ حُجْرَتِي، يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يُسْمِعُنِي ذَلِكَ وَكُنْتُ أُسَبِّحُ فَقَامَ قَبْلَ أَنْ أَقْضِيَ سُبْحَتِي، وَلَوْ أَدْرَكْتُهُ لَرَدَدْتُ عَلَيْهِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَسْرُدُ الحَدِيثَ كَسَرْدِكُمْ»"[3].

والمقصود من قول عائشة رضي الله عنها: أنها لم تدركه، "ولو أدركته لرددت عليه، أي لأنكرت عليه وبينت له أن الترتيل في التحديث أولى من السرد، فقولها لم يكن يسرد الحديث كسردكم، أي يتابع الحديث استعجالاً بعضه إثر بعض؛ لئلا يلتبس على المستمع، فيتكلم بكلام متتابع مفهوم واضح على سبيل التأني"[4].

---

[1] – العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج2، ص204).

[2] – مسلم، **صحيح مسلم** مقدمة الإمام مسلم رحمه الله، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْحَدِيثِ بِكُلِّ مَا سَمِعَ، (ج1، ص11).

[3] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ المَنَاقِبِ، بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رقم الحديث (3568)، (ج4، ص190)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رقم الحديث (2493)، (ج4، ص1940).

[4] – ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (ج6، ص578)، **ويُنظر**: العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج16، ص115)، والنووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج16، ص54).

فقول عائشة رضي الله عنها، (لم يكن يسرد الحديث كسردكم)، يدل على الحال الذي كان عليه النبي ﷺ من شرحه للحديث وتحديثه للعلم، فهو لم يكن عليه الصلاة والسلام يستعجل في سرد حديثه ويجعله بصورة متتابعة فيلتبس ذلك على المستمع، بل كان عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم يتأنى في كلامه ويتمهل في حديثه، وهذا ما جاء في رواية ثانية في رد أمّ المؤمنين عائشة على من كان يحدّث والذي تبيَّنَ أنه أبو هريرة رضي الله عنه، وهي: " كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُحَدِّثُ، وَيَقُولُ: اسْمَعِي يَا رَبَّةَ الْحُجْرَةِ اسْمَعِي يَا رَبَّةَ الْحُجْرَةِ وَعَائِشَةُ تُصَلِّي، فَلَمَّا قَضَتْ صَلَاتَهَا، قَالَتْ لِعُرْوَةَ: أَلَا تَسْمَعُ إِلَى هَذَا وَمَقَالَتِهِ آنِفًا؟ إِنَّمَا «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحَدِّثُ حَدِيثًا، لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لَأَحْصَاهُ»"[1].

فقولها (كان ﷺ يحدث حديثاً لوعدّه العاد لأحصاه)، أي (لو عدّه العاد) أي لو عد كلماته أو مفرداته أو حروفه لأطاق ذلك، وبلغ آخرها والمراد بذلك المبالغة في الترتيل والتفهيم هذا الحديث"[2]،"(لأحصاه) أي لحصره وضبطه في عدد معلوم تعني أن النبي ﷺ لا يكثر من الحديث في مجلس واحد وإنما كان يحدّث بأحاديث معدودة قليل عددها ليفهمها الناس ويحفظوها فلم تنكر عليه عائشة نفس التحديث بل إنما أنكرت عليه الإكثار منه في مجلس واحد لما مر"[3].

هكذا كان النبي ﷺ في تعليمه للصحابة وفي تحديثه لهم، فأسلوبه كان مناسباً لجميع الطاقات الاستيعابية المختلفة لعقول طلبة العلم، بحيث يتعلم ويستفيد منه الجميع من غير معاناة ولا صعوبة، مع وجود جانب التخصيص لبعض الفئات التي أنعم الله عليها بالقدرات الاستيعابية العالية، وهذا ما يجب أن يُتبع من قِبل المعلمين والأساتذة في مدارسنا وجامعاتنا ومعاهدنا.

---

[1] – مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رقم الحديث (2493)، (ج4، ص2298)، والبخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ المَنَاقِبِ، بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رقم الحديث (3567)، (ج4، ص190).

[2] – ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (ج6، ص578).

[3] – الأُرَمي، **الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم**، (ج26، ص449).

3. اختيار الوقت الذي تكون فيه الطاقة الاستيعابية للمتعلّمين قادرة على تحمل العلم واستيعابه: وأمثلة ذلك ما يلي:

- ما رواه ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ «يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ [1] فِي الأَيَّامِ، كَرَاهَةَ السَّآمَةِ [2] عَلَيْنَا»"[3].

- وما رواه عِكْرِمَةُ رحمه الله، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: "«حَدِّثِ النَّاسَ كُلَّ جُمُعَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ أَبَيْتَ فَمَرَّتَيْنِ، فَإِنْ أَكْثَرْتَ فَثَلاَثَ مِرَارٍ، وَلاَ تُمِلَّ النَّاسَ هَذَا القُرْآنَ، وَلاَ أُلْفِيَنَّكَ [4] تَأْتِي القَوْمَ وَهُمْ فِي حَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِهِمْ، فَتَقُصُّ عَلَيْهِمْ، فَتَقْطَعُ عَلَيْهِمْ حَدِيثَهُمْ فَتُمِلُّهُمْ، وَلَكِنْ أَنْصِتْ، فَإِذَا أَمَرُوكَ فَحَدِّثْهُمْ وَهُمْ يَشْتَهُونَهُ، فَانْظُرِ السَّجْعَ مِنَ الدُّعَاءِ فَاجْتَنِبْهُ» فَإِنِّي عَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ يَعْنِي لاَ يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ الِاجْتِنَابَ"[5].

بيّنَ ابن حجر بأن الملل والسآمة بمعنى واحد، لهذا فأن للحديثين نفس المؤدى والمقصد، حيث يُستفاد منهما "استحباب ترك المداومة في الجد في العمل الصالح خشية الملل، وإن كانت المواظبة مطلوبة، لكنها على قسمين: إما كل يوم مع عدم التكلف، وإما يوماً بعد يوم فيكون يوم الترك لأجل الراحة ليقبل على الثاني بنشاط، وإما يوماً في الجمعة ويختلف باختلاف الأحوال والأشخاص والضابط الحاجة مع مراعاة وجود النشاط، واحتمل عمل بن مسعود مع استدلاله أن يكون اقتدى بفعل النبي ﷺ حتى في اليوم الذي عينه، واحتمل أن يكون اقتدى بمجرد التخلل بين

---

[1] – **يتخولنا بالموعظة:** أي يصلحنا ويقوم علينا بها. ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج1، ص153).

[2] – **السآمة:** الملل. ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (ج11، ص139).

[3] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ وَالعِلْمِ كَيْ لاَ يَنْفِرُوا، رقم الحديث (68)، (ج1، ص25)، وكِتَابُ العِلْم، بَابُ مَنْ جَعَلَ لِأَهْلِ العِلْمِ أَيَّامًا مَعْلُومَةً، رقم الحديث (70)، (ج1، ص25)، وكِتَابُ الدَّعَوَاتِ، بَابُ المَوْعِظَةِ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ، رقم الحديث (6411)، (ج8، ص87)، ومسلم، **صحيح مسلم** كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابُ الِاقْتِصَادِ فِي الْمَوْعِظَةِ، رقم الحديث (2821)، (ج4، ص2172).

[4] – **ألفينك:** أصادفنك وأجدنك. مصطفى البغا، في **تعليقه** على صحيح البخاري في الهامش، بنفس صفحة الحديث.

[5] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الدَّعَوَاتِ، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ السَّجْعِ فِي الدُّعَاءِ، رقم الحديث (6337)، (ج8، ص74).

العمل والترك الذي عبر عنه بالتخول، والثاني أظهر وأخذ بعض العلماء من حديث الباب كراهة تشبيه غير الرواتب بالرواتب بالمواظبة عليها في وقت معين دائما"[1].

فالرواية الأولى توضح أن النبي ﷺ كان يعلمهم وينصحهم في أيام متفرقة خشية أن يصيبهم الملل من التحديث والتعليم، والرواية الثانية توضح ما تعلمه ابن عباس من النبي ﷺ، وخلاصته أنك إذا أردت أن تحدّث الناس كل يوم فستأنس من ظاهر حالهم الراحة وعدم التكلف، فأن رأيت غير ذلك منهم فحدثهم كل يوماً بعد يوم، فأن رأيت غير ذلك منهم أيضاً فكل ثلاثة أيام وهكذا، فالمهم ليس التحديث والتعليم فقط، وإنما مراعاة الطاقة الاستيعابية، والظروف التي يكون عليها طلبة العلم، بحيث يتقبلون هذا العلم ويستفيدون منه، وهذا ما عهدناه من فعل النبي ﷺ مع تلاميذه من الصحابة، وهذا ما يجب أن يُتبع في أيامنا هذه.

4. **ترك النبي ﷺ لبعض الأفعال في أوقات معينة خشية الفتنة:** ومثاله ما رواه الأَسْوَدُ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ الزُّبَيْرِ، كَانَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها، تُسِرُّ إِلَيْكَ كَثِيرًا فَمَا حَدَّثَتْكَ فِي الكَعْبَةِ؟ قُلْتُ: قَالَتْ لِي: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " يَا عَائِشَةُ لَوْلاَ قَوْمُكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ – قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ – بِكُفْرٍ، لَنَقَضْتُ الكَعْبَةَ فَجَعَلْتُ لَهَا بَابَيْنِ: بَابٌ يَدْخُلُ النَّاسُ وَبَابٌ يَخْرُجُونَ " فَفَعَلَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ "[2].

فالنبي ﷺ ترك هذا الفعل؛ لأنه علم الحال التي كان عليها الصحابة آنذاك، فتركه كان مراعاة لطاقتهم العقلية في فعل هدم الكعبة وإرجاعها على قواعد سيدنا إبراهيم عليه السلام، ولكنه بهذا الترك أمِن فتنة الناس، والتي هي أشد ضرراً عليهم من الفعل الذي تركه، وأشار لذلك ابن بطال بقوله: "إنما خشي أن تنكره قلوب الناس لقرب عهدهم بالكفر، ويظنون أنما يفعل ذلك لينفرد

---

[1] – ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (ج1، ص163)، والعيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج2، ص45).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ مَنْ تَرَكَ بَعْضَ الِاخْتِيَارِ، مَخَافَةَ أَنْ يَقْصُرَ فَهْمُ بَعْضِ النَّاسِ عَنْهُ، فَيَقَعُوا فِي أَشَدَّ مِنْهُ، رقم الحديث (126)، (ج1، ص37)، وكِتَابُ التَّمَنِّي، بَابُ مَا يَجُوزُ مِنَ اللَّوْ، رقم الحديث (7243)، (ج9، ص86)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ جَدْرِ الْكَعْبَةِ وَبَابِهَا، رقم الحديث (1333)، (ج2، ص973).

بالفخر دونهم، فقد يترك شيئًا من الأمر بالمعروف إذا خشي منه أن يكون سببًا لفتنة قوم ينكرونه ويسرعون إلى خلافه واستبشاعه"[1].

فالطاقة الاستيعابية للمتعلّمين عند مراعاتها، تنقسم لشقين، الأول: قول أو فعل المعلم ما يؤدي حاجة وغرض المراعاة، والثاني: ترك القول أو الفعل والذي هدف هذا الترك أيضاً تحقيق المصلحة والغرض من مراعاة الطاقة الاستيعابية لدى الطلبة، فإهمال هذا الأساس وعدم مراعاته يؤدي إلى ضياع وتشتت الطلبة في عمليتهم التعليمية ولا سيما الأقل إمكانيات منهم.

المطلب الرابع: مراعاة الفروق الفردية بين المتعلّمين:

جعل الله لكل إنسان قدرات تختلف عن غيره من البشر، قد يتميّز بعضها عن بعض، وقد يتشابه بعضها الآخر مع الآخرين، ولكن هنالك تفاوت بين الناس في ذلك بلا شك، والنبي ﷺ يعلَمُ ذلك، فهو المعلّم الأول، فيعامل كل شخص بحسب القدرات التي زرعها الله فيه، سواء العقلية أو الجسمية أو الاستيعابية أو الاجتماعية أو النفسية، وهذا التفاوت بحاجة إلى معاملة ومراعاة خاصة لكل شخص على حدة، ويمكن تقسيم ذلك كآلاتي:

أ. تخصيص النبي ﷺ بعض المتعلّمين بالعلم دون بعض لمعرفته بقوة ضبطهم وفَهّمهم:

وأمثلة ذلك ما يلي:

- ما رواه أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، وَمُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: «يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلاَثًا، قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَلاَ أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: «إِذًا يَتَّكِلُوا» وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا"[2].

---

[1] – ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج1، ص205)، **ويُنظر**: النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج9، ص89).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ مَنْ خَصَّ بِالعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ، كَرَاهِيَةَ أَنْ لاَ يَفْهَمُوا، رقم الحديث (128-129)، (ج1، ص38)، وحديث رقم (2856)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ مَنْ لَقِي اللهَ بِالْإِيمَانِ وَهُو غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحُرِّمَ عَلَى النَّارِ، رقم الحديث (30)، (ج1، ص58).

- وما رواه أَبُو الطُّفَيْلِ عَامِرُ بْنُ وَاثِلَةَ رضي الله عنه، "قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسِرُّ إِلَيْكَ، قَالَ: فَغَضِبَ، وَقَالَ: مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسِرُّ إِلَيَّ شَيْئًا يَكْتُمُهُ النَّاسَ، غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ حَدَّثَنِي بِكَلِمَاتٍ أَرْبَعٍ، قَالَ: فَقَالَ: مَا هُنَّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: قَالَ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا [1]، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ»"[2].

- وما رواه عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ رضي الله عنه، قَالَ: أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ خَلْفَهُ. فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ «وَكَانَ أَحَبَّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِحَاجَتِهِ، هَدَفٌ أَوْ حَائِشُ نَخْلٍ» قَالَ ابْنُ أَسْمَاءَ فِي حَدِيثِهِ: «يَعْنِي حَائِطَ نَخْلٍ»"[3].

تجتمع هذه الأحاديث على معنى واحد، ومقصد تعليمي واضح، ومنهج نبوي، وهذا إن دلَّ على شيء فإنه يدل على القراءة الصحيحة لشخصية المتعلّم من قِبَلِ المعلّم الأول ﷺ، حيث يعود ذلك إلى عدة أسباب جعلته ﷺ بأن يعلم من حالهم قوة الضبط وصحة الفهم لِما أعطاهم الله من الإمكانيات العقلية التي يعطيها الله لمن يشاء من عباده، فالنبي ﷺ كما يراعي الأشخاص الذين عندهم قصور في الفهم والضبط فيساعدهم على إيصال المعلومة لهم، يثني على المجتهد ومن عنده سِعَة من العلم والضبط والفهم ويشجعه، ويأخذ بيده لكل ما فيه تحفيز لزيادة علمه، فهذه من أهم صفات العالم الناجح والمتميز وأيُّ نجاحٍ أفضل مما قام به النبي ﷺ وقد أدى إلى وصول العلم والخير والهدى إلى أمة بأكملها.

فتخصَّيص النبي ﷺ بعض العلم لأمثال معاذ بن جبل، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن جعفر، لعلمه بحالهم من عدم وقوعهم بالإشكال والفهم الخاطئ، وامتلاكهم قوة الضبط والفهم، قال ابن بطال: "يجب أن يُخَصَّ بالعلم قوم لما فيهم من الضبط وصحة الفهم، ولا يبذل المعنى اللطيف

---

[1] - **مُحْدِثًا:** والمحدث بكسر الدال فهو من يأتي بفساد في الأرض. النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج13، ص141).

[2] – مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الْأَضَاحِيّ، بَابُ تَحْرِيمِ الذَّبْحِ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى وَلَعْنِ فَاعِلِهِ، رقم الحديث (1978)، (ج3، ص1567).

[3] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْحَيْضِ، بَابُ مَا يُسْتَتَرُ بِهِ لِقَضَاءِ الْحَاجَةِ، رقم الحديث (342)، (ج1، ص268)، وكتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ فَضَائِلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، رقم الحديث (2429)، (ج4، ص1886).

لمن لا يستأهله من الطلبة ومن يخاف عليه الترخص والاتكال لقصير فهمه، كما فعل ﷺ، وقد قال مالك بن أنس: تمت من إذالة العالم أن يجيب كل من سأله –، وإنما أراد ألا يوضع العلم إلا عند من يستحقه ويفهمه"[1]، فالنبي ﷺ خصّ البعض بالعلم عن غيرهم لمعرفته بحالهم والعقلّية ومدى الفهم التي كانوا عليها.

ب. تمييز النبي ﷺ لبعض المتعلّمين ببعض العلم لقدرتهم على الحفظ: ومثاله ما رواه سَعِيدٌ المَقْبُرِيّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: "حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وِعَاءَيْنِ: فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا البُلْعُومُ"[2].

تميّز الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه على غيره بقوة الحفظ، وكان هذا أحد الفوارق التي افترق فيها عن باقي الصحابة، فالنبي ﷺ ميّزه على غيره في العلوم والأمور التي بحاجة إلى كتمان، والتي تتعلق "بأحاديث أشراط الساعة، وتغيير الأحوال، والتضييع لحقوق الله تعالى"[3].

ج. تعليم الفرد واستجابة طلبه لغرض توصيل المعلومة له، لمعرفة القصور في الفهم عن باقي الأفراد، أو لبداية في العلم: وأمثله ذلك ما يلي:

- ما رواه أَبُو رِفَاعَةَ رضي الله عنه، قَالَ: "انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ رَجُلٌ غَرِيبٌ، جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ، لَا يَدْرِي مَا دِينُهُ، قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ، فَأُتِيَ بِكُرْسِيٍّ، حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيدًا، قَالَ: فَقَعَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ، فَأَتَمَّ آخِرَهَا"[4].

في الحديث أن النبي ﷺ ترك خطبته الجماعية واتجه إلى الفرد الواحد الغريب الذي جاء يسأل عن دينه، والذي يتضح من حاله أنه إما دخل الإسلام حديثاً فلا يعلم أحكامه، أو عنده نقص

---

[1] – ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج1، ص207).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ حِفْظِ العِلْمِ، رقم الحديث (120)، (ج1، ص35).

[3] – ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج1، ص195).

[4] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْجُمُعَةِ، بَابُ حَدِيثِ التَّغْلِيمِ فِي الْخُطْبَةِ، رقم الحديث (876)، (ج2، ص597).

في المعلومات عن موضوع الدين فجاء يسأل ليتعلّم، فأرد أن يتعلّم من النبي ﷺ ما يرشده إلى دينه، فالنبي ﷺ عَلِم أن أمر هذا الفرد مهم لدرجة أنه ترك خطبته؛ وذلك لأنه لا بد وأنه يعلم الحال التي أصبح عليها صحابته الكرام، وأنهم بلغوا من العلم والفهم درجة متقدمة، فاتجه إلى الفرد يُعلّمه ويرشده بالطريقة التي تتناسب مع العقلية التي يمتلكها هذا الفرد، إما لقصورٍ في الفَهم أو لحداثة العلم الذي جاء يسأل عنه.

- وما رواه أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مَكَّةَ قَامَ فِي النَّاسِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الفِيلَ، وَسَلَّطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّهَا لاَ تَحِلُّ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي، وَإِنَّهَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَإِنَّهَا لاَ تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، فَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهَا، وَلاَ يُخْتَلَى شَوْكُهَا، وَلاَ تَحِلُّ سَاقِطَتُهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ، وَمَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ، إِمَّا أَنْ يُفْدَى وَإِمَّا أَنْ يُقِيدَ»، فَقَالَ العَبَّاسُ: إِلَّا الإِذْخِرَ [1]، فَإِنَّا نَجْعَلُهُ لِقُبُورِنَا وَبُيُوتِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِلَّا الإِذْخِرَ» فَقَامَ أَبُو شَاهٍ – رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ – فَقَالَ: اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ»، قُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ: مَا قَوْلُهُ اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: هَذِهِ الخُطْبَةَ الَّتِي سَمِعَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ"[2].

هناك بعض الأشخاص عندهم قصور وتباطؤ في عملية الفهم والحفظ للكلام المطروح أمامهم، أمثال أبي شاه الذي يُحتمل أنه لا يحفظ، أو أنه ضعيف في ذلك فخشي ذهاب العلم عليه، فطلب من النبي ﷺ أن تتم الكتابة له، فما كان من النبي ﷺ لِما يعلم من ظاهر حاله إلّا أن طلب من أحد الحضور بكتابة الخطبة التي ذكرها النبي ﷺ لهم، فالنبي ﷺ لم يترك أي شخص إلّا وعلمه وشرح له ما يريد أو ما ينقصه، وتعامل معهم بأساليب مختلفة تناسب الجميع كلٌ حسب بيئته وطاقته الاستيعابية وقدرته العقلية التي وُهبت لهم.

---

[1] – **الإذخر:** وهو حشيش معروف طيب الرائحة. النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج7، ص7).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَاب فِي اللُّقَطَةِ، بَابُ كَيْفَ تُعَرَّفُ لُقَطَةُ أَهْلِ مَكَّةَ، رقم الحديث (2434)، (ج3، ص125)، وكِتَابُ العِلْمِ، بَابُ كِتَابَةِ العِلْمِ، رقم الحديث (112)، (ج1، ص33) وحديث رقم (6880)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ تَحْرِيمِ مَكَّةَ وَصَيْدِهَا وَخَلَاهَا وَشَجَرِهَا وَلُقَطَتِهَا، إِلَّا لِمُنْشِدٍ عَلَى الدَّوَامِ، رقم الحديث (1355)، (ج2، ص988).

فينبغي على كل معلم ومدرّس في كافة المجالات التعليمية أن يتخذ هذا الأسلوب النبوي في التعامل مع الناس على اختلاف فئاتهم وعقلياتهم، وأن يحاول تطبيقه على جميع الطلاب المختلفة قدراتهم، فمعرفة الفروق الفردية بين الطلاب ومعاملة كلِّ واحدٍ حسب العقلية والقدرات التي يمتلكها من أهم أسس التعليم.

المطلب الخامس: التدرّج في التعليم:

يُعدّ التدرج في التعليم من الأسس التعليمية التي ينبغي اتباعها في العمليات التعليمية على تنوعها واختلاف درجاتها؛ لِما له من ارتباط بالأسس والوسائل التعليمية الأخرى، كارتباطه بمراعاة الفروق الفردية بين المتعلّمين وغيرها، وأيضاً لِما له من أهمية في تسهيل العملية التعليمية ووصول المعلومات للطلبة بشكل سهل ومرتب.

أولا: مفهوم التدرّج، ودوره في التعليم:

يُعَّرف التدرج في اللغة على أنه: العلو شيئاً فشيئاً، والارتقاء قليلاً قليلاً [1].

ومن هنا يمكن القول أن التدرج في التعليم: هو إعطاء المتعلّمين المعلومات والمسائل العلمية شيئاً فشيئاً حتى يتم استيعاب وفهم كل معلومة وإدراكها، ثم الانتقال لغيرها.

وأما دور منهج التدرج في التعليم، من وجهة نظر الباحث، كما تم استنتاجه من تعريف التدرج، وأحاديث المطلب، فهو:

1. التسهيل على المتعلّمين في فهم المعلومات واستيعابها وإدراك مسائلها، خاصة إذا كان التدرج من الأيسر إلى ما يليه، لما فيه من رفع الحرج والمشقة عن المتعلّمين في العملية التعليمية.

2. ارتباط التدرج بالأسس التعليمية ذات الأهمية كمراعاة الفروق الفردية وغيرها.

---

[1] – **يُنظر**: الهروي، **تهذيب اللغة**، (ج10، ص341).

ثانياً: القرآن ومنهج التدرج:

استخدم القرآن منهج التدرج في كثير من الآيات، بل وإن نزول القرآن نفسه كان بمبدأ التدرج؛ وذلك لأكثر من حكمة منها: ما ذكرته أمُنا عائشة رضي الله عنها، قالت: "إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ المُفَصَّلِ [1]، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلاَمِ نَزَلَ الحَلاَلُ وَالحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لاَ تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لاَ تَزْنُوا، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا"[2]، قال ابن حجر: "أشارت إلى الحكمة الإلهية في ترتيب التنزيل، وأن أول ما نزل من القرآن الدعاء إلى التوحيد، والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة، وللكافر والعاصي بالنار، فلما اطمأنت النفوس على ذلك أنزلت الأحكام، ولهذا قالت ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندعها؛ وذلك لما طُبِعَت عليه النفوس من النفرة عن ترك المألوف"[3]، فعلى هذا نلاحظ أن التدرج منهج تربوي تعليمي حكيم، ومهم جداً، لولاه لصعُب معالجة الظواهر الاجتماعية الفاسدة في كثير من الأزمان.

ثالثاً: التدرج في التعليم في السُنَّة النَّبويَّة:

للمتعلّمين من بعده، ومن ذلك ما يلي:

1. **وصية النبي ﷺ لمعاذ بن جبل لأهل اليمن بالتدرج في تعليمهم، والبدأ بالأهم ثم الأهم:**

ومثاله ما رواه ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى اليَمَنِ: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ

---

[1] - **المُفَصَّلِ:** والمفصل من القرآن يبدأ من سورة ق وقيل غير ذلك. وسمي بالمفصل لقصر سوره وقرب انفصال بعضهن من بعض. مصطفى البغا، **في تعليقه** على صحيح البخاري في الهامش، بنفس صفحة الحديث.

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ فَضَائِلِ القُرْآنِ، بَابُ تَأْلِيفِ القُرْآنِ، رقم الحديث (4993)، (ج6، ص185).

[3] – ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (ج9، ص40).

صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»"[1].

ولعل وصية النبي ﷺ لمعاذ بن جبل أكثر ما يُذكر في التدرج من تعليم النبي ﷺ للصحابة، فهو أوضح مثال على منهج التدرج، فسياق النبي ﷺ للحديث، وكيفية تتابع الخطوات التي أملاها النبي ﷺ لسيدنا معاذ رضي الله عنه، هي التجرد بحد ذاته، فكما قال النووي: "بدأ بالأهم فالأهم ألا تراه بدأ ﷺ بالصلاة قبل الزكاة ولم يقل أحد إنه يصير مكلفاً بالصلاة دون الزكاة"[2].

2. **النبي ﷺ يعلّم السائل أصول الدين، وأحكام الشرع شيئاً فشيئاً:** ومثاله ما رواه طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، يَقُولُ: "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرَ الرَّأْسِ، يُسْمَعُ دَوِيُّ صَوْتِهِ وَلاَ يُفْقَهُ مَا يَقُولُ، حَتَّى دَنَا، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ». فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لاَ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ». قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَصِيَامُ رَمَضَانَ». قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قَالَ: «لاَ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ». قَالَ: وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الزَّكَاةَ، قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «لاَ، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ». قَالَ: فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لاَ أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلاَ أَنْقُصُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ»"[3].

فدلالة الحديث هي تعليم النبي ﷺ الرجل الذي جاء يسأل عن الإسلام بأركانه فبدأ بالصلاة والتي هي عمود الإسلام، ثم الصيام، ثم الزكاة، مع توضيح النبي ﷺ على أنها هي الأساس وأن ما تتطوع به فلنفسك، وما ذلك إلا لكي يستقر عند هذا الرجل ما قاله النبي ﷺ بهذا المنهج كي يسهل تعامله مع أحكام الدين.

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ أَخْذِ الصَّدَقَةِ مِنَ الأَغْنِيَاءِ وَتُرَدَّ فِي الفُقَرَاءِ حَيْثُ كَانُوا، رقم الحديث (1496)، (ج2، ص128)، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ لاَ تُؤْخَذُ كَرَائِمُ أَمْوَالِ النَّاسِ فِي الصَّدَقَةِ، رقم الحديث (1458)، (ج2، ص119)، وحديث رقم(4347)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْإِيمَانَ، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم الحديث (19)، (ج1، ص51).

[2] – النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج1، ص198).

[3] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابٌ: الزَّكَاةُ مِنَ الإِسْلاَمِ، رقم الحديث (46)، (ج1، ص18)، كِتَابُ الصَّوْمِ، بَابُ وُجُوبِ صَوْمِ رَمَضَانَ، رقم الحديث (1891)، (ج3، ص24)، وحديث رقم(2678)، و(6956)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ بَيَانِ الصَّلَوَاتِ الَّتِي هِيَ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، رقم الحديث (11)، (ج1، ص40).

3. **تغيير المنكر بالتدرج، لمراعاة الظروف:** ومثاله ما رواه أَبُو سَعِيدٍ رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»"[1].

والواضح في هذا الحديث أن النبي ﷺ درّبَ صحابته على استخدام أسلوب ومنهج التدرج في شتى الميادين والمجالات، منها التدرج في تغيير المنكر، فإذا استطاع أحدكم تغيير المنكر بيده فليفعل "فإن غلب على ظنه أن تغييره بيده يسبب منكرًا أشد منه من قَتله أو قتل غيره بسببه، كَفّ يده، واقتصر على القول باللسان، والوعظ والتخويف، فإن خاف – أيضاً – أن يُسبّبَ قولُه مثل ذلك غير بقلبه، وكان في سَعَة، وهذا هو المراد بالحديث إن شاء الله، وإن وَجَد من يستعين به على ذلك استعان، ما لم يؤد ذلك إلى إظهار سلاح وحرب، وليرفع ذلك إلى من له الأمرُ – إن كان المنكر من غيره، أو يقتصر على تغييره بقلبه"[2].

فمنهج التدرج الذي وظفه النبي ﷺ في العملية التعليمية لتعليم الصحابة رضوان الله عليهم، يجب أن يكونَ منهجاً للمعلمين والمدرسين في جميع المدارس والجامعات مع طلابهم؛ لما فيه من تسهيل وصول المعلومة لهم، ولما يحتويه هذا المنهج من الفوائد العظيمة التي قد يكتسبها المعلم فضلاً عن الطالب، فالمعلم بهذا يتأنى بتوصيل المعلومات وترتيبها حسب الأهم فالأهم، والطالب يتلقى هذه المعلومات بشكل تدريجي وبشكل مخفف بحيث تكون المعلومات مرتبة ومتتابعة تمكنه من فهم الإجابة واستيعابها بشكل أسرع، حيث يساعد ذلك في مراعاة الفروق الفردية بين المتعلّمين.

---

[1] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ، رقم الحديث (49)، (ج1، ص69).

[2] – القاضي عياض، **إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم**، (ج1، ص290).

المبحث الثاني

الأساليب والوسائل التعليميّة في السُنَّة النَّبويَّة

تعتبر الأساليب والوسائل التعليمية من أهمّ أُسس العملية التعليمية سواء على المستوى الفردي، أم الجماعي، لذا نجد من المنهج النبوي في ذلك الشيء الكثير في مجالات متعددة، فنوّعَ النبي ﷺ وأبدع في توظيفه لهذه الأساليب والوسائل التعليمية في تعليمه للصحابة، حيث استخدام شتى الأساليب في تعليمهم، من وسائل لفظية قولية وفعلية عملية وجمالية، فينبغي على المعلمين والمدرّسين في كافة المجالات التعليمية ومع كافة الأعمار والفئات البشرية، أن يقتدوا بالنبي ﷺ في جميع الجوانب ولا سيما هذا الجانب لما له من أهمية كبيرة تعود على التلاميذ، حيث يُسهّل عليهم العملية التعليمية ويُوجد عندهم دافع وحبّ التعليم.

مفهوم الأساليب والوسائل التعليمية وأهميتها:

تُعرّف على أنها: "أدوات حية تعتمد على مخاطبة حواس المتعلم خاصة السمع والبصر، بغية إبراز المعارف والمعلومات المراد تحصيلها.

وبينها وشرحها أخرون: على أنها أجهزة وأدوات ومواد يستخدمها المعلم لتحسين عملية التعليم وتقصير مدتها وتوضيح المعاني وشرح الأفكار وتدريب التلاميذ على المهارات وغرس العادات الحسنة في نفوسهم وتنمية الاتجاهات وعرض القيم دون أن يستخدم المعلم الرموز والأرقام والألفاظ وذلك للوصول بطلبته إلى الحقائق العلمية الصحيحة والتربية القومية بسرعة وقوة وتكلفة أقل"[1].

[1] – شريفة احمد القرني، **أثر استخدام الوسائل التعليمية التعلّمية على تحصيل الطالبات**، (ص 10)، **ويُنظر:** محمد إلياس حسين، **الوسائل التعليمية التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم: دراسة تحليلية**، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور–باكستان، العدد الخامس والعشرون، 2018م، (ص 3–4).

وأما أهمية هذه الأساليب والوسائل على المتعلّمين، فهي [1]:

1. تساعد على ترتيب أفكار المتعلّمين، وتحفيزهم، واستثارة الدافعة لديهم.
2. ترسيخ المعلومات وتعميقها وتثبيتها في أذهان المتعلّمين.
3. يساعد تنويع هذه الوسائل والأساليب التعليمية على زيادة مشاركة الطلبة في المسائل العلمية ومحاولة بذل الجهد في الحصول على المعلومة.
4. يساعد استخدام الوسائل التعليمية ومحاولة التنويع في استخدامها مع المتعلّمين على تنمية روح النقد لديهم، وزيادة دقة الملاحظة عندهم.

توظيف النبيﷺ للأساليب والوسائل التعليمية في تعليم الصحابة: وبيان ذلك كآلاتي:

المطلب الأول: تكرار الحديث:

يُعد تكرار الحديث من الأساليب التعليمية التي تساعد على تعليم الصحابة شؤون دينهم وأمور دنياهم، حيث لم يكن المجتمع يعتمد على الكتابة إلا القليل النادر من البعض، حيث كان اعتمادهم الأساسي على السماع والقراءة، فكان التكرار يزيد من رسوخ العلم، ويثبته في عقل السامع، وبيان ذلك كآلاتي:

أولا: أغراض التكرار في السُنَّة النَّبويَّة:

فمن مقاصد تكرار جملٍ بعينها في الحديث الشريف، الفهم والحفظ، وحتى لا يُحمَلُ الكلامُ على غير ما قيل لأجله، فإن حصل ذلك سأل السامع وأزيل الألبَاس، وبيان ذلك ما يلي:

أ. **التكرار لمقصد التعليم:** ومثاله ما رواه أَنَسٌ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ "«إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاَثًا، حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلاَثًا»"[2].

---

[1] – **يُنظر:** شريفة القرني، **أثر استخدام الوسائل التعليمية التعلّمية على تحصيل الطالبات**، (ص 11).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ مَنْ أَعَادَ الحَدِيثَ ثَلاَثًا لِيُفْهَمَ عَنْهُ، رقم الحديث (94_95)، (ج1، ص30).

ب. **التكرار لمقصد التخويف من التهاون في إتمام الوضوء:** ومثاله ما رواه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رضي الله عنه، قَالَ: تَخَلَّفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ سَافَرْنَاهُ، فَأَدْرَكَنَا وَقَدْ أَرْهَقْنَا الصَّلاَةَ، صَلاَةَ العَصْرِ، وَنَحْنُ نَتَوَضَّأُ، فَجَعَلْنَا نَمْسَحُ عَلَى أَرْجُلِنَا فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا»"[1].

لذا بوّب الإمام البخاري الحديثين تحت باب واحد بعنوان (بَابُ مَنْ أَعَادَ الحَدِيثَ ثَلاَثًا لِيُفْهَمَ عَنْهُ)، لاشتمالهما على مقصد واحد، وعلّق ابن بطال بقوله: "إنما كان يكرر الكلام ثلاثًا، والسلام ثلاثًا إذا خشي ألّا يُفهم عنه، أو لا يسمع سلامه، أو إذا أراد الإبلاغ في التعليم، أو الزجر في الموعظة. وفيه: أن الثلاث غاية ما يقع به البيان والإعذار به"[2].

وأضاف الخطابي قائلاً: "أما إعادته الكلام ثلاثا فإنما كان يفعله لأحد معنيين: أحدهما: أن يكون بحضرته من يقصر فهمه عن وعي ما يقوله، فيكرر القول ليقع به الفهم، إذ هو مأمور بالبيان والتبليغ، وإما أن يكون القول الذي يتكلم به نوعاً من الكلام الذي يدخله الإشكال والاحتمال، فيظاهر بالبيان لتزول الشبهة فيه ويرتفع الإشكال معه"[3].

وأما مفهوم وملخص ما قاله ابن بطال والخطابي، فهو أن تكرار الكلام أسلوب علمي مهم، يتأكد من خلالها المعلم من تحقق فهم الطالب للمسألة، خاصة إذا كان عنده قصور في الفهم والاستيعاب، فتعالج بالتكرار، وأيضاً إذا كانت المسألة فيها غموض وإشكال فيحتاج المعلم لتكرار الإجابة ليزيل هذا الإشكال ويتحقق المطلوب.

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ مَنْ أَعَادَ الحَدِيثَ ثَلاَثًا لِيُفْهَمَ عَنْهُ، رقم الحديث (96)، (ج1، ص30)، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ مَنْ رَفَعَ صَوْتَهُ بِالعِلْمِ، رقم الحديث (60)، (ج1، ص22)، وحديث رقم(163)، و(165)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابِ الطَّهَارَةِ، بَابُ وُجُوبِ غَسْلِ الرِّجْلَيْنِ بِكَمَالِهِمَا، رقم الحديث (240_241_242)، (ج1، ص213).

[2] – ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج1، ص172).

[3] – الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد (ت 388 هـ)، **أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)**، المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، (ط/1)،1409 هـ - 1988 م، (ج1، ص207).

ثانياً: تكرار الحديث لطلب التركيز لأهمية الأمر، ولفت الانتباه:

يُعد لفت انتباه المتعلّمين، وجلب تركيزهم، مقصد يتحقق بتكرار الحديث، فالمفهوم الذي نود ترسيخه في عقل السامع وقلبه يُفهم من تكرار العبارة، حيث يُفهم أن ما يُقال يحتاج إلى تركيز وانتباه لأهميته، وذلك كالآتي:

أ. **تكرار مناداة معاذ للتركيز:** ومثاله ما رواه أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، وَمُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: «يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلاَثًا، قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَلاَ أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: «إِذًا يَتَّكِلُوا» وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا"[1].

فالنبي ﷺ كرر مناداته لمعاذ رضي الله عنه لا لأنه لم يسمعه، بل في كل مرة نادى فيها النبي ﷺ معاذاً أستجاب له وقال لبيك وسعديك، ولا شك أن هذا لحكمه أرادها النبي ﷺ، ولا تخرج هذه الحكمة عن إشعار معاذ بأهمية وعظم ما سيقوله النبي ﷺ له، فلهذا مهد له بهذا الأسلوب لكي يعير النبي ﷺ كامل طاقته الاستيعابية والتركيز والانتباه لما سيقوله له النبي ﷺ.

ب. **تكرار (قول الزور):** ومثاله ما رواه عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَكْبَرُ الكَبَائِرِ: الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ –ثَلاَثًا– أَوْ: قَوْلُ الزُّورِ " فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ"[2].

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ مَنْ خَصَّ بِالعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ، كَرَاهِيَةَ أَنْ لاَ يَفْهَمُوا، رقم الحديث (128–129)، (ج1، ص38)، وحديث رقم (2856)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ مَنْ لَقِي اللهَ بِالْإِيمَانِ وَهُو غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحُرِّمَ عَلَى النَّارِ، رقم الحديث (30)، (ج1، ص58).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ اسْتِتَابَةِ المُرْتَدِّينَ وَالمُعَانِدِينَ وَقِتَالِهِمْ، بَابُ إِثْمِ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ، وَعُقُوبَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، رقم الحديث (6919)، (ج9، ص13)، كِتَابُ الشَّهَادَاتِ، بَابُ مَا قِيلَ فِي شَهَادَةِ الزُّورِ، رقم الحديث (2653_2654)، (ج3، ص171)، وحديث رقم(5979_و5980)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ بَيَانِ الْكَبَائِرِ وَأَكْبَرِهَا، رقم الحديث (87_88)، (ج1، ص91).

كرر النبي صلى الله عيه وسلم، قوله: (وشهادة الزور –أو قول الزور)، وما ذاك إلا لمقصدٍ هامٍ، وما هو إلا لبيان خطورة وعظم شهادة الزور، وهذا ما أشار له ابن حجر، فقال: "قوله واجتنبوا قول الزور ثلاثاً، أي قال لهم ذلك ثلاث مرات، وكرره تأكيداً لينتبه السامع على إحضار فهمه"[1]، وأضاف في موضع آخر "أن استحباب إعادة الموعظة ثلاثاً لتفهم، وانزعاج الواعظ في وعظه ليكون أبلغ في الوعي عنه والزجر عن فعل ما ينهى عنه، وفيه غلظ أمر شهادة الزور لما يترتب عليها من المفاسد"[2].

ج. **التكرار لأهمية برّ الوالدين:** ومثاله ما رواه أَبِو هُرَيْرَة رضي الله عنهَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ» قِيلَ: مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ»"[3].

هزّ النبي ﷺ قلوب السامعين من الصحابة بتكراره لهذه العبارة فتلهفت أنفسهم لمعرفة المقصود بهذا الدعاء خوفاً من أن يكونوا ممن يشملهم، فسألوا النبي ﷺ عنه، وقد تطلعت أنفسهم لسماعه، فأجابهم بما لم يتوقعونه؛ لكي يلفت انتباههم وتركيزهم ليبين لهم خطورة هذا الأمر وأثره على الناس[4].

فكان النبي ﷺ إذا أراد أن يبين للصحابة مدى أهمية الأمر ابتدأ بمثل هذه العبارات مع تكرارها، كقوله هنا: (رغم أنفه)، ففيها إشعار للصحابة بلفت الانتباه والتركيز على ما سيقال لما فيه من أهمية تعم الجميع، وليس هنا أهم من برّ الوالدين والحث على طاعتهما.

وقد يقصد النبي ﷺ من تكرار الحديث بيان عظم شأن الأمر، سواء كان هذا الأمر من جهة التحذير، أو من جهة أهمية تمثله، لما يترتب عليه من أجر عظيم، حيث يكون هذا الأمر

---

[1] – ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (ج5، ص262).

[2] – ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (ج10، ص412).

[3] – مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ رَغِمَ أَنْفُ مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا عِنْدَ الْكِبَرِ، فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ، رقم الحديث (2551)، (ج4، ص1978).

[4] – **يُنظر:** الأستاذة الدكتورة أميمة بدر الدين، **التكرار في الحديث النبوي الشريف**، مجلة جامعة دمشق (المجلد 26 العدد الأول والثاني 2010)، (ص 13).

عظيم لأنه خطير وفيه أذى وأثم للناس فكرره للحظر من الوقوع فيه، وقد يكون العكس أيضاً بأن يكون عظيم في أجره وثوابه فكرره النبي ﷺ ليجعل فيه روح المنافسة بين الصحابة على الإتيان بهذه الأعمال العظيمة والحفاظ عليها .

د. **ما كان تكراره لخطورة الوقوع فيه**، وبيان ذلك كآلاتي:

1. تكرار (أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟): ومثاله ما رواه أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: "بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الحُرَقَةِ [1]، فَصَبَّحْنَا القَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ، قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَكَفَّ الأَنْصَارِيُّ فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذًا [2]، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا، حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ"، وفي رواية أخرى لمسلم بنفس رقم الحديث "قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ، قَالَ: «أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟» فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ"[3].

فَفِعلُ أسامة بن زيد أغضب النبي ﷺ؛ لِما في الأمر من خطورة قتل النفس التي تشهد بلا إله إلا الله، مهما كانت ظروف قولها ونطقها، حيث أننا مأمورون بأخذ ظواهر الأعمال، فقصد النبي ﷺ بتكراره إشعار أسامة بِعظَم وخطورة ما قام به، دون أن يتأنى أو يفكر بما يترتب من نتائج على هذا الفعل.

ففي موقف النبي ﷺ مع أسامة، وكيف كرر (أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟)، درس لمن بعده، بأن يتأنى المتعلّم في عمله، وأن يفكر بالنتائج التي من الممكن أن تترتب على هذا العمل، وأن يأخذوا الناس ويعاملوهم بما ظهر لهم من أعمالهم.

---

[1] – **الحُرقة:** قبيلة من جهينة. ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج8، ص495).

[2] – **متعوذاً:** أي معتصماً مستجيراً من القتل. مصطفى البغا، **في تعليقه** على صحيح البخاري في الهامش، بنفس صفحة الحديث.

[3] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ بَعْثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ إِلَى الحُرُقَاتِ مِنْ جُهَيْنَةَ، رقم الحديث (4269)، (ج5، ص144)، كِتَابُ الدِّيَاتِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَمَنْ أَحْيَاهَا} [المائدة: 32]، رقم الحديث (6872)، (ج9، ص4)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْكَافِرِ بَعْدَ أَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، رقم الحديث (96)، (ج1، ص97).

2. التكرار في وصيته لأمته: ومثاله ما رواه ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ النَّحْرِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟»، قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، قَالَ: «فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟»، قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: «فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟»، قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ "، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا»، فَأَعَادَهَا مِرَارًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: " اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ – قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَوَصِيَّتُهُ إِلَى أُمَّتِهِ، فَلْيُبْلِغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ"[1].

أوصى النبي ﷺ في خطبتة المعروفة في حجة الوداع أمته، بالكثير من الوصايا المهمة كما وأوصى بتبليغها من بعده، ومنها ما جاء في هذا الحديث من حرمة المسلم دمه وماله وعرضه، فأكد عليها النبي ﷺ وكررها مراراً، حيثُ أراد بهذا بيان تأكيد تحريم الأموال والدماء والأعراض وخطورتها [2].

فاستجواب النبي ﷺ للصحابة في خطبته بأسلوب السؤال عن اليوم والبلد والشهر فيه تمهيد ودعوة للتركيز ولفت الانتباه لِما سيقوله، وعلى أن ما سيقوله عظيم ومهم جداً، فبعد أن استخدم هذا الأسلوب الملفت لجأ إلى تكرار ما قاله لِيعظّم ما قاله ويبين خطورته، وأي خطورةٍ أشدُ من حرمة المسلم على المسلم.

ثالثاً: التكرار من أجل لفت النظر للثواب، وبيان ذلك كآلاتي:

1. تكرار (فذلكم الرباط): ومثاله ما رواه أَبِو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "«أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «إِسْبَاغُ

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الحَجِّ، بَابُ الخُطْبَةِ أَيَّامَ مِنًى، رقم الحديث (1739)، (ج2، ص176)، وحديث رقم (67)، و(105)، و(1741_1742)، و(4402_4403_4406)، و(5550)، و(6043)، و(6785)، و(7078)، و(7447)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ تَغْلِيظِ تَحْرِيمِ الدِّمَاءِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَمْوَالِ، رقم الحديث (1679)، (ج3، ص1305)، وحديث رقم (1218).

[2] – **يُنظر:** النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج11، ص169).

الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ[1]، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ[2]». وَلَيْسَ فِي حَدِيثِ شُعْبَةَ ذِكْرُ الرِّبَاطِ وَفِي حَدِيثِ مَالِكٍ ثِنْتَيْنِ «فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»"[3].

وفي الحديث إخبار النبي ﷺ للصحابة بالأعمال التي إذا ما فعلها العبد يمحو الله بها خطاياه ويرفع بها درجاته، فذكرها النبي ﷺ، وأكد عليها بتكراره لكلمته الأخيرة فذلكم الرباط، "أي كأنه يقول احبسوا أنفسكم وعودوها على هذه الأعمال، فالحكمة من التكرار هي الدعوة للاهتمام بهذه الأعمال، وتعظيم شأنها، وقيل كرره ﷺ على عادته في تكرار الكلام ليبينه وليفهم عنه"[4].

2. تكرار الدعاء للمحلقين بقوله: (اللهم ارحم المحلقين): ومثاله ما رواه عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ ارْحَمِ المُحَلِّقِينَ» قَالُوا: وَالمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «اللَّهُمَّ ارْحَمِ المُحَلِّقِينَ» قَالُوا: وَالمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «وَالمُقَصِّرِينَ»، وَقَالَ اللَّيْثُ: حَدَّثَنِي نَافِعٌ: «رَحِمَ اللَّهُ المُحَلِّقِينَ» مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، قَالَ، وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: حَدَّثَنِي نَافِعٌ، وَقَالَ فِي الرَّابِعَةِ: «وَالمُقَصِّرِينَ»"[5].

في الحديث أن رسول الله ﷺ دعا للمحلقين بعد أدائهم مناسك الحج والعمرة بالرحمة ثلاث مرات وللمقصرين مرة واحدة، وهذا التكرار كان لبيان فضل الحلق على التقصير، فالنبي ﷺ بَيَّنَ جواز التقصير مع تأكيده بأفضلية الحلق وأن شأنه أعظم ثواباً من التقصير لما فيه من امتثال لأوامر الشرع الحنيف.

---

[1] – **إسباغ الوضوء على المكاره:** المكاره جمع مكره وهو ما يكرهه الإنسان ويشق عليه، والمعنى أن يتوضأ مع البرد الشديد والعلل التي يتأذى معها بمس الماء. القاضي عياض، **إِكمَالُ المُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِم**، (ج2، ص55).

[2] – **فذلكم الرباط:** أصله الحبس على الشيء كأنه حبس نفسه على هذه الطاعة. القاضي عياض، **إِكمَالُ المُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِم**، (ج2، ص55).

[3] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابِ الطَّهَارَةِ، بَابُ فَضْلِ إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، رقم الحديث (251)، (ج1، ص219).

[4] – النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج3، ص142).

[5] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الحَجِّ، بَابُ الحَلْقِ وَالتَّقْصِيرِ عِنْدَ الإِحْلاَلِ، رقم الحديث (1727)، (ج2، ص174)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الحَجِّ، بَابُ تَفْضِيلِ الْحَلْقِ عَلَى التَّقْصِيرِ وَجَوَازِ التَّقْصِيرِ، رقم الحديث (1301)، (ج2، ص945).

المطلب الثاني: أسلوب ضربُ المثل:

يعد أسلوب ضرب المثل من الأساليب التعليمية الأساسية؛ لِما لها من تأثير واضح وفعّال في تقريب صورة الشيء المراد توضيحه للأذهان والأفهام، حيث استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب في تعليمه للصحابة ووظفه في العديد من المجالات، وبيان ذلك كآلاتي:

أولاً: مفهوم ضرب المثل، وأثره على التعليم:

تُعرف الأمثال على أنها: "نموذجات الحكمة لما غاب عن الأسماع والأبصار؛ لتهدي النفوس لما أدركت عياناً"[1].

وأما أثره وأهميته على المتعلّم [2]، ما يلي:

1. يساعد على تقريب المعنى لِأفهام المتعلّمين، وإثارة الانفعالات المناسبة لهذا المعنى.
2. تربية العقل على التفكير الصحيح، والقياس المنطقي السليم.
3. تساعد الأمثال النبوية على تحريك الدوافع العقلية والعاطفية الوجدانية لدى المتعلّمين.

ثانياً: المنهج الرباني في ضرب المثل:

استخدم القرآن منهج ضرب المثل في كثير من الآيات، فهو من المناهج الأساسية التي لها تأصّيل من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الحشر: 21، قال الزمخشري في تفسيره: "ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر –شأن ليس بالخفي في إبراز خَبيّاتِ المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تريك المتخيل في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد"[3].

---

[1] – الحكيم الترمذي، أبو عبد الله محمد بن علي، **الأمثال من الكتاب والسنة**، تحقيق وتعليق: الدكتور السيد الجميلي، دار ابن زيدون بيروت لبنان، ودار أسامة دمشق سوريا، (ط/2) 1407هـ–1987م، (ص 14).

[2] – **يُنظر:** د. احمد فريد، **التربية على منهج أهل السنة والجماعة**، (ص322_324).

[3] – الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت: 538هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي – بيروت، (ط/3 – 1407 هـ)، (ج1، ص72).

ومن هذه الأمثال التي ذكرها الله في كتابه، قوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ البقرة: 17، فالحق وصف حالهم بإخفائهم الكفر والنفاق، كحال مَنْ أَوقد ناراً فاستضاء بها، وأضاءت النَّار ما حوله ممَّا يخاف ويُحذر وأمن، فبينما هو كذلك إذ طُفئت ناره فبقي مُظلماً خائفاً مُتحيّراً فذلك قوله تعالى: {ذهب الله بنورهم} الآية كذلك المنافقون لمَّا أظهروا كلمة الإيمان اغترُّوا بها وأَمِنُوا، فلمَّا ماتوا عادوا إلى الخوف والعذاب [1].

ثالثاً: ضرب الأمثال في السُنَّة النَّبويَّة:

استخدم النبي ﷺ ضرب الأمثال في تعليمه وتربيته للصحابة رضوان الله عليهم، حيث كان عليه الصلاة والسلام يستعين على توضيح مواعظه بضرب المثل مما يشهده الناس بأمّ أعينهم، ويقع تحت حواسهم، وفي متناول أيديهم؛ ليكون وقع الموعظة في النفس أشد، وفي الذهن أرسخ [2]، فاستخدام ضرب الأمثال كان لمعالجة قضايا فكرية، أو اعتقادية، أو سلوكية، عند الصحابة بينَ الترهيب والترغيب وبث روح المنافسة، وبدا ذلك في أحاديث كثيرة، منها:

1. التحذير من الوقوع في الشهوات: ومثاله ما رواه أَبَو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ[3] وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ[4] فِيهَا، فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ[5] عَنِ النَّارِ، وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا»"[6].

---

[1] – **يُنظر:** الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ)، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، (ط/1، 1415 هـ)، (ص 93).

[2] – **يُنظر:** الدكتور عثمان قدري مكانسي، **من أساليب التربية النبوية**، (ط/بلا)، (ص 3).

[3] – **ينزعهن:** يدفعهن ويمنعهن. ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (ج11، ص318).

[4] – **فيقتحمن:** يهجمن ويرمين بأنفسهن. ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (ج11، ص318).

[5] – **بحجزكم:** جمع حجزة وهي معقد الإزار وهو كناية عن حرصه صلى الله عليه وسلم على منع أمته عن الإتيان بالمعاصي التي تؤدي بهم إلى الدخول في النار. ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (ج11، ص318).

[6] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ الِانْتِهَاءِ عَنِ المَعَاصِي، رقم الحديث (6483)، (ج8، ص102)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ شَفَقَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُمَّتِهِ وَمُبَالَغَتِهِ فِي تَحْذِيرِهِمْ مِمَّا يَضُرُّهُمْ، رقم الحديث (2284_2285)، (ج4، ص1789).

في الحديث تحذير نبوي من الوقوع في الشهوات والغرق بنارها، مستخدماً صورة مفادها، أن "هذه الأمثال ضربها النبي (ﷺ) لأمته لينبههم بها على استشعار الحذر، خوف التورّط في محارم الله والوقوع في معاصيه، ومثل لهم ذلك بما عاينوه وشاهدوه من أمور الدنيا؛ ليقرب ذلك من أفهامهم، ويكون أبلغ في موعظتهم، فَمَثَّل (ﷺ) اتباع الشهوات المؤدية إلى النار بوقوع الفراش في النار؛ لأن الفراش من شأنه اتباع ضوء النار حتى يقع فيها، فكذلك متبع شهوته يئول به ذلك إلى العذاب، وشبهّ جهل راكب الشهوات بجهل الفراش؛ لأنها لا تظن أن النار تحرقها حتى تقتحم فيها"[1].

ففي هذا المثل جانبان، الأول: جانب الاغترار بالشهوات والإسراع إليها، والثاني: جانب الجهل، ولهذا ضرب النبي ﷺ هذا المثل على كلا الجانبين؛ ليبين لأمته مدى خطورة اتباع الشهوات والوقوع فيها، فصورة المثل الذي ضربه النبي ﷺ لأصحابه رسخت في عقولهم على شكل إنسان شهواني يعيش من أجل إشباع رغباته وشهواته فقط، فهو كالذي يلقي بنفسه في النار.

2. الاستبراء للدين والعِرض باتقاء الشبهات: ومثاله ما رواه النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ "[2].

وفي الحديث أن النبي ﷺ يبين لأمته أن هنالك حلالاً، وهنالك حرام، وبينهما أمور مشتبهة، فحذر من الوقوع في هذه الأمور؛ لما تشكل من خطر عليهم، فضرب مثل الراعي ليقرب لأذهانهم وأفهامهم المقصود من هذا المثل، فهذا "تشبيه حال من يدخل في الشبهات بحال الراعي الذي يرعى حول المكان المحظور بحيث أنه لا يأمن الوقوع فيه ووجه الشبه حصول العقاب بعدم

---

[1] – ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج10، ص194).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابُ فَضْلِ مَنِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، رقم الحديث (52)، (ج1، ص20)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْمُسَاقَاةِ، بَابُ أَخْذِ الْحَلَالِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ، رقم الحديث (1599)، (ج3، ص1219).

الاحتراز في ذلك، فكما أن الراعي إذا جره رعيه حول الحمى إلى وقوعه في الحمى، استحق العقاب بسبب ذلك، فكذلك من أكثر من الشبهات وتعرض لمقدماتها وقع في الحرام فاستحق العقاب"[1].

3. الترغيب، وبيان أقسام الناس في قراءة القرآن: ومثاله ما رواه أَبو مُوسَى الأَشْعَرِيّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ [2]، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ، لاَ رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ [3]، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ»[4].

قَسَّم النبي ﷺ الناس بالنسبة لقراءة القرآن إلى أربعة أقسام، وذلك لأجل بيان أثر القرآن على قارئه سلوكاً، وسمعة، ففي كل قسمٍ ضرب مثلاً يناسب النوع الذي ينطبق عليه، فقوله ﷺ "مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن إلى آخره فيه فضيلة حافظ القرآن واستحباب ضرب الأمثال لإيضاح المقاصد"[5]، وبهذا التقسيم خلق نوعاً من المنافسة على هذا الخير العظيم، فضرْبُ الأمثال له أثر كبير وواضح في حمل الناس على فعل الخير، وتنفيرهم من الشر، ووقايتهم من الوقوع في الخطأ[6].

4. الترغيب بفضل الصلاة ومحوها للخطايا: ومثاله ما رواه أَبِو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: وَفِي حَدِيثِ بَكْرٍ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ

---

[1] – العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج1، ص302).

[2] – **الأترجة:** هي ثمر جامع لطيب الطعم والرائحة وحسن اللون يشبه البطيخ. محمد فؤاد عبد الباقي، **في شرحه وتعليقه** على صحيح مسلم في الهامش، بنفس صفحة الحديث.

[3] – **الحنظلة:** هي نوع نباتي زاحف شديد المرار. ابن منظور، **لسان العرب**، (ج1، ص362).

[4] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الأَطْعِمَةِ، بَابُ ذِكْرِ الطَّعَامِ، رقم الحديث (5427)، (ج7، ص77)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ فَضِيلَةِ حَافِظِ الْقُرْآنِ، رقم الحديث (797)، (ج1، ص549).

[5] – النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج6، ص83).

[6] – **يُنظر:** أبو عرّاد، د. صالح بن علي الشهري، **مقدمة في التربية الإسلامية**، الدار الصوتية للنشر والتوزيع –الرياض، (ط/1، 1424هـ –2003م)، (ص 81).

يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ [1] شَيْءٌ؟» قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: «فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا»"[2].

أراد النبي ﷺ أن يقرّب لأذهان الصحابة مدى أهمية الصلاة وعِظم الحفاظ عليها لِما يترتب عليها من مغفرة الذنوب ومحي الخطايا، فجاء بهذا التشبيه والمثل الرائع، ذكر ابن حجر نقلاً عن ابن العربي "وجه التمثيل أن المرء كما يتدنس بالأقذار المحسوسة في بدنه وثيابه ويطهره الماء الكثير فكذلك الصلوات تطهر العبد عن أقذار الذنوب حتى لا تبقي له ذنبا إلا أسقطته"[3].

5. بيان هوان الدنيا: ومثاله ما رواه جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ، دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ، وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ [4]، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ [5] مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ عَيْبًا فِيهِ، لِأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: «فَوَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»"[6].

اختار النبي ﷺ الموقف المناسب لكي يضرب مثل الحياة الدنيا، حيث كان معه جمع من الناس فمر بجديٍ ميت قبيح المنظر صغير الأذنين، فأمسك النبي ﷺ بأذن هذا الجدي وقال للناس من حوله وقال لهم من يشتري هذا الجدي بدرهم، فتعجب الناس من حوله وقالوا إنه لو كان حياً لا يُشترى بدرهم لقباحة منظره فكيف وهو ميت، فأقسم النبي ﷺ بأن هذه الدنيا بما فيها من مغريات وشهوات أشد حقارة عند الله من حقارة هذا الجدي عندكم.

---

[1] – **من درنه:** الدرن هو الوسخ. العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج5، ص16).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ مَوَاقِيتِ الصَّلاَةِ، بَابٌ: الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ كَفَّارَةٌ، رقم الحديث (528)، (ج1، ص112)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَابُ الْمَشْيِ إِلَى الصَّلَاةِ تُمْحَى بِهِ الْخَطَايَا، وَتُرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتُ، رقم الحديث (667)، (ج1، ص462).

[3] – ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (ج2، ص11)، *لم أجد هذا النص في مؤلفات ابن العربي التي بين أيدينا.

[4] – **كنفته:** أي ناحيته. القاضي عياض، **إِكمَالُ المُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِمٍ**، (ج8، ص511).

[5] – **جدي أسك:** أي صغير الأذنين. القاضي عياض، **إِكمَالُ المُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِمٍ**، (ج8، ص511).

[6] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، رقم الحديث (2957)، (ج4، ص2272).

فالنبي ﷺ ضرب هذا المثل ليخرج حب الدنيا من قلوب صحابته والناس من بعدهم، فشبهها بأبشع وأقبح المناظر، وبأمور ليس لها قيمة؛ وذلك لكي يصور الدنيا في أذهان الناس بصورة قبيحة حتى يعملوا لِأخراهم، ويتذكروا بأن الدنيا ما هي إلا طريق للوصول إلى الآخرة.

6. التحذير من البخل، والترغيب في الإنفاق: ومثاله ما رواه أَبَو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَثَلُ البَخِيلِ وَالمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ [1] مِنْ حَدِيدٍ مِنْ ثُدِيِّهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا [2]، فَأَمَّا المُنْفِقُ فَلاَ يُنْفِقُ إِلَّا سَبَغَتْ [3] أَوْ وَفَرَتْ [4] عَلَى جِلْدِهِ، حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ [5]، وَأَمَّا البَخِيلُ فَلاَ يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلَّا لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا [6]، فَهُوَ يُوَسِّعُهَا وَلاَ تَتَّسِعُ»"[7].

ضرب النبي ﷺ مثلاً في الحديث يصف فيه حال المتصدق، وحال البخيل الممتنع عن الإنفاق والتصدق، قال القاضي عياض: "والحديث إنما جاء على التمثيل، لا على الخبر عن كائن. فقيل: ضرب المثل للبخيل والمتصدق بالجبتين؛ لأن المنفق يستره الله بنفقته، ويستر عوراته في الدنيا والآخرة كستر هذه الجبّة لابسها. والبخيل بإمساكه عن نفقة ماله فيما يستره ويستر عوراته، كهذا الذي لبس الجُبة إلى ثدييه، بقي بادي العورة مفتضحًا في الدنيا والآخرة"[8].

لا شك أن ضرب هذه الأمثال فيها تشجيع من النبي ﷺ للناس على التصدق، كما وفيها توبيخ للبخيل بامتناعه عن التصدق، فهنا الصورة واضحة والإنسان هو من يختار إما أن يكون منفقاً فتكون صورته حسنة كما جاء عن الصنف الأول في الحديث، أو أن يكون بخيلاً فتكون صورته قبيحة وسيئة كما الصنف الثاني.

---

[1] – **جبتان:** قيل صوابه جنتان بالنون والجنة الدرع. العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج8، ص308).

[2] – **تراقيهما:** جمع ترقوة وهي العظم البارز أعلى الصدر من رأس الكتف إلى ثغرة العنق. العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج8، ص308).

[3] – **سبغت:** طالت. القرطبي، **اختصار صحيح البخاري وبيان غريبه**، (ج2، ص19).

[4] – **وفرت:** كملت ونمت. العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج8، ص308).

[5] – **تعفو أثره:** تمحو أثر مشيه. القرطبي، **اختصار صحيح البخاري وبيان غريبه**، (ج2، ص19).

[6] – **لزقت كل حلقة مكانها:** التصقت وضاقت عليه. العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج8، ص308).

[7] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ مَثَلِ المُتَصَدِّقِ وَالبَخِيلِ، رقم الحديث (1443)، (ج2، ص115)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ مَثَلِ الْمُنْفِقِ وَالْبَخِيلِ، رقم الحديث (1021)، (ج2، ص708).

[8] – القاضي عياض، **إِكمَالُ المُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِمٍ**، (ج3، ص547).

7. الإشارة إلى أنه خاتم الأنبياء لغرض الإفهام: ومثاله ما رواه جَابِرٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَتَمَّهَا وَأَكْمَلَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا، وَيَقُولُونَ: لَوْلَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ " قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ [1]، جِئْتُ فَخَتَمْتُ الْأَنْبِيَاءَ»"[2].

ضرب النبي ﷺ مثله ومثل الأنبياء في الحديث كمن بنى بيتاً جميلاً يتعجب كل من رآه من جماله وإتقانه لبنائه، إلا أن كل من رأى هذا البيت وجد فيه قطعة أساسية ناقصة تكمل بنيان هذا البيت كما وتكمل روعة وجماله.

ففي الحديث ضرب الأمثال للتقريب للأفهام، وفضل النبي ﷺ على سائر النبيين، وأن الله ختم به المرسلين وأكمل به شرائع الدين [3]، فأراد النبي ﷺ بهذا المثال أن يوضح أهمية وعظم ما قام به الأنبياء عليهم السلام من قبله، فالمثال الذي ضربه يبين أهمية الدور الذي خاضه الأنبياء عليهم السلام من قبله، ولكنه أشار إلى أن هذا الدور يبقى فيه قطعة أساسية ناقصة وتحتاج إلى تكملة وإنهاء، ألا وهي بعثة النبي ﷺ فيكون خاتم الأنبياء والمرسلين.

8. التشجيع على وحدة المسلمين وتعاونهم وتآلفهم: ومثاله ما رواه النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"[4].

أراد النبي ﷺ تشجيع وحض المسلمين على التعاون وزيادة التآلف بينهم، فضربَ مثلاً يوضح فيه أن مثل المؤمنين وحالهم عندما يتآلفوا ويتعاطفوا ويتراحموا فيما بينهم كمثل جسدٍ واحد

---

[1] – **اللبنة:** واللبن هو المضروب من الطين مربعا للبناء. محمد فؤاد عبد الباقي، **في شرحه وتعليقه** على صحيح مسلم في الهامش، بنفس صفحة الحديث.

[2] – مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ ذِكْرِ كَوْنِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ، رقم الحديث (2287)، (ج4، ص1791)، والبخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ المَنَاقِبِ، بَابُ خَاتِمِ النَّبِيِّينَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رقم الحديث (3534)، (ج4، ص186).

[3] – **يُنظر:** ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (ج6، ص559).

[4] – مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، رقم الحديث (2586)، (ج4، ص1999)، والبخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ رَحْمَةِ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ، رقم الحديث (6011)، (ج8، ص10).

إذا اشتكى منه عضوٌ بسيطٌ من جسده، اشتكى سائر جسده متأثراً بهذا الألم في العضو الواحد، فهذا "تمثيل صحيح، وتقريب للأفهام في إظهار المعاني في الصور المرتبة، فيجب على المسلمين امتثال ما حض – عليه السلام – عليه من ذلك والتخلق به"[1].

9. التوبة إلى الله وعدم القنوط: ومثاله ما رواه الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللهِ أَعُودُهُ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَحَدَّثَنَا بِحَدِيثَيْنِ: حَدِيثًا عَنْ نَفْسِهِ، وَحَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: "لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ [2] مَهْلِكَةٍ[3]، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِيَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَاللهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ "[4].

دعا النبي ﷺ أمته إلى عدم القنوط والإسراع إلى التوبة، لأن الله عز وجل يقبل عبده ويغفر له ولو بلغت ذنوبه ملْء الأرض، وضرب عليه الصلاة والسلام مثلاً جميلاً لكي يبين أن الله لا يقبل عبده ويغفر له فقط، بل ويفرح بتوبة عبده المؤمن، فهذا مثل "قُصد به بيان سرعة قبول الله تعالى لتوبة عبده التائب فإنَّه يقبل عليه بمغفرته ورحمته، ويعامله معاملة من يفرح به. ووجه هذا المثل: أن العاصي حصل بسبب معصيته في قبضة الشيطان وأسره. وقد أشرف على الهلاك. فإذا لطف الله تعالى به، وأرشده للتوبة، خرج من شؤم تلك المعصية، وتخلص من أسر الشيطان، ومن المهلكة التي أشرف عليها، فأقبل الله تعالى عليه برحمته ومغفرته"[5].

---

[1] – القاضي عياض، **إِكمَالُ المُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِمٍ**، (ج8، ص57).

[2] – **الدوية:** هي الأرض القفر والفلاة الخالية وقيل هي البرية التي لا نبات بها. النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج17، ص61).

[3] – **مهلكة:** هي موضع خوف الهلاك وقيل هو على سبيل التفاؤل بفوزه ونجاته منها كما يقال للديغ سليم. النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج17، ص61).

[4] – مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب التَّوْبَةِ، بَابٌ فِي الْحَضِّ عَلَى التَّوْبَةِ وَالْفَرَحِ بِهَا، رقم الحديث (2744)، (ج4، ص2103).

[5] – القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم (578 – 656 هـ)، **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو – أحمد محمد السيد – يوسف علي بديوي – محمود إبراهيم بزال، (دار ابن كثير، دمشق – بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق – بيروت)، (ط/1، 1417 هـ – 1996 م)، (ج7، ص71).

10. مجالسة أهل الصلاح، وترك أهل الباطل والسوء: ومثاله ما رواه أَبَو بُرْدَةَ بْنَ أَبِي مُوسَى رحمه الله، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيسِ السَّوْءِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ المِسْكِ وَكِيرِ الحَدَّادِ، لاَ يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ المِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكِيرُ الحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ، أَوْ ثَوْبَكَ، أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً»"[1].

حث النبي ﷺ على مجالسة أهل الصلاح وعلى من عُلم من حالهم تقوى الله وفعل الخير، وفي الجانب المقابل نهى عن مجالسة أهل السوء والباطل؛ لأنه قد ينال بصحبتهم الأذى والشر على عكس الصنف الأول، وهم أهل الصلاح الذي قد ينال بصحبتهم تعلم العلم والأخلاق الحميدة وتعلم الخير، قال ابن بطال: "إنما خرج كلامه عليه السلام في هذا الحديث على المثل في النهى عن مجالسة من يتأذى بمجالسته، كالمغتاب والخائض في الباطل، والندب إلى مجالسة من ينال في مجالسته الخير من ذكر الله – تعالى– وتعلم العلم وأفعال البر كلها"[2].

11. الترغيب في تعلّم القرآن وتعليمه: ومثاله ما رواه عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ[3]، فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ[4]، أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ[5]، فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ[6] فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِن مِنَ الْإِبِلِ»"[7].

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ البُيُوعِ، بَابٌ فِي العَطَّارِ وَبَيْعِ المِسْكِ، رقم الحديث (2101)، (ج3، ص63)، وكِتَابُ الذَّبَائِحِ وَالصَّيْدِ، بَابُ المِسْكِ، رقم الحديث (5534)، (ج7، ص96)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ مُجَالَسَةِ الصَّالِحِينَ، وَمُجَانَبَةِ قُرَنَاءِ السُّوءِ، رقم الحديث (2628)، (ج4، ص2026).

[2] – ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج6، ص232).

[3] – **الصفة:** أي في موضع مظلل من المسجد الشريف كان فقراء المهاجرين يأوون إليه وهم المسمون بأصحاب الصفة وكانوا أضياف الإسلام. القرطبي، **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، (ج2، ص429).

[4] – **بطحان:** اسم موضع بقرب المدينة. محمد فؤاد عبد الباقي، **في شرحه وتعليقه** على صحيح مسلم في الهامش، بنفس صفحة الحديث.

[5] – **العقيق:** واد بالمدينة. محمد فؤاد عبد الباقي، **في شرحه وتعليقه** على صحيح مسلم في الهامش، بنفس صفحة الحديث.

[6] – **كوماوين:** الكوماء من الإبل العظيمة السنام. السيوطي، **الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج2، ص399).

[7] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ فَضْلِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي الصَّلَاةِ وَتَعَلُّمِهِ، رقم الحديث (803)، (ج1، ص552).

خرج النبي ﷺ على صحابة الكرام وأراد ترغيبهم في تعلم القرآن الكريم وتعليمه، وخاطبهم على ما تعارفوه، فإنهم أهل إبل، وإلاَّ فأقلّ جزء من ثواب القرآن وتعليمه خير من الدنيا وما فيها، فاختيار النبي صلى الله عليه للإبل في المثل، فيه مراعاة المستوى العقلي والذهني لهم، بحيث يسهل عليهم تصور عظمة وثواب القرآن مقارنةً بأعظم ما يمكن أن يمتلكوه ويتباهوا به في وقتم آنذاك[1].

12. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للتحذير والتفهيم: ومثاله ما رواه النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا [2] عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ [3] نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا"[4].

ضرب النبي ﷺ مثلاً للقائم المستقيم لله، المطيع لأوامره والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، والواقع في المنكرات التارك للمعروف، كمثل قومٍ اتخذوا نصيباً وسهماً من السفينة بالقرعة، فإذا أراد الذي في أسفل السفينة أن يخرقوها لكي يلحقوا الضرر بمن فوقهم، مصيرهم أن يهلكوا هم ومن فوقهم، وأما إذا امتنعوا عن خرق السفينة فنجوا هم ومن معهم على السفينة جميعا [5].

ثمرات ضرب المثل في التعليم:

تُعد الأمثال القرآنية والنبوية "سلاحاً بلاغياً، عاطفياً، عقلياً، بليغ الأثر، عظيم النتائج، جم الفائدة"[6].

---

[1] – **يُنظر:** القرطبي، **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، (ج2، ص429).

[2] – **استهموا:** اقترعوا ليأخذ كل منهم سهما أي نصيبا. العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج13، ص57).

[3] – **أخذوا على أيديهم:** منعوهم من خرق السفينة. العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج13، ص57).

[4] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَاب الشَّرِكَةِ، بَابٌ: هَلْ يُقْرَعُ فِي القِسْمَةِ وَالِاسْتِهَامِ فِيهِ، رقم الحديث (2493)، (ج3، ص139).

[5] – **يُنظر:** القسطلاني، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، (ج4، ص288)، والعيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج13، ص57).

[6] – النحلاوي، عبد الرحمن، **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع**، دار الفكر، (ط/25، 1428هـ–2007م)، (ص 204).

لا شك أن أسلوب ضرب المثل يعود بالكثير من الفوائد على العملية التعليمية، وعلى المتعلّمين أنفسهم، وبيان هذه الثمرات كآلاتي [1]:

1. تقريب المعنى إلى الأفهام فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية، ليستطيعوا فهم تلك الأمور المعنوية أو الغيبية.

2. إثارة الانفعالات المناسبة للمعنى، وتربية العواطف الربانية.

3. تربية العقل على التفكير الصحيح، والقياس المنطقي السليم.

4. تساهم الأمثال في تربية الإنسان على السلوك الخير وتهذيب نزعاته الشريرة، فتستقيم حياة الأفراد والمجتمعات، فيجب على المربي العمل على تحقيق هذا الجانب، وذلك باستحضار الأمثال القرآنية في المواقف الحياتية، والنشاطية المدرسية المناسبة، والتعقيب عليها بذكر نتائجها السلوكية، والاجتماعية الطيبة بأسلوب يقوي إرادة الخير عند الطلاب، ويحقق عزمهم على توجيه سلوكهم بما تقتضيه أمثال القرآن وتعاليمه.

فهذه "الأمثال من أبلغ الوسائل في البيان والإقناع، ولهذا أكثر منها النبي ﷺ ونوع فيها، وضرب للفكرة الواحدة أكثر من مثل"[2].

فهذه التوصيات وهذه الأهداف التي ذكرها علماء التربية تكفي في بيان أهمية وسيلة ضرب المثل، حيث تكمن أهميتها في كيفية توظيفها، ولا يوجد أروع ولا أجمل من توظيف الأمثال من النبي ﷺ، التي يجب على المعلّمين والمدرّسين بدورهم الاقتداء بالنبي ﷺ في كيفية التعامل مع هذه الوسيلة مع طلابهم، كما كان عليه الصلاة والسلام مع صحابته الكرام، حيث كان يوظفها في الظروف المناسبة وللعقليات والحالات الاستيعابية، التي كان يحدد النبي ﷺ كيفية التعامل معها، وكيفية التحقق من وصول المقصود منها للأذهان والأفهام.

---

[1] – المرجع السابق، النقاط باختصار من صفحة (201_204).

[2] – عبد المجيد، دكتور محمود عبد المجيد، **نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث**، مكتبة الصديق الطائف، (ط/2، 1413هـ–1992م)، (ص 120).

المطلب الثالث: طرح السؤال:

يُعد طرح السؤال من الوسائل التعليمية المستخدمة لتقلي المعلومات والمسائل العلمية، وذلك بناء على فكرة معينة سواء استخدمها المعلّم أو المتعلّم، لذا سيتناول هذا المطلب الأحاديث التي اعتنت بمعرفة الأهداف التي تحققها هذه الوسيلة، ومعرفة كيف تعامل النبي ﷺ مع صحابه في دوره وهو معلم، وردود أفعال تلاميذه الكرام في الإجابة، والتعامل مع أسئلته عليه الصلاة والسلام، وذلك كالآتي:

أولاً: مفهوم طرح السؤال، وأثره على المتعلّم:

تُعرف عملية طرح السؤال على أنها: طلب المعلومة، أو الفكرة، أو أيٌّ معنًى أشكل عليه من شخصٍ آخر[1].

وأما ما استنتجه الباحث من أثر طرح السؤال على المتعلّم من خلال أحاديث المطلب، فهي:

1. يساعد على لفت انتباه المتعلّمين، وشدّ تركيزهم لما هو مهم.
2. يساعد طرح السؤال المتعلّمين على التفكّر والتدبر في إيجاد الإجابة المناسبة.
3. مشاركة المتعلّمين وكسر حاجز الخجل والخوف بينهم وبين المعلّم.
4. تنشيط الذاكرة وتفتحها من خلال الاختبار عن طريق طرح الأسئلة.

ثانياً: أغراض طرح السؤال في السُنَّة النَّبويَّة: ويقسم إلى عدة أقسام، وذلك كآلاتي:

أ- **توجيه السؤال من المعلّم:** وفيه العديد من الأحاديث التي تحمل طرح السؤال من النبي ﷺ، لصحابته الكرام ليختبرهم، وذلك كآلاتي:

1. اختبار أبي المنذر بأعظم آية في القرآن: مثاله ما رواه أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ

[1] – **يُنظر:** المنتدى الرسمي للشيخ الدكتور محمد العريفي، أسم الموضوع: **مهارة السؤال**، تاريخ النشر:2019/7/29م، الرابط (http://www.3refe.com/vb/showthread.php?t=227278).

أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: {اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: 255]. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»"[1].

وجه النبيُّ ﷺ سؤاله لأبي المنذر، حيث تعلق سؤاله بالقرآن، ليختبر مدى العمق والمعرفة التي عليها أبو المنذر، فالسؤال على هذا النحو فيه إعمالٌ للعقل في القرآن، وبيان الأعظم منه سواء آية أو سورة، قال القاضي عياض: "وفي الخبر إلقاء المعلم على أصحابه المسائل لاختبار معرفتهم، أو ليعلمهم ما لعلهم لم ينتبهوا للسؤال عنه"[2].

فطرح النبي ﷺ للسؤال على هذا النحو متعلق بتحفيز العقل وإعماله؛ لبيان أعظم آية في القرآن، فكأن القرآن واضح المعالم عند أبي المنذر أكثر من غيره من تلامذتهِ رسول الله ﷺ.

2. وصيته لأمته بصيغة السؤال للتنبيه على إعارة السمع والتركيز لأهمية ما سيقوله: ومثاله ما رواه ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ النَّحْرِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟»، قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، قَالَ: «فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟»، قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: «فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟»، قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ "، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا»، فَأَعَادَهَا مِرَارًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: " اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ – قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَوَصِيَّتُهُ إِلَى أُمَّتِهِ، فَلْيُبْلِغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ"[3].

خطب النبي ﷺ بصحابته يوم النحر، وأراد في خطبته هذه أن تكون وصيته لأمته تحتوي على كل ما هو مهم؛ ولذا أمرهم بتبليغها لكل غائب، فكان أنسب أسلوب لِلفتِ انتباههم هو أسلوب

---

[1] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ فَضْلِ سُورَةِ الْكَهْفِ، وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ، رقم الحديث (810)، (ج1، ص556).

[2] – القاضي عياض، **إِكمَالُ المُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِمٍ**، (ج3، ص178).

[3] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الحَجِّ، بَابُ الخُطْبَةِ أَيَّامَ مِنًى، رقم الحديث (1739)، (ج2، ص176)، وحديث رقم (67)، و(105)، و(1741_1742)، و(4402_4403_4406)، و(5550)، و(6043)، و(6785)، و(7078)، و(7447)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ تَغْلِيظِ تَحْرِيمِ الدِّمَاءِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَمْوَالِ، رقم الحديث (1679)، (ج3، ص1305)، وحديث رقم (1218).

طرح السؤال، فسؤال النبي ﷺ للجماعة المسلمة عن اليوم والشهر والبلد، وإجابتهم ليس إلا لاستحضار قيمة الحرمة في نفوسهم، حتى يقول لهم أن حرمة الدماء والأموال والأعراض، أكبر حرمه مما استقر في نفوسكم.

3. طرح السؤال بصيغة غامضة مع البيان: ومثاله ما رواه ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ المُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ» فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ البَوَادِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ»"[1].

اختبر النبي ﷺ صحابته الكرام، بسؤال فيه بعض الغموض مع بيان بعض الأدلة لتقريب الإجابة إلى أذهانهم، قال ابن حجر: "فيه امتحان العالم أذهان الطلبة بما يخفى مع بيانه لهم إن لم يفهموه"[2]، ومثل هذا الأسلوب التعليمي يعود على المتعلّمين بزيادة التفكّر وبذل الجهد في إعمال العقل في المسألة، مما يؤدي إلى تنشيط الذهن، ومحاولة التنقيب عن الآراء والأفكار .

وهذا أسلوب ينبغي على المعلّم أن يتبعه أثناء تعليم المتعلّمين، قال العيني: "فيه استحباب إلقاء العالم المسألة على أصحابه ليختبر أفهامهم، ويرغبهم في الفكر، وفيه جواز اللغز مع بيانه"[3].

4. السؤال بالظاهر والمراد غير ذلك: ومثاله ما رواه أَبِو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»"[4].

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ قَوْلِ المُحَدِّثِ: حَدَّثَنَا، وَأَخْبَرَنَا، وَأَنْبَأَنَا، رقم الحديث (61)، (ج1، ص22)، وحديث رقم(62)، و(72)، و(131)، و(2209)، و(4698)، و(5444)، و(5448)، و(6122)، و(6144)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابُ مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّخْلَةِ، رقم الحديث (2811)، (ج3، ص2164).

[2] – ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (ج1، ص146).

[3] – العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج2، ص15).

[4] – مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، رقم الحديث (2581)، (ج4، ص1997).

فدلّ الحديث على أن سؤال النبي ﷺ عن شيء معروف وهو المفلس، ليس لظاهر الأمر، وإنما لإحداث قياس عقلي يتم من خلاله بيان عِظم من شتم وضرب وهو يصلي، ويصوم، ويزكي، فالنبي ﷺ أراد بمفهوم المفلس من أفلست حسانته وفنيت مقابل معاصيه وفواحشه، وهذا ما أشار له النووي، فقال: "وإنما حقيقة المفلس هذا المذكور في الحديث فهو الهالك الهلاك التام والمعدوم الإعدام المقطع فتؤخذ حسناته لغرمائه فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه ثم ألقي في النار فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه"[1].

ب- توجيه السؤال من المتعلّم للمعلّم: وفيه العديد من الأحاديث التي سأل فيها الصحابة الرسول ﷺ للاستفسار عن شيء ومعرفة أجابته، وذلك كآلاتي:

1. مباشرة المتعلّم السؤال لمعلّمه: ومثاله ما رواه عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا»، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ» قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ، وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي"[2].

فمباشرة عبد الله بن مسعود بالعديد من الأسئلة للنبي ﷺ وأجابته في كل مرة يدل على أن ذلك من واجب المعلّم تجاه طلبته، كما يدل على وجوب المتعلّم سؤال معلمه عما لا يعلمه، أو ما أشكل عليه، قال ابن حجر: "وفيه تقرير وتأكيد لما تقدم من أنه باشر السؤال وسمع الجواب قوله ولو استزدته يحتمل أن يريد من هذا النوع وهو مراتب أفضل الأعمال ويحتمل أن يريد من مطلق المسائل المحتاج إليها، وفيه السؤال عن مسائل شتّى في وقت واحد والرفق بالعالم والتوقف عن الإكثار عليه خشية ملاله"[3].

---

[1] – النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج16، ص136).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ مَوَاقِيتِ الصَّلاَةِ، بَابُ فَضْلِ الصَّلاَةِ لِوَقْتِهَا، رقم الحديث (527)، (ج1، ص112)، وحديث رقم (5970)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ بَيَانِ كَوْنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ تَعَالَى أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ، رقم الحديث (85)، (ج1، ص90).

=وكذا الكثير من الأحاديث على هذا النمط من سؤال الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم عن أفضل الأعمال، وهي (عند البخاري): حديث رقم (11)، وحديث رقم (26)، وحديث رقم (2518)، وحديث رقم (2786)، وحديث رقم (4477)، و(مسلم): حديث رقم (40)، وحديث من رقم (83-86)، وحديث رقم (756)، وحديث رقم (1163)، وحديث رقم (1888)، وحديث رقم (2618).

[3] – ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (ج2، ص10).

2. دعوة المعلّم لسؤاله في مسألة ما: ومثاله ما رواه عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهم، أَنَّهُ تَمَارَى هُوَ وَالحُرُّ بْنُ قَيْسِ بْنِ حِصْنٍ الفَزَارِيُّ فِي صَاحِبِ مُوسَى، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ خَضِرٌ، فَمَرَّ بِهِمَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، فَدَعَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ: إِنِّي تَمَارَيْتُ [1] أَنَا وَصَاحِبِي هَذَا فِي صَاحِبِ مُوسَى، الَّذِي سَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَى لُقِيِّهِ، هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ شَأْنَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ؟ " قَالَ مُوسَى: لاَ...الحديث"[2].

تجادل ابن عباس هو وصاحبه في صاحب سيدنا موسى عليه السلام، ولم يتوصلوا لجواب حتى استعان ابن عباس بأُبيّ بن كعب، فسأله إن كان علم من النبي ﷺ في شأنه شيء، فذكر له ما سمعه من النبي ﷺ عن القصة.

فطرح السؤال وسيلة من وسائل ترجحه رأي على آخر، أو معرفة الصواب ابن عباس وصاحبه في شخصية صاحب موسى، والجواب أفاد فصل هذا الجدال وحسمه بين الطرفين وذلك من خلال سؤال من هو أعلم منهم أو ممن وجدت عنده إجابة السؤال المطروح.

3. السؤال لحسم الخلاف في الإجابة: ومثاله ما رواه الْمُغِيرَةِ بْنِ النُّعْمَانِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: اخْتَلَفَ أَهْلُ الْكُوفَةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ} [النساء: 93] فَرَحَلْتُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ آخِرَ مَا أُنْزِلَ، ثُمَّ مَا نَسَخَهَا شَيْءٌ»"[3].

رحل سعيد بن جبير إلى ابن عباس يسأله عن الآية التي في الرواية من سورة النساء لاختلاف أهل الكوفة فيها، ولا شك أن توجه سعيد إلى ابن عباس لسؤاله كان متعمداً لعلمه أنه

---

[1] – **تمارى:** الجدال حتى الغضب. ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج4، ص476).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ مَا ذُكِرَ فِي ذَهَابِ مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي البَحْرِ إِلَى الخَضِرِ، رقم الحديث (74)، (ج1، ص26)، وكِتَابُ العِلْمِ، بَابُ الخُرُوجِ فِي طَلَبِ العِلْمِ، رقم الحديث (78)، (ج1، ص26)، وحديث رقم(3400)، و(7478)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، رقم الحديث (2380)، (ج4، ص1852).

[3] – مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب التَّفْسِيرِ، رقم الحديث (3023)، (ج4، ص2317).

أعلم منه وأكبر منه وأقدم صحبة منه [1]، فتوجهه مباشرةً واقتصاره على ابن عباس بطرح السؤال عليه دون البحث عن غيره، كان لعلمه بأن ابن عباس تتوفر فيه جميع العناصر التي تدفعه للإجابة على مثل هذا السؤال.

وفي هذا الحديث الكثير من الفوائد واللفتات مثل السفر للسؤال في العلم، وحرص الطالب على سؤال المعلم، ولاسيما أهل الاختصاص والمعروفين به، واللجوء إليهم عند الاختلاف لحسم الإجابة لِما أشكل عليهم وكان فيه نوع من الغموض لكشفه وتوضيحه.

4. سؤال الصحابة لبعضهم البعض في أمور الاقتداء بالنبي ﷺ: ومثاله ما رواه أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنهما، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: «اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»"[2].

في الحديث أن أبا سلمة أراد الاقتداء بالنبي ﷺ في افتتاح صلاة الليل ففي ذلك أجر الاقتداء وأجر السؤال وأجر العمل، فطرح السؤال على أقرب من كان من قلب النبيﷺ وجسده، وهي أُمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فأجابته على سؤاله، وذكرت له ما كان يخصص النبي ﷺ من دعائه لافتتاح صلاة الليل.

وبكل ما ذُكر في هذا المطلب ينبغي أن نعلم "إن التعليم بطريق إلقاء السؤال من الوسائل التعليمية والتربوية المهمة؛ حيث ينمي التواصل القوي بين المُعَلِّم والمتعلم، والمُرَبّي والمُرَبَّى، ولذلك استخدم النبي ﷺ السؤال في صور ومواقف متعددة لتعليم أصحابه رضوان الله عليهم، مما كان له كبير الأثر في حسن تعليمهم، وتفاعلهم عمليًّا وسلوكيًّا مع المعاني التربوية المقصودة منه صلوات

---

[1] – **يُنظر:** النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج18، ص160).

[2] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ الدُّعَاءِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ وَقِيَامِهِ، رقم الحديث (770)، (ج1، ص534).

الله وسلامه عليه، وهو ما ينبغي أن يسلكه الآباء والمعلمون والمربون، قال الله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا} (الأحزاب:21)"[1].

المطلب الرابع: التعليم بالتطبيق العملي:

يتمثل التطبيق العمليّ في هذا المطلب بالحوادث والوقائع التي فعلها النبي ﷺ أمام الصحابة قاصداً فيها التعليم، وهي تختلف من تعليم أمرٍ إلى أمرٍ آخر باختلاف الحكم والأمر المراد تعليمه، مثل تعليم الوضوء، وتعليم الصلاة، وتعليم الحج، وغيرها.

ويُعد التطبيق العملي "واحداً من أهم الأساليب التربوية وأقواها أثراً في التربية الإسلامية، حيث إنه يُعنى بالجانب التطبيقي للتربية والتعليم، ولذلك فإن التكاليف والعبادات الإسلامية تقوم وتعتمد اعتماداً مباشراً على التطبيق العملي والممارسة الفعلية لها، كالصلاة، وإيتاء الزكاة، والصوم، وأداء مناسك الحج، حتى تتحقق بذلك الترجمة الحقّة لصدق الالتزام بتعاليم الدين وتوجيهاته، لاسيما وأن التعليم بهذا الأسلوب يكون أوقع أثراً وأكثر تثبيتاً وتأكيداً له في نفس المتعلم"[2]، وبيان ذلك كالآتي:

أولاً: مفهوم التطبيق العمليّ، وأثره في نفوس المتعلّمين:

ونقصد بالتطبيق العمليّ هنا: هي مجموعة الأفعال والأعمال التي كان يقوم بها النبي ﷺ قاصداً منها تعليم الصحابة رضوان الله عليهم خاصة، وأمته من بعده عامة.

وأما أثره على المتعلّمين كما أشار الباحث استنتاجاً من أحاديث المطلب، فهي:

1. سهولة اقتداء المتعلّم بالمعلّم.

2. يترك التطبيق العمليّ وقعاً وأثراً في نفس المتعلّم، بحيث يسهل عليه فهم الأمر أكثر منه في القول.

---

[1] – موقع إسلام ويب، اسم المقال: **التعليم النبوي بالسؤال**، نشر في (2015/9/13)، (http://articles.islamweb.net/Media/index.php?page=article&lang=A&id=202105).

[2] – **د.** أبو عرّاد، **مقدمة في التربية الإسلامية**، (ص 78).

ثانياً: التطبيق العملي في السُنَّة النَّبويَّة: ويقسم إلى عدة أقسام: وذلك كآلاتي:

القسم الأول: التطبيق العمليّ في العبادات: وفيه:

أ. التطبيق العمليّ لتعليم الوضوء:

تعددت الروايات وكثرت حول تعليم النبي ﷺ للصحابة كيفية الوضوء، وسيتم اختيار أعم الروايات وأشملها:

- **تطبيق الصحابة لوضوء رسول الله ﷺ:** ومثاله ما رواه ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّهُ «تَوَضَّأَ فَغَسَلَ وَجْهَهُ، أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ، فَمَضْمَضَ بِهَا وَاسْتَنْشَقَ، ثُمَّ أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ، فَجَعَلَ بِهَا هَكَذَا، أَضَافَهَا إِلَى يَدِهِ الأُخْرَى، فَغَسَلَ بِهِمَا وَجْهَهُ، ثُمَّ أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ، فَغَسَلَ بِهَا يَدَهُ اليُمْنَى، ثُمَّ أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ، فَغَسَلَ بِهَا يَدَهُ اليُسْرَى، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ، فَرَشَّ عَلَى رِجْلِهِ اليُمْنَى حَتَّى غَسَلَهَا، ثُمَّ أَخَذَ غَرْفَةً أُخْرَى، فَغَسَلَ بِهَا رِجْلَهُ، يَعْنِي اليُسْرَى» ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ"[1].

أخذ ابن عباس بالوضوء أمام مجموعة من التابعين، مع بيانه أنه هكذا كان النبي ﷺ يفعل في وضوئه، فكان هذا من باب تعليمهم كيفية وضوء النبي ﷺ، وهذا قد لا يكون إلا بالتطبيق العملي بتقليد النبي ﷺ في فعله، فالتطبيق العملي يرسخ في الذهن أكثر من القول، حيث إن الصورة تبقى عالقة في الذهن أكثر من القول.

ب. التطبيق العملي لتعليم الصلاة وأوقاتها:

والأحاديث هنا تحمل صفة صلاة النبي ﷺ، وبيان مواقيت الصلاة، وذلك من خلال أفعال النبي ﷺ التي يقوم بها أمام الصحابة لكي يقتدوا به ويتعلموا منه، وبيان ذلك كما يلي:

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الوُضُوءِ، بَابُ غَسْلِ الوَجْهِ بِاليَدَيْنِ مِنْ غَرْفَةٍ وَاحِدَةٍ، رقم الحديث (140)، (ج1، ص40).

=**ويُنظر**: رواية أبو هريرة، عند مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابِ الطَّهَارَةِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ إِطَالَةِ الْغُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ فِي الْوُضُوءِ، رقم الحديث (246)، (ج1، ص216).

1. اتخاذ المنبر وسيلة للتطبيق العملي: ومثاله ما رواه أَبُو حَازِمِ بْنُ دِينَارٍ، أَنَّ رِجَالًا أَتَوْا سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِيَّ، وَقَدْ امْتَرَوْا [1] فِي المِنْبَرِ مِمَّ عُودُهُ، فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْرِفُ مِمَّا هُوَ، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ أَوَّلَ يَوْمٍ وُضِعَ، وَأَوَّلَ يَوْمٍ جَلَسَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى فُلاَنَةَ – امْرَأَةٍ مِنَ الأَنْصَارِ قَدْ سَمَّاهَا سَهْلٌ – «مُرِي غُلاَمَكِ النَّجَّارَ، أَنْ يَعْمَلَ لِي أَعْوَادًا، أَجْلِسُ عَلَيْهِنَّ إِذَا كَلَّمْتُ النَّاسَ» فَأَمَرَتْهُ فَعَمِلَهَا مِنْ طَرْفَاءِ [2] الغَابَةِ [3]، ثُمَّ جَاءَ بِهَا، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَمَرَ بِهَا فَوُضِعَتْ هَا هُنَا، ثُمَّ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى عَلَيْهَا وَكَبَّرَ وَهُوَ عَلَيْهَا، ثُمَّ رَكَعَ وَهُوَ عَلَيْهَا، ثُمَّ نَزَلَ القَهْقَرَى [4]، فَسَجَدَ فِي أَصْلِ المِنْبَرِ ثُمَّ عَادَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا صَنَعْتُ هَذَا لِتَأْتَمُّوا وَلِتَعَلَّمُوا صَلاَتِي»"[5].

أتخذ النبي ﷺ المنبر وسيلة لكي يعلم الناس الصلاة، حيث يكون في موضع أعلى درجة ممن حوله بحيث يراه جميع الحضور فيسهل تَعلُّمَهم، قال النووي: "بين ﷺ أن صعوده المنبر وصلاته عليه إنما كان للتعليم ليرى جميعهم أفعاله ﷺ بخلاف ما إذا كان على الأرض فإنه لا يراه إلا بعضهم ممن قرب منه"[6] وهنا النبي ﷺ كبر وصلّى أمام الصحابة على المنبر وهم ينظرون إليه، فلما فرغ وانتهى من صلاته قال: أنه فعل هذا ليأتموا به وليعلموا صلاته، قال القسطلاني: إنما فعل ذلك بقصد تعليم المأمومين أفعال الصلاة بالفعل [7].

2. تعليم النبي ﷺ الاصطفاف مع الإمام الفرد: ومثاله ما رواه ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: بِتُّ فِي بَيْتِ خَالَتِي مَيْمُونَةَ بِنْتِ الحَارِثِ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَهَا فِي لَيْلَتِهَا، فَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ العِشَاءَ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، ثُمَّ نَامَ، ثُمَّ قَامَ، ثُمَّ قَالَ: «نَامَ

---

[1] – **امتروا:** أي تنازعوا واختلفوا. القرطبي، **اختصار صحيح البخاري وبيان غريبه**، (ج1، ص325).

[2] – **الطرفاء:** بسكون الراء–شجر من شجر البادية. القرطبي، **اختصار صحيح البخاري وبيان غريبه**، (ج1، ص326).

[3] – **الغابة:** موضع معروف بقرب المدينة. القرطبي، **اختصار صحيح البخاري وبيان غريبه**، (ج1، ص326).

[4] – **القهقرى:** الرجوع إلى خلف في المشي. القرطبي، **اختصار صحيح البخاري وبيان غريبه**، (ج1، ص326).

[5] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الجُمُعَةِ، بَابُ الخُطْبَةِ عَلَى المِنْبَرِ، رقم الحديث (917)، (ج2، ص9)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَابُ جَوَازِ الْخُطْوَةِ وَالْخُطْوَتَيْنِ فِي الصَّلَاةِ، رقم الحديث (544)، (ج1، ص386).

[6] – النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج5، ص35).

[7] – **يُنظر:** القسطلاني، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، (ج2، ص180).

الغُلَيِّمُ» أَوْ كَلِمَةً تُشْبِهُهَا، ثُمَّ قَامَ، فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ، فَصَلَّى خَمْسَ رَكَعَاتٍ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ نَامَ، حَتَّى سَمِعْتُ غَطِيطَهُ أَوْ خَطِيطَهُ [1]، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ"[2].

في الحديث رصد ابن عباس الرسول (ﷺ) طول ليلته، ليتعلم منه ما يفعله في ليله وكيف يستغل هذا الوقت في العبادة، فما كان منه إلا أن تابعه في تنفُلِهِ ليلاً، فذكر الحال التي كان عليه النبي ﷺ مما شاهده أمامه ليلاً، ثم قام وصلى معه [3].

3. تعليم النبي ﷺ أوقات الصلاة بفعل الصلاة نفسها: ومثاله ما رواه سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ عَنْ وَقْتِ الصَّلَاةِ، فَقَالَ لَهُ: «صَلِّ مَعَنَا هَذَيْنِ -يَعْنِي الْيَوْمَيْنِ- فَلَمَّا زَالَتِ الشَّمْسُ أَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ، ثُمَّ أَمَرَهُ، فَأَقَامَ الظُّهْرَ، ثُمَّ أَمَرَهُ، فَأَقَامَ الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ مُرْتَفِعَةٌ بَيْضَاءُ نَقِيَّةٌ، ثُمَّ أَمَرَهُ فَأَقَامَ الْمَغْرِبَ حِينَ غَابَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ أَمَرَهُ فَأَقَامَ الْعِشَاءَ حِينَ غَابَ الشَّفَقُ، ثُمَّ أَمَرَهُ فَأَقَامَ الْفَجْرَ حِينَ طَلَعَ الْفَجْرُ، فَلَمَّا أَنْ كَانَ الْيَوْمُ الثَّانِي أَمَرَهُ فَأَبْرَدَ بِالظُّهْرِ [4]، فَأَبْرَدَ بِهَا، فَأَنْعَمَ أَنْ يُبْرِدَ بِهَا [5]، وَصَلَّى الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ مُرْتَفِعَةٌ أَخَّرَهَا فَوْقَ الَّذِي كَانَ، وَصَلَّى الْمَغْرِبَ قَبْلَ أَنْ يَغِيبَ الشَّفَقُ، وَصَلَّى الْعِشَاءَ بَعْدَمَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ، وَصَلَّى الْفَجْرَ فَأَسْفَرَ بِهَا [6]»، ثُمَّ قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ عَنْ وَقْتِ الصَّلَاةِ؟» فَقَالَ الرَّجُلُ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «وَقْتُ صَلَاتِكُمْ بَيْنَ مَا رَأَيْتُمْ»"[7].

سأل النبي ﷺ رجلاً عن وقت الصلاة، فلم يجيبه النبي ﷺ على سؤاله، بل أمره بقضاء يومين معه، فبهذا قصد النبي ﷺ تعليمه بالنظر إلى أفعاله، وأن يرى "البيان بالفعل له أبلغ وأشمل

---

[1] – **غطيطه أو خطيطه:** هما بمعنى واحد وهو صوت نفس النائم. مصطفى البغا، **في تعليقه** على صحيح البخاري في الهامش، بنفس صفحة الحديث.

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ السَّمَرِ فِي العِلْمِ، رقم الحديث (117)، (ج1، ص34).

[3] – **يُنظر:** ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج1، ص192).

[4] – **أمره فأبرد بالظهر:** أي أمره بالإبراد فأبرد بها والإبراد هو الدخول في البرد والباء والباء للتعدية أي أدخلها فيه. محمد فؤاد عبد الباقي، **في شرحه وتعليقه** على صحيح مسلم في الهامش، بنفس صفحة الحديث.

[5] – **فأنعم أن يبرد بها:** أي بالغ في الإبراد بها. محمد فؤاد عبد الباقي، **في شرحه وتعليقه** على صحيح مسلم في الهامش، بنفس صفحة الحديث.

[6] – **فأسفر بها:** أي أدخلها في وقت إسفار الصبح أي انكشافه وإضاءته. محمد فؤاد عبد الباقي، **في شرحه وتعليقه** على صحيح مسلم في الهامش، بنفس صفحة الحديث.

[7] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَابُ أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، رقم الحديث (613)، (ج1، ص428).

له ولغيره ممن يصلى معه من المسلمين، إذ القول لا يبلغ مبلغ الفعل، وإذ القول يسمعه البعض، والفعل يعلمه كل من صلى مع النبي ﷺ"[1].

فمن خلال هذين اليومين تعلم هذا الرجل أوقات الصلاة، حيث اكتسب ذلك من فعل النبي ﷺ.

ج. التطبيق العملي لتعليم الحجّ:

والحجّ واحد من أهم العبادات التي لا يمكن فهمها ومعرفة جميع مناسكها وأحكامها إلاّ بالتطبيق العمليّ، ولهذا حرص أكثر الصحابة على حضور حجة الوداع من النبي ﷺ، وبيان ذلك كالآتي:

1. تعليم الرمي يوم النحر: ومثاله ما رواه جَابِرَ بن عبد الله رضي الله عنه، يَقُولُ: " رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَرْمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ، وَيَقُولُ: «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ»"[2].

في الحديث أن النبي ﷺ رمى الجمرات يوم النحر أمام الصحابة وقال لتأخذوا مناسككم، فقصد بذلك كما قال النووي: "وتقديره هذه الأمور التي أتيت بها في حجتي من الأقوال والأفعال والهيئات هي أمور الحج وصفته وهي مناسككم فخذوها عني واقبلوها وحفظوها واعملوا بها وعلموها الناس وهذا الحديث أصل عظيم في مناسك الحج وهو نحو قوله ﷺ في الصلاة صلوا كما رأيتموني أصلي وقوله ﷺ (لعلي لا أحج بعد حجتي هذه) فيه إشارة إلى توديعهم وإعلامهم بقرب وفاته ﷺ وحثهم على الاعتناء بالأخذ عنه وانتهاز الفرصة من ملازمته وتعلم أمور الدين وبهذا سميت حجة الوداع والله أعلم"[3].

2. تعليم الصحابة وإخبارهم لبعضهم البعض بأفعال النبي ﷺ في حجته: ومثاله ما رواه جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، فَسَأَلَ عَنِ الْقَوْمِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَنَا

---

[1] – القاضي عياض، **إِكمَالُ المُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِمٍ**، (ج2، ص576).

[2] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ اسْتِحْبَابِ رَمْيِ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ يَوْمَ النَّحْرِ رَاكِبًا، وَبَيَانِ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ»، رقم الحديث (1297)، (ج2، ص943).

[3] – النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج9، ص45).

مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ،... فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ حَجَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: بِيَدِهِ فَعَقَدَ تِسْعًا، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ، ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَاجٌّ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ، كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ..."[1].

أراد النبي ﷺ أن يحج حجة الوداع فأخبر الناس لِيشهد معه عدد كبير منهم لكي يتعلموا أحكام الحج، فَهمَّ أكثر الناس للذهاب مع النبي ﷺ وذلك ليلتمس الناس الإمامة والاقتداء بأفعال النبي ﷺ في الحج ويعملون مثل ما يعمل لأنها الحجة الأولى والأخيرة له ﷺ.

القسم الثاني: التطبيق العملي في الحرب والتدريب العسكري: وفيه:

1. **جواز التدريب العسكري في المسجد:** ومثاله ما رواه أَبِو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَا الحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِحِرَابِهِمْ، دَخَلَ عُمَرُ فَأَهْوَى إِلَى الحَصَى فَحَصَبَهُمْ بِهَا، فَقَالَ: «دَعْهُمْ يَا عُمَرُ»"[2]، وفي رواية فَزَجَرَهُمْ عُمَرُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعْهُمْ أَمْنًا بَنِي أَرْفِدَةَ [3]» يَعْنِي مِنَ الأَمْنِ"[4].

نهى النبي ﷺ عمر بن الخطاب في زجره للأحباش الذين يلعبون في المسجد، وبين أن مثل هذا اللعب إنما هو أمن، لِما فيه من التدريب على مواجه العدو ومقارعته بالسلاح، قال النووي: "فيه جواز اللعب بالسلاح ونحوه من آلات الحرب في المسجد ويلتحق به ما في معناه من الأسباب المعينة على الجهاد"[5].

---

[1] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ حَجَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رقم الحديث (1218)، (ج2، ص886).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ اللَّهْوِ بِالحِرَابِ وَنَحْوِهَا، رقم الحديث (2901)، (ج4، ص38)، وحديث رقم(454–455)، و(987)، و(3529)، و(5236)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ صَلَاةِ الْعِيدَيْنِ، بَابُ الرُّخْصَةِ فِي اللَّعِبِ الَّذِي لَا مَعْصِيَةَ فِيهِ فِي أَيَّامِ الْعِيدِ، رقم الحديث (892–893)، (ج2، ص608).

[3] - **بنى أرفدة:** نسبهم إلى جدهم وكان يسمى أرفدة. ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج5، ص98).

[4] – البخاري، **صحيح البخاري**، أَبْوَابُ العِيدَيْنِ، بَابٌ: إِذَا فَاتَهُ العِيدُ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وَكَذَلِكَ النِّسَاءُ، وَمَنْ كَانَ فِي البُيُوتِ وَالقُرَى، رقم الحديث (988)، (ج2، ص23)، وحديث رقم (3530).

[5] – النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج6، ص184).

فإقرار النبي ﷺ للأحباش، وتركهم على ما كانوا عليه من التدريب بالسلاح في المسجد، بل النهي عن تزجيرهم ومنعهم من فعلهم هذا، أصبح منهجاً عملياً وسنّةَ مُتبعة، قال ابن بطال: واللعب بالحراب هو سنة؛ ليكون ذلك عدة للقاء العدو، وليتدرب الناس فيه"[1].

2. شجاعته ﷺ وتقدمه للحرب: ومثاله ما رواه أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ المَدِينَةِ لَيْلَةً، فَخَرَجُوا نَحْوَ الصَّوْتِ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ اسْتَبْرَأَ الخَبَرَ[2]، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ، وَفِي عُنُقِهِ السَّيْفُ، وَهُوَ يَقُولُ: «لَمْ تُرَاعُوا[3]، لَمْ تُرَاعُوا» ثُمَّ قَالَ: «وَجَدْنَاهُ بَحْرًا[4]»"[5].

على القائد أن يكون دائما في المقدمة حتى يقتدي الناس به، ويفعلون مثل فعله، ولا سيما في الحروب والمعارك، وهذا ما كان عليه النبي ﷺ، فشجاعته ﷺ عجلت في خروجه إلى العدو قبل الناس كلهم، فعلى هذا يُستحب للقائد تبشير الناس بعدم الخوف إذا ذهب لمواجهة العدو، وذلك ليكون لهم قدوة فيطبقون أفعاله [6].

المطلب الخامس: استخدام الوسائل التعليمية:

أولاً: مفهوم الوسائل التعليمية:

تعددت الأقوال حول مفهوم الوسائل التعليمية عند علماء التربية، وقد يكون أعم تعريف هو تعريف الدكتور زيتون، حيث قال: "هي مجموعة مواقف، وأجهزة، وأدوات، ومواد يستخدمها المعلم

---

[1] – ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج5، ص95).

[2] – **استبرأ الخبر**: أي حقق الخبر. العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج14، ص187).

[3] – **لم تراعوا**: أي لم يكن شيء يفزعكم، ولا حدث ما يروعكم. القاضي عياض، **إِكمَالُ المُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِمٍ**، (ج7، ص271).

[4] – **وجدناه بحراً**: أي كالبحر واسع الجري. العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج14، ص117).

[5] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ الحَمَائِلِ وَتَعْلِيقِ السَّيْفِ بِالعُنُقِ، رقم الحديث (2908)، (ج4، ص39)، وحديث رقم (2820)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الْفَضَائِلِ، بَابٌ فِي شَجَاعَةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَقَدُّمِهِ لِلْحَرْبِ، رقم الحديث (2307)، (ج4، ص1802).

[6] – **يُنظر**: النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج15، ص68).

ضمن إجراءات استراتيجيات التدريس لتحسين عملية التعليم والتعلم"[1]، وأما ما دلّت عليه السنة من الوسائل التعليمية فذلك في العديد من الأحاديث، ولكن التأصيل الحقيقي للوسائل التعليمية من السنة النبوية هو كون النبي ﷺ القدوة والمعلم الأول للمعلمين والمتعلمين والمربين في كل العصور.

ويُحمل هذا على زمن النبي ﷺ على الأدوات التي كانوا يمتلكونها، فالنبي ﷺ استخدم وسيلة الرسم على الأرض، والحصى، وذلك لإفهام الصحابة وإيصال الفكرة المرادة لهم، حيث من شأن استخدام هذه الأدوات تسهيل وصول الفكرة والمعلومة لدى الصحابة رضي الله عنهم.

ثانياً: أهمية الوسائل التعليميّة على عناصر العمليّة التعليميّة:

وينبغي الإشارة إلى أن الوسائل التعليمية لها أهمية وأثر كبير على المادة (عملية تلقي العلم)، والمعلم، والطالب كما ذكر علماء التربية[2]:

- أهميته للمادة: تساعد على توصيل المعلومات والمواقف والاتجاهات والمهارات المتضمنة في المادة التعليمية الى المتعلمين وتساعدهم على إدراك هذه المعلومات إدراكاً متقارباً وإن اختلفت المستويات، وتساعد على إبقاء المعلومات حية وذات صورة واضحة في ذهن المتعلم، وتبسيط المعلومات والأفكار وتوضيحها وتساعد الطلبة على القيام بأداء المهارات كما هو مطلوب منهم.

- أهميته للمعلم: تساعد على رفع درجة كفاية المعلم المهنية واستعداده، وتغير دور المعلم من ناقل للمعلومات وملقن الى دور المخطط والمنفذ والمقوم للتعلم، وتساعد المعلم على حسن عرض المادة وتقويمها والتحكم بها، وتساعد المعلم في إثارة الدافعية لدى الطلبة وذلك من خلال القيام بالنشاطات التعليمية لحل المشكلات أو اكتشاف الحقائق.

---

[1] – زيتون، الدكتور كمال عبد الحميد، **التدريس نماذجه ومهاراته**، عالم الكتب القاهرة، (ط/1، 2003م)، (ص 343).

[2] – **يُنظر**: البياتي، حسين عبيد جبر، **الوسائل التعليمية التعلّمية**، شبكة جامعة بابل (محاضرة مسجلة)، تاريخ النشر: 2014/2/4، http://www.uobabylon.edu.iq/uobcoleges/lecture.aspx?fid=13&depid=1&lcid=38643، وشريفة احمد القرني، **أثر استخدام الوسائل التعليمية التعلّمية على تحصيل الطالبات**، إشراف الدكتور خالد الجندي، (ص 11–12)، وزيتون، **التدريس نماذجه ومهاراته**، (ص 344_345).

- أهميته للطالب: تنمي في المتعلم حب الاستطلاع وترغبه في التعلم، وتقوي العلاقة بين المتعلم والمعلم، وبين المتعلمين أنفسهم، وتوسع مجال الخبرات التي يمر فيها الطالب، وتشجع الطالب على المشاركة والتفاعل، وتثير اهتمام المتعلم وتشوقه الى التعلم، مما يزيد من دافعتيه وقيامه بنشاطات تعلميه لحل المشكلات والقيام باكتشاف حقائق جديدة، وتسهم في علاج مشكلة الفروق الفردية.

وبتقدم الزمان واختلاف المكان اختلفت وسائل تلقى العلم وتعددت وأخذت تتوسع وتتطور بناء على التوسع العلمي والتقدم التكنولوجي، فالوسائل في وقتنا الحاضر أكثر مما كانت عليه سابقاً، فقديماً كانت تقتصر على ما يمتلكون وما يتوفر لديهم من إمكانيات منها مجالسة العلماء في المساجد أو في بيوتهم، أو السفر على الدواب لتعلم العلم، أما في إيامنا هذه ظهرت الجامعات والمدارس والمعاهد والتعليم الإلكتروني والتعليم عن بعد، وأصبح هنالك العديد من التسهيلات للتعليم من المنح والإمكانيات المادية المخصصة للجانب التعليمي من بعض الحكومات.

فاستخدم النبي ﷺ في بعض المواقف بعضُ الوسائل التعليمية لإيضاح العديد من الأمور بقصد التعليم، كالرسم، والحصى، حيث "ورد في السنة المطهرة أن الرسول لجأ في بعض المواقف التعليمية إلى استخدام الرسم في تعليم أصحابه رضي الله عنهم، لتوضيح بعض المعاني المجردة لهم... وهذه وسيلة تعليمية ناجحة، إذ من المسلمات لدى التربويين في الوقت الراهن أنه كلما زاد عدد الحواس التي تشترك في الموقف التعليمي، زادت فرص الإدراك والفهم، كما أن المتعلم يحتفظ بأثر التعليم فترة أطول"[1].

ثالثاً: أثر تطبيق الوسائل التعليميّة على المتعلّمين:

وقد استنتج الباحث من أحاديث المطلب وما يتعلّق بها، أهم الآثار التي تعود على نفوس المتعلّمين من تطبيق هذه الوسائل، وهي:

[1] – حسنه، عمر عبيد، **استخدام النبي صلى الله عليه وسلم الوسائل التعليمية**، موقع إسلام ويب، النشر (بلا)، (ط/بلا)، https://library.islamweb.net/newlibrary/display_umma.php?lang=&BabId=4&ChapterId=4&BookId=277&CatId=201&startno=0 .

1. دفع المتعلّم بإشراك جميع حواسه لفهم المعلومة، من خلال التركيز على كيفية استخدام الوسيلة من قِبل المعلّم.

2. وضوح المعاني والأفكار بيسر عند المتعلّمين.

3. ترتيب الأفكار، ومساعدة المتعلّمين على استخدام المهارات التعليمية من خلال مشاهدة توظيف المعلّم لهذه الأدوات والمواد في العملية التعليمية.

رابعاً: استخدام الوسائل التعليمية لِتعليم المتعلّمين في السُنَّة النَّبويَّة: وفيه:

1. استخدام الرسم في توصيف أجل الإنسان: ومثاله ما رواه عَبْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الوَسَطِ، وَقَالَ: " هَذَا الإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ – أَوْ: قَدْ أَحَاطَ بِهِ – وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ [1]، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ [2] هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا"[3].

دلَّ الحديث على استخدام النبي ﷺ وسيلة الرسم، بأن خطَّ خطاً مربعاً، وشعَّبَ منه خطوطاً أخرى، ووضح المقصود من هذهِ الخطوط وشبهها بأجل الإنسان وما يحيط به، فاستخدام النبي ﷺ لهذه الوسيلة إنما كان من باب إيصال فكرة معينة، ألا وهي الابتعاد عن كل الآفات والمغريات التي تؤدي إلى هلاك الإنسان، وفي هذا تشجيع منه ﷺ، وحثّ للصحابة خاصة، ولأمته من بعدهم عامة، على فعل الخير في كل خطواتهم وعدم التقصير والإهمال لعدم معرفة موعد الأجل ووقته، فبهذا تتحقق الاستقامة على حدود الله.

2. استخدام الحصباء للإجابة: ومثاله ما رواه أَبو سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: مَرَّ بِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: كَيْفَ سَمِعْتَ أَبَاكَ يَذْكُرُ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى

---

[1] – **الأعراض:** الآفات العارضة له. ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (ج11، ص237).

[2] – **نهشه:** أي أصابه وعبر بالنهش وهو لدغ ذات السم مبالغة في الإصابة والاهلاك. ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (ج11، ص237).

[3] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ السَّمَرِ فِي العِلْمِ، رقم الحديث (6417)، (ج8، ص89).

التَّقْوَى؟ قَالَ: قَالَ أَبِي: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْمَسْجِدَيْنِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى؟ قَالَ: فَأَخَذَ كَفًّا مِنْ حَصْبَاءَ، فَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ، ثُمَّ قَالَ: «هُوَ مَسْجِدُكُمْ هَذَا» لِمَسْجِدِ الْمَدِينَةِ، قَالَ: فَقُلْتُ: أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ أَبَاكَ هَكَذَا يَذْكُرُهُ"[1].

استخدم النبي ﷺ الحصى كوسيلة لإجابة الصحابة عن سؤالهم في تحديد المسجد الذي قصده النبي ﷺ، وهو الذي أُسس على التقوى، حتى ضرب النبي ﷺ بالحصى على الأرض؛ دلالة على أن المراد به المبالغة في الإيضاح لبيان أنه مسجد المدينة [2].

المطلب السادس: التعليم بلغة الإشارة في السُنَّة النَّبويَّة:

حرص النبي ﷺ في تعليم الصحابة على استخدام شتى الوسائل والأساليب لإيصال المعلومة لهم، ومن ذلك استخدام أطرافه الشريفة ﷺ، فهنا ستكشف لنا الأحاديث كيف كان يحلق ويضم بأصابعه تارة، ويشير إلى المشرق بيده تارة أخرى، ويشبك أصابع يديه وعلى هذا النحو، كي يوضح ما يقوم بشرحه ويسهل على جميع الحاضرين ممن حوله فهم ما يريد إيصاله وتعليمه لهم، وذلك كالآتي:

أولاً: مفهوم لغة الإشارة، وأثرها على المتعلّمين:

ويُقصد بلغة الإشارة: "هي عبارة عن رموز حركيّة بصريّة تستعمل بترتيب ونظام معين، تعتمد بشكل أساسي على استخدام اليدين في التعبير عن الأفكار"[3].

تُعرّف لغة الإشارة في وقتنا الحاضر باستخدامها مع الصمّ البكم فقط، بينما نجد أن النبي ﷺ استخدم هذه اللغة مع حركة أطرافه، للدلالة على شيء معين أراد منه تعليم الصحابة.

---

[1] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْمَسْجِدَ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى هُوَ مَسْجِدُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ، رقم الحديث (1398)، (ج2، ص1015).

[2] – **يُنظر:** النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج9، ص169).

[3] – الحمود، نورا، **تعريف لغة الإشارة**، مجلة رجيم، نشر في 2019/7/30، الرابط (https://www.rjeem.com).

أما أثر لغة الإشارة على المتعلّمين، من وجهة نظر الباحث استنتاجاً من أحاديث المطلب، فهي:

1. معرفة المتعلّمين مقدار أو حجم أو قصد ما يشير إليه المعلّم من خلال حركة أحد أطرافه.

2. لفت انتباه المتعلّمين إلى ما يريد تعليمهم إياه، بالإشارة إلى موضع ومكان الشيء المراد التركيز عليه للتعلّم.

3. تسهيل إيصال المعلومة عن الشرح والفعل في بعض المواقف التي بحاجة إلى الإشارة.

ثانياً: أهداف التعليم بالحركة والإشارة في السُنَّة النَّبويَّة، وأمثلتها:

1. **الإشارة لمعرفة قدر الدنيا وقيمتها:** ومثاله ما رواه مُسْتَوْرِد بن شداد الفهري رضي الله عنه، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ – وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَّابَةِ –فِي الْيَمِّ[1]، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ؟»، وقَيلَ: وَأَشَارَ إِسْمَاعِيلُ بِالإِبْهَامِ"[2].

أشار النبي ﷺ بأصبع السبابة أو الإبهام، لكي يلفت نظر الصحابة إلى حلقة أصبعه ﷺ، ليتأملوا ويتفكروا بما قصد من هذه الحركة، وهي بأن ما قدر الدنيا من الآخرة في المساحة والقدر والقلة في جنب الآخرة وكثرة خيرها [3].

2. **الدلالة على مقدار ما فُتح من ردمِ يأجوجَ ومأجوج:** ومثاله ما روته زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ: «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ» وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ»"[4].

---

[1] – **اليم:** البحر، وأصله اسم البحر الذي غرق فيه فرعون. القاضي عياض، **إِكمَالُ المُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِم**، (ج8، ص389).

[2] – مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَابُ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَبَيَانِ الْحَشْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رقم الحديث (2858)، (ج4، ص2193).

[3] – **يُنظر:** القاضي عياض، **إِكمَالُ المُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِم**، (ج8، ص390).

[4] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ قِصَّةِ يَأْجُوجَ، وَمَأْجُوجَ، رقم الحديث (3346)، (ج4، ص138)، وحديث رقم (3598)، وحديث رقم(7059)، وحديث رقم(7135)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَابُ اقْتِرَابِ الْفِتَنِ وَفَتْحِ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، رقم الحديث (2880)، (ج4، ص2207).

حلَّقَ النبي ﷺ في الحديث بإصبعيه الإبهام والذي يليه، للدلالة على خطر اقتراب يأجوج ومأجوج، لأن حركة أصبعيه هذه دلّت على مقدار الفتحة في ردم يأجوج ومأجوج، فالمراد هنا التقريب بالتمثيل لأذهان الصحابة [1].

3. **الدلالة على قرب الساعة:** ومثاله ما رواه سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: بِإِصْبَعَيْهِ هَكَذَا، بِالوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الإِبْهَامَ «بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»"[2].

شبه النبي ﷺ في الحديث، بحركة إصبعيه ما بقي من الدنيا إلى قيام الساعة، مع ما انقضى بقدر ما بين السبابة والوسطى من التفاوت [3]، وقال ابن بطال: "وقد تكون الإشارة في كثير من أبواب الفقه أقوى من الكلام مثل قوله، عليه السلام: (بعثت أنا والساعة كهاتين)، ومتى كان يبلغ البيان إلى ما بلغت إليه الإشارة"[4].

4. **عِظم تربية البنات والإحسان إليهن:** ومثاله ما رواه أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ» وَضَمَّ أَصَابِعَهُ"[5].

بيّنَ النبي ﷺ في الحديث عِظم تربية البنات والإحسان إليهن، حيث أشار بأصابعه ليعلم الصحابة مدى الثواب والآجر لمن فعل ذلك، فإشارته هذه أفادت أن من فعل ذلك استحق مرافقة ﷺ في الجنة، أو دخوله معه إياها في أول من يدخل [6].

---

[1] – **يُنظر:** النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج18، ص3).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ {يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا} [النبأ: 18]: زُمَرًا، رقم الحديث (4936)، (ج6، ص166)، وحديث رقم (6504)، وحديث رقم(6505)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَابُ قُرْبِ السَّاعَةِ، رقم الحديث (2951)، (ج4، ص2268).

[3] – **يُنظر:** العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج5، ص53).

[4] – ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج7، ص460).

[5] – مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ فَضْلِ الْإِحْسَانِ إِلَى الْبَنَاتِ، رقم الحديث (2631)، (ج4، ص2027).

[6] – **يُنظر:** القاضي عياض، **إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم**، (ج8، ص111).

5. **كفالة اليتيم:** ومثاله ما رواه سَهْل بن سعد رضي الله عنه، قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَأَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا» وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا"[1].

أشار النبي ﷺ بإصبعيه السبابة والوسطى ليعلّم الصحابة جزاء كفالة اليتيم، فحركة أصبعيه فيها ترغيب لهم بالحرص على كفالة اليتيم، حيث يبيّن بذلك مدى قرب من فعل هذا من منزلته ﷺ في الجنة.

6. **الإشارة لمعرفة القدر المسموح من الحرير:** ومثاله ما رواه أَبو عُثْمَانَ النهدي، قَالَ: كَتَبَ إِلَيْنَا عُمَرُ، وَنَحْنُ بِأَذْرَبِيجَانَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «نَهَى عَنْ لُبْسِ الحَرِيرِ إِلَّا هَكَذَا، وَصَفَّ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ إِصْبَعَيْهِ، وَرَفَعَ زُهَيْرٌ الوُسْطَى وَالسَّبَّابَةَ»"[2].

نهى النبي صلى الله علهي وسلم عن لبس الحرير للرجال، إلا أنه هنا أشار بإصبعيه إلى قدر بسيط يسمع فيه من الحرير للرجال، فرفع إصبعيه أغلم الصحابة أنه سُمح لهم من الحرير مقدار إشارته، وهو كما قال العلماء ما جوّز فيه من التطريف والتطريز [3].

7. **وحدة المؤمنين وترابطهم:** ومثاله ما رواه أَبو مُوسَى الأشعري رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ"[4].

أشار النبي ﷺ في الحديث بأن المؤمن للمؤمن كالبنيان، أي أنه ينبغي للمسلم أن يكون عوناً وسنداً لأخيه المسلم تماماً كالحائط الواحد المتماسك المترابط الذي يشد بعضه، ولا توجد حركة تظهر هذا الترابط الذي يجب أن يكون بين المسلمين المؤمنين، أفضلُ وأدقُ وصفاً من هذه التي فعلها النبي ﷺ، وهي التشبيك بين أصابع اليد اليمنى مع اليسرى، فكأنها تصبح يداً واحدة يصعب

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الطَّلاَقِ، بَابُ اللِّعَانِ، رقم الحديث (5304)، (ج7، ص53)، وحديث رقم (6005)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، بَابُ الْإِحْسَانِ إِلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ وَالْيَتِيمِ، رقم الحديث (2983)، (ج4، ص2287).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ اللِّبَاسِ، بَابُ لُبْسِ الحَرِيرِ وَافْتِرَاشِهِ لِلرِّجَالِ، وَقَدْرِ مَا يَجُوزُ مِنْهُ، رقم الحديث (5829)، (ج7، ص149).

[3] – **يُنظر:** القسطلاني، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، (ج8، ص437).

[4] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الصَّلاَةِ، بَابُ تَشْبِيكِ الأَصَابِعِ فِي المَسْجِدِ وَغَيْرِهِ، رقم الحديث (481)، (ج1، ص103).

تفكيكها، فلا شك أن الحضور من الصحابة رضوان الله عليهم فهموا المدى الذي يجب أن يكونوا عليه من الترابط مع بعضهم وسائر المسلمين من هذه الحركة المعبّرة.

8. **تعليم الدعاء:** ومثاله ما رواه أَبُو مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ أَقُولُ حِينَ أَسْأَلُ رَبِّي؟ قَالَ: " قُلْ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي «وَيَجْمَعُ أَصَابِعَهُ إِلَّا الْإِبْهَامَ» فَإِنَّ هَؤُلَاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ "[1].

جاء رجل إلى النبي ﷺ يسأله كيف يدعو الله ويسأله من فضله، فأخذ النبي ﷺ يعلمه ما يقول في دعائه ويعد على أصابعه، وفي كل كلمة من الدعاء يضم النبي ﷺ أحد أصابع هذا الرجل، حتى فرغ من دعائه كان قد ضم أصابعه ما عدا الإبهام، قال الأرمي: "(ويجمع) الرسول (أصابعه) الأربع أي قال له رسول الله ﷺ ذلك والحال أنه ﷺ قد يجمع ويقبض أصبعًا من أصابعه مع كل واحدة من الكلمات الأربع كأنه يعدها (إلا الإبهام) فإنه تركها مبسوطة أي قل هذه الكلمات الأربع عند دعائك"[2].

9. **تعليم وقت الإفطار في رمضان:** ومثاله ما رواه ابْنُ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَلَمَّا غَابَتِ الشَّمْسُ قَالَ لِرَجُلٍ: «انْزِلْ فَاجْدَحْ [3] لَنَا» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَمْسَيْتَ، قَالَ: «انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا» قَالَ: إِنَّ عَلَيْنَا نَهَارًا، فَنَزَلَ فَجَدَحَ لَهُ فَشَرِبَ، ثُمَّ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ قَدْ أَقْبَلَ مِنْ هَا هُنَا – وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ – فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ»"[4].

أشار النبي ﷺ بيده إلى المشرق ليعلّم الصحابة أنه إذا أقبل الليل من الجهة التي أشار إليها فقد دخل وقت الإفطار، فالإفطار في وقتهم أصبح مقروناً بإشارته ﷺ إلى جهة المشرق.

---

[1] – مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ فَضْلِ الْإِحْسَانِ إِلَى الْبَنَاتِ، رقم الحديث (2697)، (ج4، ص2073).

[2] – الأُرَمي، **الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم**، (ج25، ص59).

[3] – **فاجدح:** وهو خلط الشيء بغيره والمراد هنا خلط السويق بالماء وتحريكه حتى يستوي. النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج7، ص209).

[4] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَاب الصِّيَامِ، بَابُ بَيَانِ وَقْتِ انْقِضَاءِ الصَّوْمِ وَخُرُوجِ النَّهَارِ، رقم الحديث (1101)، (ج2، ص773).

10. **الإشارة إلى الخوارج:** ومثاله ما رواه سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ رضي الله عنه، قال سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ الْخَوَارِجَ، فَقَالَ: سَمِعْتُهُ وَأَشَارَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ «قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ بِأَلْسِنَتِهِمْ لَا يَعْدُو تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»"[1].

استخدم النبي ﷺ يده في الإشارة إلى جهة المشرق، للدلالة على القوم المقصود من حديثه، والذي جاء في رواية البخاري أنه أشار بيده نحو العراق، بلفظ: "وَأَهْوَى بِيَدِهِ قِبَلَ العِرَاقِ"[2]، فالصحابة فهموا المُراد والمقصود من حديثه ﷺ بعد الإشارة بيده لكي تُأكّد حركته على مفهوم كلامه.

11. **معرفة عدد أيام رمضان:** ومثاله ما رواه ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَ رَمَضَانَ، فَضَرَبَ بِيَدَيْهِ فَقَالَ: «الشَّهْرُ هَكَذَا، وَهَكَذَا، وَهَكَذَا – ثُمَّ عَقَدَ إِبْهَامَهُ فِي الثَّالِثَةِ– فَصُومُوا لِرُؤْيَتِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ أُغْمِيَ عَلَيْكُمْ فَاقْدِرُوا لَهُ ثَلَاثِينَ»[3].

ذكر النبي ﷺ شهر رمضان، ليبين للصحابة عدد أيام الصيام في هذا الشهر الفضيل، فأشار بيديه ثلاث مرات وفي الثالثة عقد إبهامه أي "قبضها ولم يبسطها مع الأخرى أي قبض إحدى إبهاميه (في) المرة (الثالثة) إشارة إلى أنَّه يكون الشهر تسعًا وعشرين ومعنى (هكذا) يعني مد يديه جميعًا مشيرًا بالعشر أصابع"[4].

فبقبض أصبعه ﷺ عَلِمَ الصحابة بأن الصيام إما تسعة وعشرين يوماً، أو عدم الرؤية وإتمام الثلاثين.

ينبغي على المعلّمين والمدرّسين الاقتداء بالنبي ﷺ في كل الوسائل التعليمية التي كان يستخدمها مع الصحابة لإفهامهم وتعليمهم، فكما عَلّمنا أن حركة أصابعه المختلفة ﷺ تندرج تحت

---

[1] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابُ الْخَوَارِجُ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، رقم الحديث (1068)، (ج2، ص750).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ اسْتِتَابَةِ المُرْتَدِّينَ وَالمُعَانِدِينَ وَقِتَالِهِمْ، بَابُ مَنْ تَرَكَ قِتَالَ الخَوَارِجِ لِلتَّأَلُّفِ، وَأَنْ لاَ يَنْفِرَ النَّاسُ عَنْهُ، رقم الحديث (6934)، (ج99، ص17).

[3] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَاب الصِّيَامِ، بَابُ وُجُوبِ صَوْمِ رَمَضَانَ لِرُؤْيَةِ الْهِلَالِ، وَالْفِطْرِ لِرُؤْيَةِ الْهِلَالِ، وَأَنَّهُ إِذَا غُمَّ فِي أَوَّلِهِ أَوْ آخِرِهِ أُكْمِلَتْ عِدَّةُ الشَّهْرِ ثَلَاثِينَ يَوْمًا، رقم الحديث (1080)، (ج2، ص759).

[4] – الأُبَّي، **الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم**، (ج12، ص332).

مفهوم العملية التعليمية، وكانت لغرض التوضيح لبعض الأمور التي لا تُفهم بالكلام وحده، بل لابد من اختلاط الحركات الجسمية كحركة اليد والأصابع ، والإشارة إلى بعض الأماكن، حتى يسهل التعليم، قال ابن بطال: "ومتى كان يبلغ البيان إلى ما بلغت إليه الإشارة، وفيه إجماع العقول على أن العيان أقوى من الخبر دليل أن الإشارة قد تكون في بعض المواضع أقوى من الكلام"[1].

المطلب السابع: أسلوب التعليم بالقصّة في السُنَّة النَّبويَّة:

يُعد أسلوب التعليم بالقصة من أكثر الأساليب استخداماً؛ لِتأثيرها الكبير على المتعلّمين، فلا يمكن تصور أيّ وسيلة أخرى تقوم مقامها وتعطي التأثير الذي تعطيه القصة، لأنها تناسب جميع المراحل العمرية وفئات المجتمع، لأن "الإسلام يدرك هذا الميل الفطري نحو القصة، ويدرك ما لها من تأثير ساحر على القلوب، فيستخدمها لتكون وسيلة من وسائل التربية والتقويم"[2].

والحق فإن القرآن صاغ لنا أهداف القصّة، وفصّلَ في ذلك، وأساسها هو التفكّر لأخذ العبرة والعظة، فكيف لا وما يقارب ثلث القرآن الكريم قصص قرآني، منها: قوله تعالى: ﴿ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الأعراف: 176، وقوله: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾يوسف: 111.

أولاً: مفهوم القصّة، والفرق بين القصص النبويّة والقصص البشريّة:

تُعرف القصّة عند علماء التربية، على أنها "حادثة وقعت، لها بداية ونهاية، مرتبطة بأسباب ونتائج، تتخللها دروس وعبر، يهفو إليها السمع، وينجذب إليها الذهن، ويتحرك لها الفؤاد، ويتأثر منها الوجدان"[3].

وأما الفرق بين القصص النبوية والقصص البشرية: تعد القصص النبوية وحيٌ من الله عزّ وجلّ، أوحى معناه للنبي ﷺ، فهي تشريع إلهي، بينما القصص البشرية المتمثلة بالقصص الأدبية الفنية

---

[1] – ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج7، ص460).

[2] – قطب، محمد، **منهج التربية الإسلامية**، دار الشروق–القاهرة، (ط/11) 1408هـ–1988م، (ج1، ص193).

[3] – الحدري، خليل بن عبد الله بن عبد الرحمن، **التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها**، مكتبة الملك فهد الوطنية، جامعة أم القرى، (ط/1)1418هـ، (ص248).

فهي من تأليف البشر، اختمرت حلقتها في الذهن، فسرح بها الخيال، وتأثرت بحبك فصولها العواطف [1].

فالقصص النبوية هي "امتداد وبيان للقصص القرآني، لأن كلاهما يؤدي الغرض نفسه الغرض الديني التربوي، وعلى هذا جاء القصص النبوي كلون من البيان وأسلوب من أساليب الأداء، فمقاصده هي التي تملي الأسلوب والطريقة كما هو شأن القصة القرآنية"[2].

وينبغي الإشارة إلى أن أبرز ما يُميّز أسلوب القصة الإسلامية–سواء القرآنية أو النبوية– أنها قصص واقعية لا خيالية، وأنها قصصٌ توجيهيةٌ إيجابيةٌ يمكن تسخيرها لتحقيق أهداف وأغراض التربية الإسلامية في كل زمانٍ ومكان، بكلِ يُسرٍ وسهولة [3]، على عكس القصص البشرية يعتريها النقص، والتي تدخلها العواطف والخيال.

ثانياً: نماذج من القصص النبوي الذي ساقه النبي ﷺ كوسيلة تعليمية:

سرد النبي ﷺ القِصَصَ لإصحابه بأسلوب يُصعب مجاراته وإتقانه، حيث كثرت وتعددت القصص في المنهج النبوي، ولقيت من الاهتمام الكثير من العلماء، لتعدد أهدافها ومقاصدها، وذلك كآلاتي:

1. **عدم القنوط من رحمة الله:** ومثاله ما رواه أَبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيّ ﷺ: "أَنَّ رَجُلًا قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَجَعَلَ يَسْأَلُ هَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَأَتَى رَاهِبًا، فَسَأَلَهُ فَقَالَ: لَيْسَتْ لَكَ تَوْبَةٌ، فَقَتَلَ الرَّاهِبَ، ثُمَّ جَعَلَ يَسْأَلُ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَى قَرْيَةٍ فِيهَا قَوْمٌ صَالِحُونَ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ فَنَأَى بِصَدْرِهِ، ثُمَّ مَاتَ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ، وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَكَانَ إِلَى الْقَرْيَةِ الصَّالِحَةِ أَقْرَبَ مِنْهَا بِشِبْرٍ، فَجُعِلَ مِنْ أَهْلِهَا"[4].

---

[1] – **يُنظر:** المرجع السابق، (ص247).

[2] – سهام سديرة، **بنية الزمان والمكان في قصص الحديث النبوي الشريف**، رسالة ماجستير في الأدب العربي، إشراف الدكتور رابح دوب، في جامعة منتوري قسنطينة في الجزائر، سنة 2006م.

[3] – **يُنظر: د.** أبو عرّاد، **مقدمة في التربية الإسلامية**، (ص 80).

[4] – مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب التَّوْبَةِ، بَابُ قَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاتِلِ وَإِنْ كَثُرَ قَتْلُهُ، رقم الحديث (2766)، (ج4، ص2119)، والحديث بطوله بنفس الباب، والبخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ حَدِيثِ الغَارِ، رقم الحديث (3470)، (ج4، ص174).

لنا أن نتخيل حال الصحابة حول النبي ﷺ وهو يسرد لهم القصة، وينتظرون تتابع المقاطع منها الواحد تلو الآخر، ليعلموا ما مصير هذا الرجل الذي قتل مائة نفس، ثم الوصول إلى نهاية القصة لأخذ العبرة الهدف من إيرادها، والمتمثل بعدم القنوط من رحمة الله، لأن التوبة الصادقة تكفّر الكبائر كلها مهما بلغت، بما في ذلك القتل، فالله تعالى قبل توبة هذا الرجل الذي قتل مائة نفس، مع الأخذ بعين الاعتبار الأحكام المرتبة على القاتل في شريعتنا.

2. **الصبر والثبات على الدين والتضحية من أجله:** ومثاله ما رواه صُهَيْبٌ رضي الله عنه، بطوله في صحيح مسلم، عن النبي ﷺ في قصة أصحاب الأخدود، من قتل الغلام، وإيمان الناس برب العالمين، وإشعال الملك للنيران، وقوله: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ [1] أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ"[2].

جاءت روعة هذه القصة بالأسلوب الذي حُبكت به، فهو "سهلٌ مسلسلُ الأفكار، وهذا أسلوبه ﷺ، فالقصة أسرت القلوب وحبست الأنفاس وفتحت العقول، وامتزجت بأرواح القارئين والمدعوين، فوجدت فيها مكاناً تربعت عليه وآتت أكلها، فهكذا القصة الهادفة تفتح آذاناً صمّاً، وقلوباً ران عليها الجهل، وعقولاً تلبدت، إن كان صاحبها صادقاً في دعوته، قادراً على التعبير عنها، وكان المدعوُّ فيمن رحمه الله تعالى"[3].

فما كان من هذه القصة إلا وسيلة لبيان الدروس التي تناسب الجو الذي نزلت فيه، وهو العهد المكي من الصبر والثبات وعدم الرجوع عن دين الله، والتضحية بالنفس في سبيل نشر الدعوة والدين، والتوكل على الله حتى ونحن بين يدي القاتل والظالم[4].

---

[1] – **فتقاعست:** أي توقفت ولزمت موضعها وكرهت الدخول في النار. محمد فؤاد عبد الباقي، **في شرحه وتعليقه** على صحيح مسلم في الهامش، بنفس صفحة الحديث.

[2] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، بَابُ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ وَالسَّاحِرِ وَالرَّاهِبِ وَالْغُلَامِ، رقم الحديث (3005)، (ج4، ص2299).

[3] – د. عثمان قدري مكانسي، **من أساليب التربية النبوية**، (ص 12).

[4] – **يُنظر:** الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (ت: 1393هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، (ط/3) 1400هـ–1980م، (ج9، ص143).

3. **التوجه إلى الله بالأعمال الصالحة:** ومثاله ما رواه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " انْطَلَقَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوْا المَبِيتَ إِلَى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لاَ أَغْبِقُ[1] قَبْلَهُمَا أَهْلًا،...، فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لاَ يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ "، وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ، كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، ...، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، فقال مثل الأول...، " وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ، فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فرجع فأعطاه كل ماله، ...، وقال: اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ"[2].

فالقصة بما فيها من الدروس، والعبر، إنما كانت أسلوباً لتعليم الصحابة ومن بعدهم كيف يكون صدق التوجه إلى الله بالأعمال الصالحة، كما وأنها وسيلة لتنبيه الصحابة أن هذا لبيان مجمل ما جاء في القرآن، بحيث تفاعلت النفوس وتاقت للأعمال الصالحة، حتى يحوزوا فضلها خاصة فضيلة بر الوالدين، وفضيلة العفة والاستعفاف والابتعاد عن الزنا، وفضْيلة الأمانة وإصلاح العمل للغَير.

4. **بيان عاقبة الصدق، وعاقبة الكذب:** ومثاله ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: "إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى، فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الْأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ –قَالَ: فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ

---

[1] – **أغبق:** والغبوق شرب الغشي. ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (ج1، ص161).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الإِجَارَةِ، بَابُ مَنِ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَتَرَكَ الأَجِيرُ أَجْرَهُ، فَعَمِلَ فِيهِ المُسْتَأْجِرُ فَزَادَ، أَوْ مَنْ عَمِلَ فِي مَالِ غَيْرِهِ، فَاسْتَفْضَلَ، رقم الحديث (2272)، (ج3، ص91).

لَكَ فِيهَا، وكذا الأقرع، أُعطي من الشعر الحسن والمال...، وكذا الأعمى رُد عليه بصره، وأُعطي من المال...، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي...، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ؟ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ، وكذا الأقرع...، قَالَ: وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ...، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَيْئًا أَخَذْتَهُ لِلَّهِ، فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رُضِيَ عَنْكَ وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ"[1].

أراد النبي ﷺ بهذا الأسلوب في القصة أن تكون وسيلة لتعليم الصحابة رضون الله عليهم أهم العبر والدروس، وذلك بغرس الصدق وبيان عاقبته في نفوسهم، وكذا الكذب وبيان ما يترتب عليه من العواقب الوخيمة والخسارة في الدنيا والأخرة، حيثُ بيّنَ في القصة حال الحريص على الدنيا الذي يبخل بنعم الله عليه، ويحرمها لغيره، وكيف أن عاقبته هي التعرض لسخط الله وعقابه، وفي المقابل بيّنَ حال المؤمن الشاكر لنعم الله، الذي ينال رضوان الله.

المطلب الثامن: استخدام أسلوب الترغيب والترهيب في التعليم في السُنَّة النَّبويَّة:

يُعد أسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب التي فطر الله الناس عليها، فالرغبة في كل ما يسرها وينفعها، والرهبة من كل ما يضرها ويؤذيها، فالله الخالق هو أعلم بهذه النفس وكيف يمكن تربيتها، ومن ضمن تربية هذه النفس جاء الترغيب والترهيب، حيث أنزل الله في كتابه وسنة نبيه هذا الأسلوب التربوي والتعليمي الأمثل الذي يتعامل مع هذه النفس المفطورة على السعادة البالغة حتى تقطف ثمرة عملها، وتجني ثواب جهدها، ومفطورة أيضاً على الخوف والفزع مما يهدر جهدها، أو يقلق راحتها في عاجل أمرها أو آجله [2].

---

[1] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، (بلا باب)، رقم الحديث (2964)، (ج4، ص2275)، والبخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، رقم الحديث (3464)، (ج4، ص171).

[2] – **يُنظر:** الحدري، **التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها**، (ص 264)، **ود.** أبو عرّاد، **مقدمة في التربية الإسلامية**، (ص 76).

والمتأمل بالأحاديث التي ذكر فيها أسلوب الترغيب والترهيب، يجد أن أحاديث الترهيب، إنما تعود لمقصد تزكية النفس وتقويم اعوجاجها، فالنبي ﷺ من منهجه ذلك، لا لتخويف الناس وترويعهم، بل لخوفه وحرصه عليهم من الوقوع في المعاصي ومخالفة أمر الله، وبذلك يستحقون عقابه، فهذه الرهبة تدفع العبد إلى الاستقامة وتصحيح الأخطاء لمحي الذنوب وغفرانها.

أولاً: الترغيب في السُنَّة النَّبويَّة: وفيه:

أ- مفهوم الترغيب:

يُعرّف الترغيب على أنه: "وعد يصحبه تحبيب وإغراء، بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة، مؤكدة، خيرة، خالصة من الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح، أو الامتناع عن لذة ضارة أو عمل سيئ ابتغاء مرضاة الله، وذلك رحمة من الله لعباده"[1].

ب- أهداف الترغيب في السُنَّة النَّبويَّة، وأمثلته:

1. **محبة الله تعالى:** ومثاله ما رواه أَبِو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ"[2].

يدل قوله صلى الله عليه: (إذا أحب الله العبد)، على ثواب من حرص على تحصيل محبة الله من الأعمال الصالحة، فهذه وسيلة من النبي ﷺ لتعليم الصحابة وحثهم على الأعمال الصالحة وما يقرب إليها، وذلك أن "محبة الله للعبد الصالح الذي يجمع في عمله بين الإخلاص لله سبحانه، وبين المتابعة لرسوله ﷺ، إنما كان هذا ثواباً عاجلاً في الدنيا، يستدل عليه بمحبة الناس، والقبول الذي يجعله الله للعبد الصالح عند أهل الأرض، والذي هو نتيجة حتمية للعبادة الصحيحة، التي عليها شرطٌ للعبادة، الإخلاص لله، والمتابعة لرسوله ﷺ"[3].

---

[1] – النحلاوي، **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع**، (ص230).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ، بَابُ ذِكْرِ المَلاَئِكَةِ، رقم الحديث (3209)، (ج4، ص111)، وحديث رقم (6040)، وحديث رقم (7485)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا حَبَّبَهُ لِعِبَادِهِ، رقم الحديث (2637)، (ج4، ص2030).

[3] – الحدري، **التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها**، (ص 267).

وما رواه أَبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي»"[1].

بيّنَ النبي ﷺ في الحديث الرحمات الإلهية، بقوله ﷺ أن الله عزّ وجلّ يوم القيامة ينادي المتحابين بطاعته وعظمته، المداومين على فرائضه الذين يفعلون ما يأمر ويجتنبون عمّا نهى، فهؤلاء يظلهم الله بظله، وقيل ظل الله هو ظل عرشه، وقيل هو ستره، وقيل الراحة والنعيم [2]، وفي هذا ترغيب منه ﷺ على الاجتماع على محبة الله، وأنها سببٌ في دخول ظل الرحمن يوم القيامة.

2. **التقرّب إلى الله بالفروض والنوافل:** ومثاله ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا [3] فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ"[4].

في بداية الحديث ترهيب من النبي ﷺ لمن يعادي الأولياء الذين يواظبون على عبادتهم، والتشديد في التحذير من ذلك، وأن من فعل ذلك فقد استحق إعلان الحرب من الله ورسوله عليه، ثم أتبعه بأسلوب الترغيب الذي قصد به تعليم الصحابة بالمواظبة على الفروض والواجبات التي فرض الله، والنوافل والسنن من الأعمال، مع بيان أن هذه الأمور هي التي يستحق عليها العبد نيل محبة الله ورضوانه، قال ابن بطال: "وفي الحديث أن التقرب إلى الله بالنوافل حتى تستحق المحبة منه تعالى لا يكون ذلك إلا بغاية التواضع والتذلل له، وأن النوافل إنما يزكو ثوابها عند الله لمن حافظ

---

[1] – مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابٌ فِي فَضْلِ الْحُبِّ فِي اللهِ، رقم الحديث (2566)، (ج4، ص1988).

[2] – **يُنظر:** القاضي عياض، **إكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم**، (ج8، ص35)، والنووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج16، ص123).

[3] – **وليا:** المراد بولي الله العالم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته. ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (ج11، ص342).

[4] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ التَّوَاضُعِ، رقم الحديث (6502)، (ج8، ص105).

على فرائضه وأداها فهو بذلك لا يحرك جارحة من جوارحه إلا في الله ولله، فجوارحه كلها تعمل بالحق، فمن كان كذلك لم تُردّ له دعوة"[1].

3. **الترغيب بالتبشير بالجنة:** ومثاله ما رواه جَابِرُ بْنُ سَمُرَةَ رضي الله عنه، قَالَ صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى ابْنِ الدَّحْدَاحِ: ثُمَّ أُتِيَ بِفَرَسٍ عُرْيٍ[2] فَعَقَلَهُ رَجُلٌ[3] فَرَكِبَهُ، فَجَعَلَ يَتَوَقَّصُ[4] بِهِ، وَنَحْنُ نَتَّبِعُهُ، نَسْعَى خَلْفَهُ، قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كَمْ مِنْ عِذْقٍ مُعَلَّقٍ[5] –أَوْ مُدَلًّى– فِي الْجَنَّةِ لِابْنِ الدَّحْدَاحِ»"[6].

في الحديث أن النبي ﷺ ذكر الخير الكثير الذي ينتظر ابن الدحداح في الجنة، والسبب في ذلك: "أن يتيما خاصم أبا لبابة في نخلة، فبكى الغلام، فقال النبي ﷺ له أعطه إياها ولك بها عذق في الجنة فقال لا، فسمع بذلك أبو الدحداح، فاشتراها من أبي لبابة بحديقة له، ثم قال للنبي ﷺ أَلِيَ بها عذق إن أعطيتها اليتيم، قال نعم فقال النبي ﷺ كم من عذق معلق في الجنة لأبي الدحداح"[7].

ففضائل الأعمال والأقوال ثوابها في الآخرة، حيث كان ﷺ يرغّب بها ويحث عليه، مع بيان فضائلها أكثر من الأمور الدنيوية، فيستغل المواقف المناسبة التي تحصل فيها مثل هذه الأحداث، لكي يعلّم الصحابة المقصد مما هو مناسب من هذه المواقف، تماماً مثل حدث ابن الدحداح هنا، وهذا من شأنه أن يجعل قلوب الصحابة تتلهف وتتنافس لفعل الخير في الدنيا لتنال الآخرة.

4. **فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة:** ومثاله ما رواه عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي عَمْرَةَ، قَالَ: دَخَلَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رضي الله عنه، الْمَسْجِدَ بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، فَقَعَدَ وَحْدَهُ، فَقَعَدْتُ إِلَيْهِ

---

[1] – ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج10، ص212).

[2] – **فرسٍ عري:** أي بفرس عري لا سراج عليه ولا جل ولا برذعة. الأُرَمي، **الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم**، (ج11، ص246).

[3] – **فعقله رجل:** معناه أمسكه له وحبسه. القاضي عياض، **إِكمَالُ المُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِم**، (ج3، ص432).

[4] – **يتوقَّصُ به:** ينزو به ويقارب الخطو. القاضي عياض، **إِكمَالُ المُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِم**، (ج3، ص432).

[5] – **العِذْق:** بكسر العين: العرجون، وبفتحها: النخلة. القاضي عياض، **إِكمَالُ المُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِم**، (ج3، ص433).

[6] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ رُكُوبِ الْمُصَلِّي عَلَى الْجَنَازَةِ إِذَا انْصَرَفَ، رقم الحديث (965)، (ج2، ص665).

[7] – النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج7، ص33).

فَقَالَ، يَا ابْنَ أَخِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ»"[1].

حرص الصحابة رضوان الله عليهم على إخبار بعضهم البعض بما كان النبي ﷺ يرغّب به ويحث عليه، وهنا كان الترغيب والحث على صلاة الجماعة في الفجر والعشاء لما فيهما من صعوبة على غير المؤمن، فثواب وأجر صلاة الجماعة مذكور في عدة أحاديث ولكنه هنا خص العشاء والفجر، لأن أدائهما في جماعة يكتب أجران، أجر الجماعة وأجر قيام الليل، قال القاضي عياض: "إذ لو صلى ذلك في جماعة لحصل له فضلها وفضل القيام ذلك عليه"[2].

ثانياً: الترهيب في السُنَّة النَّبويَّة: وفيه :

أ- مفهوم الترهيب:

ويُعرف الترهيب على أنه: "وعيد، وتهديد بعقوله تترتب على اقتراف إثم، أو ذنب مما نهى الله عنه أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به، أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده، وإظهار صفة من صفات الجبروت، والعظمة الإلهية، ليكونوا دائما على حذر من ارتكاب الهفوات والمعاصي"[3].

ب- أهداف الترهيب في السُنَّة النَّبويَّة، وأمثلته:

1. **التحذير من الوقوع ضمن الأصناف الثلاثة:** ومثاله ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، وَهَذَا حَدِيثُ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " ثَلَاثٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالْفَلَاةِ [4] يَمْنَعُهُ مِنَ ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ فَحَلَفَ لَهُ بِاللهِ لَأَخَذَهَا بِكَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ وَهُوَ

---

[1] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَابُ فَضْلِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ وَالصُّبْحِ فِي جَمَاعَةٍ، رقم الحديث (656)، (ج1، ص454).

[2] – القاضي عياض، **إكمَالُ المُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِم**، (ج2، ص629).

[3] – النحلاوي، **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع**، (ص231).

[4] – **الفَلاَةُ:** القَفر، وهذا هو الماءُ الذي قد نَهَى النبيُّ –صلى الله عليه وسلم –عن منعه. القرطبي، **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، (ج1، ص306).

عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَى، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ"[1].

حذر النبي ﷺ المسلمين وأثار الرهبة في قلوبهم من أن يكونوا من الأصناف الثلاثة من الناس من الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذابٌ أليم، فإذا كان عدم النظر وعدم الكلام عذاب، فكيف الوعيد بالعذاب إذا اجتمع مع هذه الصفات والعياذ بالله، فذكر النبي ﷺ هذه الأصناف التي في الحديث، وغلّظ في التحريم وشدد في التقبيح لكي ينتهي ويمتنع كل من أرد أن يفعل أحد هذه الأمور.

فاستخدام النبي ﷺ أسلوب الترهيب إنما من باب النصح لأمته، والخوف عليها من عذاب الله، فهو أسلوبٌ يجعل النفس في رهبةٍ وخوفٍ من عذاب الله، ويدفعها للإيجابية وهي الاستقامة على شرعه عزّ وجلّ بفعل أوامره واجتناب نواهيه ومحرماته.

2. **الترهيب بترك صلاتي الفجر والعشاء في جماعة:** ومثاله ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ، وَصَلَاةُ الْفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا [2]، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ، فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ»"[3].

اتبع النبي ﷺ أسلوب الترهيب في الحديث؛ لكي يحذر الصحابة من عدم التثاقل والكسل عن أداء صلاتي الفجر والعشاء في جماعة لِعظيم ثوابهما، وما يترتب عليهما من أجر، كما وأنه

---

[1] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ بَيَانِ غِلَظِ تَحْرِيمِ إِسْبَالِ الْإِزَارِ، وَالْمَنِّ بِالْعَطِيَّةِ، وَتَنْفِيقِ السِّلْعَةِ بِالْحَلِفِ، وَبَيَانِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، رقم الحديث (108)، (ج1، ص103)، والبخاري، **صحيح البخاري**، كِتَاب المُسَاقَاةِ، بَابُ إِثْمِ مَنْ مَنَعَ ابْنَ السَّبِيلِ مِنَ المَاءِ، رقم الحديث (2358)، (ج3، ص110)، وحديث رقم (2672)، وحديث رقم (7212).

[2] – **حبواً:** حبى الصبي إذا مشى على أربع. وقيل: إذا مشى على يديه أو ركبتيه أو أسته. العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج5، ص125).

[3] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَابُ فَضْلِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ، وَبَيَانِ التَّشْدِيدِ فِي التَّخَلُّفِ عَنْهَا، رقم الحديث (651)، (ج1، ص451)، والبخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الأَذَانِ، بابُ فَضْلِ العِشَاءِ فِي الجَمَاعَةِ، رقم الحديث (657)، (ج1، ص132).

أخبرهم أن تركهما أحد صفات المنافقين، فأسلوب النبي ﷺ في الترهيب في هذا الحديث جاء يحمل الكثير من التعاليم التي تثير الرهبة داخل نفوس الصحابة من عدم تركهما ومحاولة المواظبة عليهما ولو حبواً، فذكر أن تركهما أحد صفات المنافقين، وأن نفسه همت بحرق بيوت كل من لم يقوم لأدائهما.

3. **خطبته لترهيب الصحابة بعد أفعال لم يرتضيها منهم:** ومثاله ما رواه أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: بَلَغَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ أَصْحَابِهِ شَيْءٌ فَخَطَبَ فَقَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا» قَالَ: فَمَا أَتَى عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْهُ، قَالَ: غَطَّوْا رُءُوسَهُمْ وَلَهُمْ خَنِينٌ[1]،..."[2].

قام النبي ﷺ خطيباً في صحابته الكرام، وكانت خطبته بأسلوب الترهيب لكي يعلمَ كلُ واحدٍ من الصحابة ما اقترف في نفسه من الخطأ الذي جعل النبي ﷺ يستدعي خطبَتِهِ هذه، حتى جاء في روايةٍ أخرى مشار إليها بالهامش، قوله: (لقد عرضت علي الجنة والنار آنفاً في عرض هذا الحائط)، فالنبي ﷺ قصد هذا الأسلوب الذي فيه صيغة من التهديد والوعيد، ليبث الرهبة في صدروهم، حتى يكفّوا وينتهوا عمّا فعلوه.

4. **الترهيب من دنو الشمس على قدْر الأعمال يوم القيامة، ومن عذاب الله في هذا اليوم:** ومثاله ما رواه الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ» –قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ؟ أَمَسَافَةَ الْأَرْضِ، أَمِ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ –قَالَ: «فَيَكُونُ

---

[1] – **خنين:** أي صوت مرتفع من الأنف بالبكاء مع غنة. القسطلاني، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، (ج7، ص111).

[2] – مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ تَوْقِيرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَرْكِ إِكْثَارِ سُؤَالِهِ عَمَّا لَا ضَرُورَةَ إِلَيْهِ، أَوْ لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ تَكْلِيفٌ وَمَا لَا يَقَعُ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، رقم الحديث (2359)، (ج4، ص1832)، والبخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ مَوَاقِيتِ الصَّلاَةِ، بَابٌ: وَقْتُ الظُّهْرِ عِنْدَ الزَّوَالِ، رقم الحديث (540)، (ج1، ص113)، وحديث رقم (4621)، وحديث رقم (7294).

النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ [1]، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ [2] إِلْجَامًا»"[3].

- **وما رواه** النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ رضي الله عنه، وهو يَخْطُبُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَجُلٌ تُوضَعُ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ»"[4].

فاستخدام النبي ﷺ لأسلوب الترهيب في أهوال يوم القيامة، والعذاب الذي يكون في هذا اليوم، ما هو إلا لتعليم الصحابة الحرص على طاعة الله بالإتيان بأوامره، والبعد عن محارمه ومعاصيه باجتناب نواهيه.

فأسلوب الترهيب نابع من باب حرص النبي ﷺ وخوفه على أمته، فهو أسلوب تعليمي جعله ﷺ منهجاً مهماً يجب استخدامه من قبل المعلّمين والمدرسين مع طلبتهم، حيث يدفع النفس إلى تصحيح الأخطاء ومحاولة الاستقامة على شرع الله قدر المستطاع.

ثالثاً: أثر منهج الترغيب والترهيب على المتعلّمين [5]:

1. غرس منهجٍ قويمٍ داخل نفس المتعلم، ومساعدته على الاستقامة الحسن في الدين والعلم.

2. إثارة الحوافز الذاتية الداخلية عند المتعلّم، بحيث تجعله يميز ما هو صحيح فيتبعه، وما هو عكس ذلك فيتركه.

---

[1] – **الحقو:** أنه معقد الإزار، وقيل: الحقوان: طرفا الوركين. القاضي عياض، **إِكمَالُ المُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِمٍ**، (ج8، ص393).

[2] – **يلجمه العرق إلجامًا:** أي يدخل فمه كلجام الفرس. الأُزَمي، **الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم**، (ج26، ص13).

[3] – مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَابٌ فِي صِفَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَعَانَنَا اللهُ عَلَى أَهْوَالِهَا، رقم الحديث (2864)، (ج4، ص2196).

[4] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ أَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا، رقم الحديث (213)، (ج1، ص196)، والبخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ صِفَةِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، رقم الحديث (2561–2562)، (ج8، ص115).

[5] – **يُنظر:** الحدري، **التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها**، (ص 282).

3. تربية العواطف الربانية التي خلقها الله في نفس الإنسان، كعاطفة الحب والخوف والرجاء.

4. صياغة شخصية المتعلّم صياغةً تقوم على الموازنة بين هذه العواطف.

المطلب التاسع: منهج النبيﷺ في صناعة التفكير العلمي:

لقد استخدم النبي ﷺ في سنته العديد من الأسس والوسائل التي جعلت الصحابة يمتلكون منهجاً علمياً متكاملاً، من حيث عمق التفكير، وإعمال العقل في العلم ومسائله، والعصف الذهني، وامتلاك ملكة النقد الدقيق، والتمتع بمنهج نبوي متكامل كما علمهم النبي ﷺ، فأحسنوا الاقتداء به في شتى جوانب العلم ومجالاته.

وبيّنت العديد من الروايات تأصيل النبي ﷺ لهذا المنهج في عقول الصحابة وغرسه في نفوسهم، من خلال طرح الأسئلة عليهم واختبارهم مع مراعاته لاختيار الوقت المناسب للتعليم، ومعرفته للفروق الفردية بين المتعلّمين والطاقة الاستيعابية لكلٍّ منهم، منها ما رواه ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ المُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ» فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ البَوَادِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ»"[1].

فيدل الحديث على "استحباب إلقاء العالم المسألة على أصحابه ليختبر أفهامهم، ويرغبهم في الفكر، وفيه جواز اللغز مع بيانه"[2]، فاتباع النبي ﷺ لمثل هذا الأسلوب في تعليم الصحابة رضوان الله عليهم في شتّى مجالات العلوم، من شأنه أن يصنع منهجاً علمياً كاملاً قائماً على التفكير العلمي الآخذ إلى الطريق الصحيح في العلم والتعليم.

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ قَوْلِ المُحَدِّثِ: حَدَّثَنَا، وَأَخْبَرَنَا، وَأَنْبَأَنَا، رقم الحديث (61)، (ج1، ص22)، وحديث رقم(62)، و(72)، و(131)، و(2209)، و(4698)، و(5444)، و(5448)، و(6122)، و(6144)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابُ مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّخْلَةِ، رقم الحديث (2811)، (ج3، ص2164).

[2] – العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج2، ص15).

المبحث الثالث

صفات العالم وعمّن يُتلقّى العلم في السُنَّة النَّبويَّة

اتصف النبي ﷺ بشخصيته كمعلم بعدة صفات أصبحت قواعد ثابتة وأساسية ينبغي أن تتمثل بشخصية كل معلم، ليكون قدوةً للمتعلّمين وعمله يوافق قوله، فعندها يدرك الطلبة مدى أهمية هذه الصفات فتحلون بها، فلا يمكن أن يكون الإنسان عالماً ناجحاً قادراً على تسيير العملية التعليمية من غير أن يتحلى بهذه الصفات، ومن غير أن يكون أهل وكفأ للعلم كي يُتلقى عنه، فتعددت الأحاديث التي بينت صفات النبي ﷺ وكيف أنه كان أولى العلماء بتلقي العلم عنه والاقتداء بصفاته، وكيف أن فضله على سائر العلماء من بعده للاقتداء به وبعلمه في سنته الشريفة، وفيما يلي بيان ذلك:

المطلب الأول: صفات العالم في السُنَّة النَّبويَّة:

يجب على العالم التحلي بأهم الصفات حتى يتمكن الوصول إلى عقول الطلاب وقلوبهم، فيكون قدوةً بسلوكه ومرجعاً بعلمه، تماماً كالنبي ﷺ مع أصحابه رضوان الله عليهم، يتبعونه ويقتدون به بكل ما يصدر عنه لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾الأحزاب:21، فلا تكاد ترى معلماً خلا من هذه الصفات أو من أحداها.

ومن أهم هذه الصفات، ما يلي:

أولاً: الصبر:

إن أول ما يتبادر للذهن عند ذكر موضوع صبر المعلم على تلاميذه هي قصة سيدنا موسى عليه السلام مع العبد الصالح الخضر، ففي القصة اشتراط الخضر على موسى عليه السلام أن يصبر ولا يسأله، وذلك في قوله: ﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴾ الكهف: 67، فَقَالَ مُوسَى: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ﴾ الكهف: 69، ثم ابتدأت القصة من حيث

الاختبارات الربانية عن طريق الخضر لسيدنا موسى، بدايةً بخرق السفينة ثم قتل الغلام ثم بناء الجدار...الحديث[1]، فالنبي ﷺ هو خير المعلمين وأصبرهم، وبيان ذلك كالآتي:

أ- مفهوم الصبر، وأثره على العالم:

يُعرّف الصبر في اللغة على أنه: الحبس والإمساك في الضيق.

كما وعرفه الأصفهاني في الاصطلاح: هو حبس النفس عما لا يقتضيه الشرع، أو ترك فعل شيءٍ ما [2].

وأما أثره على العالم، فقد استنتج الباحث أهم هذه الآثار من أحاديث المطلب، وتتمثل في:

1. ضبط النفس وتربيتها على تحمل الضغوط المتعلقة بالعملية التعليمية والمتعلّمين.
2. التأني وإعطاء الهدوء لإيجاد الحلول المناسبة للمتعلّمين.
3. تمكين العالم من التصرف بهدوء مع المتعلّمين مما يؤدي إلى قلة الخطأ، والتميّز في الأعمال التعليمية.

ب- النماذج النبوية الدالة على صبر العالم: منها:

1. **صبر النبي ﷺ على السائل:** ومثاله ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا»، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ..."[3].

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ مَا يُسْتَحَبُّ لِلْعَالِمِ إِذَا سُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَيَكِلُ العِلْمَ إِلَى اللَّهِ، رقم الحديث (122)، (ج1، ص35)، وحديث رقم (3401)، وحديث من رقم (4725_4727). ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، رقم الحديث (2380)، (ج4، ص1847).

[2] – **يُنظر:** الراغب الأصفهانى، **المفردات في غريب القرآن**، ص(474).

[3] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ فَرْضِ الْحَجِّ مَرَّةً فِي الْعُمُرِ، رقم الحديث (1337)، (ج2، ص975).

بعد أن أخبر النبي ﷺ الصحابة بفريضة الحج، سأل أحد الصحابة هل يكون الحج في كل عام حتى كرر سؤاله ثلاث مرات؟ والنبي ﷺ صابر دون أن يجيبه إلا بعد الثالثة، حتى لا يتشبهون ببني إسرائيل بالتشديد على أنفسهم.

فمن حلمه وصبره ﷺ أنه كان يتحمل تلامذته على تفاوت قدراتهم العقلية واختلاف اسئلتهم، "فالإنسان بطبيعته خُلق عجولاً، كثير التطفل والتساؤل، فمن عصمه الله اتسم بالحلم والحكمة والتفكير في القول قبل النطق به، والحمقى يضربون بألسنتهم يميناً وشمالاً، وقد يكون في ذلك ضرر لهم ولغيرهم، ومن هذا القبيل سؤال من سأل رسول الله ﷺ. هل الحج واجب في كل عام أو مرة واحدة في العمر؟ إن بني إسرائيل شددوا فشدد الله عليهم في أمر البقرة، وهذا الرجل ينحو نحوهم في التشديد، فنهى عن ذلك، وأعلن له ولغيره رسول الله ﷺ قاعدة التيسير على الأمة"[1].

2. **صبره على الخطأ:** ومثاله ما رواه أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ. إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: مَهْ مَهْ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تُزْرِمُوهُ[2]دَعُوهُ» فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ» أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ[3] عَلَيْهِ"[4].

ففي الحديث أن النبي ﷺ وصل حلمه وصبره بأن لا يحقّر ولا يعنّف الشخص الذي بال في المسجد، بل وأكثر من ذلك أراد بهذا تعليم الصحابة درساً بكيفية التعامل مع مثل هذه الطبقة

---

[1] – شاهين، **فتح المنعم شرح صحيح مسلم**، (ج5، ص386).

[2] – **لا تزرموه:** معناه لا تقطعوا أي لا تقطوا عليه بوله، والإزرام القطع. محمد فؤاد عبد الباقي، **في شرحه وتعليقه** على صحيح مسلم في الهامش، بنفس صفحة الحديث.

[3] – **فشنه:** معناه صبه وفرق بعض العلماء بينهما. محمد فؤاد عبد الباقي، **في شرحه وتعليقه** على صحيح مسلم في الهامش، بنفس صفحة الحديث.

[4] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابِ الطَّهَارَةِ، بَابُ وُجُوبِ غُسْلِ الْبَوْلِ وَغَيْرِهِ مِنَ النَّجَاسَاتِ إِذَا حَصَلَتْ فِي الْمَسْجِدِ، وَأَنَّ الْأَرْضَ تَطْهُرُ بِالْمَاءِ، مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى حَفْرِهَا، رقم الحديث (284–285)، (ج1، ص236)، والبخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ الرِّفْقِ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ، رقم الحديث (6025)، (ج8، ص12).

من الناس في خطأهم، فنهاهم عن مقاطعته، وأخذ يعلمه الصواب، ففي هذا الموقف تعلّم الصحابة كيفية الاقتداء بشخص النبي ﷺ كمعلم، في صبره على المخطئ، وكيفية التعامل معه.

لذا أُعطي الصبر أعظَمَ الأجر، لقوله تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ (الشورى: 43)، فالصبر والحلم أخلاق النبيين والصالحين، ويجب على المعلمين والمدرسين امتثال طريقتهم والتّأسّي بهم وقرع النفس عن المغالبة رجاء ثواب الله على ذلك [1].

3. **صبره على الجاهل:** ومثاله ما رواه مُعَاوِيَةُ بْنُ الْحَكَمِ السُّلَمِيّ رضي الله عنه، "قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ[2]، مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ، مَا كَهَرَنِي[3] وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ»...الحديث»"[4].

ومن صبره ﷺ أنه كان يصبر على الجاهل ويعلمه الصواب، دون تحقيره أو زجره، ومن هذا صبره على الرجل الذي تكلم في الصلاة، حتى انتهى النبي ﷺ من الصلاة وبيّنَ له عدم جواز ذلك، فقوله (بأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه)، فيه مما كان عليه من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به ورفقه بالجاهل ورأفته بأمته وشفقته عليهم وفيه التخلق بخلقه ﷺ في الرفق بالجاهل وحسن تعليمه واللطف به وتقريب الصواب إلى فهمه [5].

---

[1] – **يُنظر:** ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج9، ص226).

[2] – **واثكل أمياه:** وهو فقدان المرأة ولدها، فـ وا كلمة تختص في النداء بالندبة. النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج5، ص20).

[3] – **كهرني:** الكهر: الانتهار. القاضي عياض، **إِكمَالُ المُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِم**، (ج2، ص462).

[4] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَابُ تَحْرِيمِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ، وَنَسْخِ مَا كَانَ مِنْ إِبَاحَتِهِ، رقم الحديث (537)، (ج1، ص381).

[5] – **يُنظر:** النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج5، ص20).

فردة فعله ﷺ كانت عكس ما كان عند الصحابة، ففي هذا تعليمٌ لهم بحسن التصرّف مع الجاهل والصبر عليه، لِما في هذا الأسلوب من تلطفٍ وتعليمٍ للجاهل وتقريب الصواب له.

4. **صبره على خادمه:** وأمثله ذلك ما يلي:

- **ما رواه** أَنَسُ بن مالك رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، أَخَذَ أَبُو طَلْحَةَ بِيَدِي فَانْطَلَقَ بِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أَنَسًا غُلَامٌ كَيِّسٌ فَلْيَخْدُمْكَ، قَالَ: " فَخَدَمْتُهُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، وَاللهِ مَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتَ هَذَا هَكَذَا؟ وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعْهُ: لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا هَكَذَا؟ "[1].

- **وما رواه هو أيضاً:** قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا»، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟» قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ، يَا رَسُولَ اللهِ"[2].

في الحديثين شهادة أنس بن مالك رضي الله عنه، خادمِ رسول الله ﷺ، لما كان عليه ﷺ من الخلق العظيم، فكان أحسن الناس خُلقاً، فلك أن تتخيل أن تعيش مع أنسان حياةً كاملة، لا ترى منه أي ضجر ولا اعتراض ولا تحقير، فهذا لا يكون إلا منه ﷺ، حتى عندما طلب النبي ﷺ منه أمراً ولم يقْضِهِ، أخذ يبحث عنه، فوجده في السوق يلهو مع الأولاد، فأمسك به من خلفه، وضحك في وجهه، فلم يشتمه ولم يضربه، بل أمره بأن يقضي الأمر له دون تعنيفٍ أو اعتراض.

---

[1] – مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، رقم الحديث (2309)، (ج4، ص1805).

[2] – مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، رقم الحديث (2310)، (ج4، ص1805).

فصبره ﷺ على صحابته الكرام على اختلاف قدراتهم العقلية، واختلاف أعمارهم، فاق ما يمكن أن يتم تصوره، فهذا من شأنه أن يسهل على الصحابة الاقتداء بالنبي ﷺ، وذلك لِما لمسوه من شخصيته وصبره عليهم وعلى غيرهم من الصحابة.

ثانياً: الأمانة العلمية:

عُرف النبي ﷺ بالصدق والأمانة في قومه ومجتمعه قبل البعثة، فقد كان أميناً بمعاملته وكذا بعلمه الذي ورثه الصحابة والتابعين والعلماء إلى يومنا هذا، فكان إذا سُئِلَ عن شيء ولم يوحَ إليه بعلمه سكت، كحديث عَبْدِ اللهِ، عندما قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرْثٍ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى عَسِيبٍ، إِذْ مَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَقَالُوا: مَا رَابَكُمْ إِلَيْهِ [1]، لَا يَسْتَقْبِلُكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ، فَقَالُوا: سَلُوهُ، فَقَامَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ فَسَأَلَهُ عَنِ الرُّوحِ، قَالَ: فَأَسْكَتَ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، قَالَ: فَقُمْتُ مَكَانِي، فَلَمَّا نَزَلَ الْوَحْيُ قَالَ: " {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء: 85]"[2]، وإذا سُئِل عما يعلمه أجاب مباشرةً، كما في النماذج القادمة.

أ- مفهوم الأمانة العلمية، وأثرها على العالم:

وتعرف الأمانة على أنها: "خلقٌ ثابتٌ في النّفس يعفّ به الإنسان عمّا ليس له به حقّ، وإن تهيّأت له ظروف العدوان عليه دون أن يكون عرضة للإدانة عند النّاس، ويؤدّي به ما عليه أو لديه من حقّ لغيره، وإن استطاع أن يهضمه دون أن يكون عرضة للإدانة عند النّاس"[3].

---

[1] – **ما رابكم إليه:** أي ما دعاكم إلى سؤاله أو ما شككم فيه حتى احتجتم إلى سؤاله أو ما دعاكم إلى سؤال تخشون سوء عقباه. النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج17، ص137).

[2] – مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابُ سُؤَالِ الْيَهُودِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الرُّوحِ وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ} [الإسراء: 85] الْآيَةَ، رقم الحديث (2794)، (ج4، ص2152). والبخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ سُورَةِ الرُّومِ، رقم الحديث(125)، (ج1، ص37)، وحديث رقم (4721)، وحديث رقم (7462).

[3] – عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم**، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، (ط/4)، (ج3، ص509).

فعلى هذا تكون الأمانة العلمية: إعطاء المعلم للمتعلّمين حقهم ومستحقهم من العلم الذي يملكه، بقوله لما يعلم لا أعلم، وقول ما يعلمه وعدم كتمانه.

وأما أثره على العالم، من وجهة نظر الباحث استنتاجاً مما تم دراسته في هذا المطلب، فهي:

1. دفع العالم للاستقامة والصدق في معاملته وتعليمه لطلابه.
2. اكتساب ثقة المتعلّمين، والظهور أمامهم بأحسن صورة.

ب- النماذج النبوية الدالة على الأمانة العلمية: منها:

1. **توصية النبي ﷺ للعالم بأن يقول لما لا يعلم: لا أعلم:** ومثاله ما رواه مَسْرُوقٌ، قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ يُحَدِّثُ فِي كِنْدَةَ [1]، فَقَالَ: يَجِيءُ دُخَانٌ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَأْخُذُ بِأَسْمَاعِ المُنَافِقِينَ وَأَبْصَارِهِمْ، يَأْخُذُ المُؤْمِنَ كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ، فَفَزِعْنَا، فَأَتَيْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَغَضِبَ فَجَلَسَ، فَقَالَ: مَنْ عَلِمَ فَلْيَقُلْ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ مِنَ العِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لاَ يَعْلَمُ: لاَ أَعْلَمُ، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ المُتَكَلِّفِينَ)(ص: آية86)..."[2].

أوصى النبي ﷺ في حياته صحابته الكرام بالالتزام بالأمانة في كل نواحي الحياة، لا سيما العلميةَ منها، فالأمانة أحد أهم الصفات التي غرسها النبي ﷺ في جيل الصحابة الذي أحسن تربيته وتعليمه على يديه، ومن صور هذه الأمانة العليمة توصيتهم بقول العلم لِمن عَلِمَ منه شيئاً، وقول لا أعلم لِمن لم يعلم، فقول لا أعلم هي أمانة وتم تأديتها بقول الصدق، بخلاف القول بغير علم، ففهموا ذلك وطبقوه فكأن لسان حالهم جميعاً، ما قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "«حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ»"[3].

---

[1] – **كندة:** موضع في الكوفة. الكرماني، **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**، (ج18، ص40).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ سُورَةِ الرُّومِ، رقم الحديث(4774)، (ج6، ص114)، وحديث رقم (4809)، وحديث رقم (4822)، وحديث رقم (4824)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابُ الدُّخَانِ، رقم الحديث (2792)، (ج4، ص2155).

[3] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ مَنْ خَصَّ بِالعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ، كَرَاهِيَةَ أَنْ لاَ يَفْهَمُوا، رقم الحديث(127)، (ج1، ص37).

قال الكرماني: "فإن قلت كيف يكون (لا أعلم) من العلم قلت تمييز المعلوم من المجهول نوع من العلم وهو المناسب لما قيل لا أدري نصف العلم وأما مناسبة الآية فلأن القول فيما لا يعلم قسم من التكليف"[1].

2. **امتناع الصحابة عن الإجابة من باب الأمانة العلمية:** وأمثلة ذلك ما يلي:

- ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» قِيلَ أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ»"[2].

- وما رواه أَبو إِسْحَاقَ الشَّيْبَانِيّ رحمه الله، قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنه، هَلْ رَجَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: قُلْتُ: بَعْدَ مَا أُنْزِلَتْ سُورَةُ النُّورِ أَمْ قَبْلَهَا؟ قَالَ: «لَا أَدْرِي»"[3].

بالنظر إلى هذه النماذج من صحابةِ رسول الله ﷺ، ندرك أنهم فهموا منهج الأمانة العلمية كما علمهم إياه النبي ﷺ، فتراه أمرهم بالتبليغ والحث عليه، وفي المقابل أمرهم بالأمانةِ والصدق، ونهاهم عن الكذب والقول بغير علمٍ وهي عكس الأمانة.

ففي الرواية الأولى ترى عدم ترددهم في قولهم (الله ورسوله أعلم)؛ وذلك لعدم توفر الإجابة لديهم، كما في الروايةِ الثانية الإجابة على سؤال الرجم بنعم، والامتناع عن الإجابة بتحديد الوقت الذي رجم فيه النبي ﷺ لعدم معرفته بذلك، فهذه الصفة التي اتصف بها النبي ﷺ في تبليغه للعلم، غرسها في نفوس الصحابة ليقتدوا بها من بعده.

---

[1] – الكرماني، **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**، (ج18، ص40).

[2] – مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الْغِيبَةِ، رقم الحديث (2589)، (ج4، ص2001).

[3] – **المرجع السابق**، كِتَابُ الْحُدُودِ، بَابُ رَجْمِ الْيَهُودِ أَهْلِ الذِّمَّةِ فِي الزِّنَى، رقم الحديث (1702)، (ج3، ص1328)، والبخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الحُدُودِ، بَابُ رَجْمِ المُحْصَنِ، رقم الحديث(6813)، (ج8، ص165).

3. **عدم كتمان العلم من باب الأمانة العلمية:** وأمثلة ذلك ما يلي:

- ما رواه مُعَاذٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟»، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلاَ أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ: «لاَ تُبَشِّرْهُمْ، فَيَتَّكِلُوا» وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا"[1].

- وما رواه الْحَسَنِ رحمه الله، قَالَ: عَادَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادٍ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ الْمُزَنِيَّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، قَالَ مَعْقِلٌ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ لِي حَيَاةً مَا حَدَّثْتُكَ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»"[2].

- وما رواه الصُّنَابِحِيّ رحمه الله، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: مَهْلًا، لِمَ تَبْكِي؟ فَوَاللهِ لَئِنْ اسْتُشْهِدْتُ لَأَشْهَدَنَّ لَكَ، وَلَئِنْ شُفِّعْتُ لَأَشْفَعَنَّ لَكَ، وَلَئِنْ اسْتَطَعْتُ لَأَنْفَعَنَّكَ، ثُمَّ قَالَ: وَاللهِ مَا مِنْ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَكُمْ فِيهِ خَيْرٌ إِلَّا حَدَّثْتُكُمُوهُ، إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا وَسَوْفَ أُحَدِّثُكُمُوهُ الْيَوْمَ، وَقَدِ اُحِيطَ بِنَفْسِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ»"[3].

في هذه الروايات صورة أخرى من صور الأمانة العلمية التي علَّمها النبي ﷺ للصحابة رضوان الله عليهم، ألّا وهي قول العلم وعدم كتمانه، فالنبي ﷺ كان يخص بعض الصحابة ببعض

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ مَنْ خَصَّ بِالعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ، كَرَاهِيَةَ أَنْ لاَ يَفْهَمُوا، رقم الحديث (128-129)، (ج1، ص38)، وحديث رقم (2856)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ مَنْ لَقِي اللهَ بِالْإِيمَانِ وَهُو غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحُرِّمَ عَلَى النَّارِ، رقم الحديث (30)، (ج1، ص58).

[2] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ اسْتِحْقَاقِ الْوَالِي الْغَاشِّ لِرَعِيَّتِهِ النَّارَ، رقم الحديث (142)، (ج1، ص125).

[3] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ مَنْ لَقِي اللهَ بِالْإِيمَانِ وَهُو غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحُرِّمَ عَلَى النَّارِ، رقم الحديث (29)، (ج1، ص57).

العلم دون بعض، وذلك لعدة أهداف، أهمها اختلاف القدرات العقلية، ومراعاة الفروق الفردية بينهم، ولكن تخصيص هذا العلم لا يقتضي كتمانه إلى الأبد، وهذا ما دفعهم لقول مثل هذه الأحاديث وهم على فراش الموت خشية الكتمان وعدم التبليغ.

يجب على العالم أن يتصف ويقتدي بهذه الصفة، التي غرسها النبي ﷺ في قلوب الصحابة في جميع مجالات الحياة، لاسيما العلميّة منها، وأن تدفعه لتبليغ ما يعلمه بكل أمانة ومصداقيه، وأن يقول لا أدري ولا أعلم بما لا يعلمه، مع بذل الجهد في محاولة المعرفة، فكلمة لا أعلم ولا أدري ينبغي أن تكون دافعاً وحافزاً إيجابياً للبحث عما لا يعلمه ولا يدريه لكي يتعلم ويعلم، ويستفيد ويُفيد.

ثالثاً: القدرة على حل الإشكالات العلمية:

تُعد هذه الصفة من أصعب الصفات التي تواجه المعلم عند محاولته التحلي بها واكتسابها، وهي مهمة جداً حيث بامتلاكها وتعلمها بالطريق الصحيح، تُعطي المعلم القدرة على فض الخلاف ومحاولة إنهاء النزاع في المسألة العلمية المطروحة بين المتعلّمين، فهي تحتاج إلى عدة مقومات رئيسية بالجانب لها، مثل قوة الشخصية، والصبر والتحكم بالأعصاب، والإصغاء إلى جميع أراء التلاميذ حتى تظهر هذه القدرة من المعلم، وتُحلُّ الإشكالات العلمية الواقعة بينهم.

النماذج النبوية الدالة على حل الإشكالات العلمية: منها:

1. **الشمس والقمر من آيات الله ولا علاقة لهما بموت أحد او حياته:** ومثاله ما رواه المُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ رضي الله عنه، قال: انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ يَوْمَ مَاتَ إِبْرَاهِيمُ، فَقَالَ النَّاسُ: انْكَسَفَتْ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لاَ يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا، فَادْعُوا اللَّهَ وَصَلُّوا حَتَّى يَنْجَلِيَ»"[1].

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، أَبْوَابُ الكُسُوفِ، بَابُ الدُّعَاءِ فِي الخُسُوفِ، رقم الحديث(1060)، (ج2، ص39)، وحديث من رقم (1044–1063)، وحديث رقم (3202)، وحديث رقم (5197)، وحديث رقم (5785)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْكُسُوفِ، بَابُ صَلَاةِ الْكُسُوفِ، رقم الحديث (901)، (ج2، ص618)، وحديث من رقم (904–915).

قدر الله أن تنكسف الشمس في اليوم الذي مات فيه إبراهيم ابن النبي ﷺ، فأخذ الناس يقولون أن هذه الآية والعلامة ظهرت لموت إبراهيم، فما كان من النبي ﷺ إلا أن يزيل الإشكال الذي وقع فيه الناس، ووضح لهم أن كسوف الشمس والقمر من آيات الله وليس لهما تعلق بموت أحد أو حياته، فعلى الناس عند ظهروهما الأقبال على الصلاة والدعاء حتى تنقضي هذه الظاهرة الفلكية.

فتوضيح النبي ﷺ وبيانه لحقيقة هذه الحالة بحل الإشكال وإزالة اللَبس الذي وقع به الصحابة، فالنبي ﷺ بفعله هذا علم الصحابة درساً مفاده التأني في الحكم على المسائل والتعمق في القدرة على حل الإشكالات العلمية التي قد تواجههم في حياتهم.

2. **إنكار عائشة للمفهوم الخاطئ عند عروة، وحل الإشكال لديه ببيان الصواب:** ومثاله ما رواه عُرْوَةُ قال: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقُلْتُ لَهَا: أَرَأَيْتِ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ البَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا} [البقرة: 158]، فَوَاللَّهِ مَا عَلَى أَحَدٍ جُنَاحٌ أَنْ لاَ يَطُوفَ بِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ، قَالَتْ: بِئْسَ مَا قُلْتَ يَا ابْنَ أُخْتِي، إِنَّ هَذِهِ لَوْ كَانَتْ كَمَا أَوَّلْتَهَا عَلَيْهِ، كَانَتْ: لاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لاَ يَتَطَوَّفَ بِهِمَا، وَلَكِنَّهَا أُنْزِلَتْ فِي الأَنْصَارِ، كَانُوا قَبْلَ أَنْ يُسْلِمُوا يُهِلُّونَ لِمَنَاةَ [1] الطَّاغِيَةِ، الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا عِنْدَ المُشَلَّلِ [2]، فَكَانَ مَنْ أَهَلَّ يَتَحَرَّجُ أَنْ يَطُوفَ بِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا، سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا نَتَحَرَّجُ أَنْ نَطُوفَ بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ}[البقرة: 158]..."[3].

فهم عروة الآية على أنها تحمل على عدم وجوب السعي بالصفا والمروة، وأنه لا حرج على من لم يفعله، فأنكرت عليه عائشة ذلك، وبيّنت له أن المقصود من الآية أنها نزلت في سياق رفع الحرج في ظرف معين، وهو وجود الاصنام على الصفا والمروة، لأنها بيد الكفار آنذاك.

---

[1] – **مناة:** صنم كان نصبه عمرو بن لحى بجهة البحر. القاضي عياض، **إكمَالُ المُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِمِ**، (ج4، ص353).

[2] – **المشلل:** موضع قريب من الجحفة. مصطفى البغا، **في تعليقه** على صحيح البخاري في الهامش، بنفس صفحة الحديث.

[3] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الحَجِّ، بَابُ وُجُوبِ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ، وَجُعِلَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ، رقم الحديث(1643)، (ج2، ص157)، وحديث رقم (1790)، وحديث رقم (4495)، وحديث رقم (4861)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ بَيَانِ أَنَّ السَّعْيَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ رُكْنٌ لَا يَصِحُّ الْحَجُّ إِلَّا بِهِ، رقم الحديث (1277)، (ج2، ص928).

فالملكة العلمية التي تمتلكها عائشة مكنتها من حل الإشكال الذي وقع فيه عروة حيث فهم الآية فهماً خاطئاً، حيث أن هذه الملكة تستدعي الكثير من العناصر لحل الإشكال في هذه المسألة، منها: جمع الأدلة واستحضارها في الذهن، وبيان أسباب النزول، ومعاني الكلمات، وبيان الإشكال الذي وقع فيه عروة من فهمه للآية، فهذا يدلنا على القدرة العلمية والفهم الدقيق الذي امتلكته عائشة رضي الله عنها.

3. **الرحلة إلى العالم لحل الإشكال في آيةٍ ما:** ومثاله ما رواه سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ رحمه الله، قَالَ: آيَةٌ اخْتَلَفَ فِيهَا أَهْلُ الكُوفَةِ، فَرَحَلْتُ فِيهَا إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فَسَأَلْتُهُ عَنْهَا، فَقَالَ: " نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ} [النساء: 93] هِيَ آخِرُ مَا نَزَلَ، وَمَا نَسَخَهَا شَيْءٌ"[1].

اختلف أهل الكوفة في هذه الآية إلى حدٍّ عدم التوصل لنتيجة في هذا الخلاف، مما دفع سيعد بن جبير إلى السفر إلى ابن عباس، لسؤاله عن الآية، ومعرفة الصواب من الخلاف الذي وقع به أهل الكوفة، حيث وجد ذلك عند ابن عباس الذي تميّز بعلمه الثاقب وقدرته على حل الإشكالات والخلافات العلمية التي كان يقع بها البعض.

رابعاً: الثناء على التلاميذ وتشجيعهم:

إن تشجيع الطلاب والثناء عليهم له الكثير من الإيجابيات التي تنعكس عليهم جميعاً، من ذلك زيادة الرغبة لدى الطالب في تطوير نفسه في العملية التعليمية والحرص على إثبات النفس في كل مرة، مما يدفع من حوله من التلاميذ إلى الوصول إلى هذه المرحلة التي وصل إليها، وفي ذلك زيادة روح المنافسة بين الجميع، فمن يكون لديه الدوافع الذاتية للوصول إلى القمة ومدحه المعلم وأثنى عليه سوف تزيد عنده هذه العزيمة وهذه الدوافع، ومن لم تكن عنده هذه الدوافع سوف يتشجع مع تشجيع المعلم الناجح وتحركيه للعملية التعليمية بين باقي الطلاب والتلاميذ.

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ} [النساء: 93]، رقم الحديث(4590)، (ج6، ص47)، وحديث رقم (4766)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب التَّفْسِيرِ، (بلا/باب)، رقم الحديث (2023)، (ج4، ص2317).

أ- مفهوم الثناء، وأثره على المتعلّم:

يُعرّف الثناء في اللغة على أنّه المدح، وأما في الاصطلاح: فهو وصف الشخص والإشادة به بما له من صفات ومزايا تشعره بتعظيمه [1].

وأما أثر الثناء على المتعلّمين، كما تبيّنَ للباحث من دراسة هذه الصفة، فهي:

1. تدفع المتعلّم إلى زيادة رغبته في التطوير من نفسه في العملية التعليمية.
2. زيادة الثقة في النفس عند المتعلّم، وتشجيعه على إثبات نفسه في كل مرةٍ أمام المعلّم وبقية المتعلّمين.
3. زيادة روح المنافسة بين المتعلّمين.

ب- نماذج في الثناء على المتعلّمين من السنة النبوية: منها:

1. **الثناء على أبي المنذر لمعرفته أعظم آية في القرآن:** ومثاله ما رواه أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: {اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: 255]. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»"[2].

سأل النبي ﷺ الصحابة عن أعظم آية في القرآن فأجاب أبو المنذر بأنها آية الكرسي، فهو الوحيد الذي عرف الإجابة، فضرب النبي ﷺ صدره وأثنى عليه، فقوله ﷺ لأبي بن كعب ليهنك العلم أبا المنذر "فيه منقبة عظيمة لأبي المنذر ودليل على كثرة علمه وفيه تبجيل العالم فضلاء

---

[1] - **يُنظر:** الهروي، **تهذيب اللغة**، (ج4، ص251)، والجرجاني، **كتاب التعريفات**، (ص72).

[2] - مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ فَضْلِ سُورَةِ الْكَهْفِ، وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ، رقم الحديث (810)، (ج1، ص556).

أصحابه وتكنيتهم وجواز مدح الإنسان في وجهه إذا كان فيه مصلحة ولم يخف عليه إعجاب ونحوه لكمال نفسه ورسوخه في التقوى"[1].

كما وأن ضربه في صدره، "فيه تنشيط المعلم لمن يعلمه إذا رآه أصاب، وتنويهه به، وسروره بما أدركه من ذلك"[2]، فالنبي ﷺ استخدم الأسلوب التحفيزي مع الصحابة لكي تزيد الدوافع في التنافس على العلم والمعرفة وبذلك استحقاق الثناء من رسول الله ﷺ، كما أن هذا الأسلوب لا يقتصر على الشخص فحسب، بل تأثره في انعكاسه على النفوس والمجتمع المحيط بهذا الشخص فيتشجعوا لينالوا مثل هذا الشرف.

2. **الثناء على أبي هريرة لحرصه على السؤال:** ومثاله ما رواه سَعِيدٌ بْن أَبِي سَعِيدٍ المَقْبُرِيّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»"[3].

سؤال أبي هريرةَ للنبي ﷺ عن أسعد الناس بشفاعته يوم القيامة، فإذا بالنبي ﷺ يذكر لأبي هريرة معلماً هاماً من معالم شخصيته، وهو الحرص على طلب العلم تشجيعاً له وتحفيزاً، حيثُ تميّز بهذه الصفة عن سائر الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً، قال العيني: "فيه تفرس العالم في متعلمه، وتنبيهه على ذلك لكونه أبعث على اجتهاده في العلم"[4].

---

[1] – النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج6، ص93).

[2] – القاضي عياض، **إِكمَالُ المُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِم**، (ج3، ص178).

[3] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ الحِرْصِ عَلَى الحَدِيثِ، رقم الحديث (99)، (ج1، ص31)، وكِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ صِفَةِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، رقم الحديث (6570)، (ج8، ص117).

[4] – العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج2، ص128).

3. **تشجيع عمر بن الخطاب لابن عباس والثناء عليه لِعلّمهِ:** وأمثلة ذلك:

- ما رواه ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا الفَتَى مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ: «إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ» قَالَ: فَدَعَاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ وَدَعَانِي مَعَهُمْ قَالَ: وَمَا رُئِيتُهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ مِنِّي، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالفَتْحُ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ نَدْرِي، أَوْ لَمْ يَقُلْ بَعْضُهُمْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، أَكَذَاكَ تَقُولُ؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ اللَّهُ لَهُ: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالفَتْحُ فَتْحُ مَكَّةَ، فَذَاكَ عَلاَمَةُ أَجَلِكَ: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا. قَالَ عُمَرُ: «مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ»"[1].

- وما رواه عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَوْمًا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: فِيمَ تَرَوْنَ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ: {أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ} [البقرة: 266]؟ قَالُوا: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَغَضِبَ عُمَرُ فَقَالَ: «قُولُوا نَعْلَمُ أَوْ لاَ نَعْلَمُ»، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فِي نَفْسِي مِنْهَا شَيْءٌ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، قَالَ عُمَرُ: «يَا ابْنَ أَخِي قُلْ وَلاَ تَحْقِرْ نَفْسَكَ»، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ضُرِبَتْ مَثَلًا لِعَمَلٍ، قَالَ عُمَرُ: «أَيُّ عَمَلٍ؟» قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لِعَمَلٍ، قَالَ عُمَرُ: «لِرَجُلٍ غَنِيٍّ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ لَهُ الشَّيْطَانَ، فَعَمِلَ بِالْمَعَاصِي حَتَّى أَغْرَقَ أَعْمَالَهُ»"[2].

ففي الروايتين يشجع عمر بن الخطاب الصحابة على التعلّم، وهو منهج النبي ﷺ في تشجيع التلاميذ والثناء عليهم، وذلك من خلال معرفة العالم للقدرات التي يمتلكها تلاميذه، ومحاولته في جعلهم يُخرجون أفضل ما لديهم من القدرات والمواهب العقلية، التي تساعدهم في التميّز، وبالتالي استحقاق الثناء والتشجيع، كما هنا مع سيدنا عمر ومعرفته بما يمتلكه ابن عباس مع صغر سنه، حيث دفعه لحضور مجالس الكبار من علماء الصحابة، فلما وجدوا في أنفسهم حاجة،

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ مَنْزِلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الفَتْحِ، رقم الحديث (4294)، (ج5، ص149)، وحديث رقم (3627)، وحديث رقم (4430)، وحديث رقم (4970).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: {أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ} [البقرة: 266] "، رقم الحديث (4538)، (ج6، ص31).

اختبرهم بحضوره ليبين لهم ما يمتاز به ابن عباس على غيره من الناس، فلما أخطأوا الإجابة سأله عن الآية فأجاب، فقال لا أعلم منها إلا ما تقول، فَمثلُ هذا التشجيع يساعد أي شخص على إيجاد الروح والدوافع التي تحفزه على الاستزادة من العلم والاهتمام به، لاسيما وإن كان في مرحلة الصغر لِما له من أثر في نفس المتعلّم الصغير، تماماً كابن عباس رضي الله عنه هنا.

وكذا في الرواية الثانية عندما علم ابن عباس الإجابة، قال له عمر قل ولا تحقر نفسك، أي لا تستصغر نفسك ولا تحقرها، فمثل هذا الأسلوب يزيد من النتائج الإيجابية وبث روح المنافسة بين التلاميذ، فيجب على المعلّم التميّز بهذه الصفة وجعلها ملازمة لشخصيته أمام المتعلّمين في شتى مجالات العملية التعليمية.

4. **الثناء على المتعلّم بما يتميز به عن غيره:** ومثاله ما رواه حُذَيْفَةُ رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ العَاقِبُ وَالسَّيِّدُ، صَاحِبَا نَجْرَانَ، إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُرِيدَانِ أَنْ يُلاَعِنَاهُ، قَالَ: فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: لاَ تَفْعَلْ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلاَعَنَّا لاَ نُفْلِحُ نَحْنُ، وَلاَ عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا، قَالاَ: إِنَّا نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَنَا، وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا أَمِينًا، وَلاَ تَبْعَثْ مَعَنَا إِلَّا أَمِينًا. فَقَالَ «لَأَبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ»، فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ» فَلَمَّا قَامَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ»"[1].

تَعمّدَ النبي ﷺ في بعض المواقف أن يمتدحَ أحداً من الصحابة أمام مجموعة منهم، قاصداً بذلك إظهار الصفة التي يمتلكها هذا الشخص ويتميّز بها أكثر من غيره، وهدفه من ذلك هو تشجعيه وتشجيع من حوله من المتعلّمين، بأن يفعلوا مثل فعله كي يستحقون هذا الثناء، ويصلون للدرجة التي صار عليها، كما فعل النبي ﷺ في الثناء على أبي عبيدة حيث استشرف صحابة رسول الله ﷺ لهذه الجملة، "أي تطلعوا للولاية ورغبوا فيها حرصا على تحصيل الصفة المذكورة"[2]،

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ قِصَّةِ أَهْلِ نَجْرَانَ، رقم الحديث(4380–4381)، (ج5، ص171)، وحديث رقم (3745)، وحديث رقم (7254)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابُ فَضَائِلِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، رقم الحديث (2420)، (ج4، ص1882).

[2] – ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (ج7، ص94).

فمثل هذا التشجيع دفع الصحابة بأن يتمنى كلُ واحدٍ منهم لو أنه مكان أبي عبيدة لما لقيه من المدح والثناء منه ﷺ أمام الحضور.

فالنبي ﷺ كان أكثر من يشجع الصحابة على العلم والتعليم وفعل الخير، وفي كثير من الأحيان كان يقصدُ ذلك في حضور مجموعة منهم، وهدفه من ذلك بث روح التنافس بين الصحابة في العلم والتعلّيم وفعل الخير والتسابق في هذا الطريق.

خامساً: الذكاء والفطنة:

عُرف النبي ﷺ بذكائه وفطنته حتى قبل نبوته وفي كل جوانب الحياة، فلو تأملنا كل حديث نرى أن فيه دلالة على ذكائه ﷺ، فاختيار الوقت المناسب للتعليم والوعظ هو ذكاء، ومراعاة الفروق الفردية بين الطلاب هو ذكاء، وقدرته على حل الإشكالات العلمية هو أيضاً ذكاء، فكلُ جانبٍ بحدِّ ذاته كان له من ذكاء النبي ﷺ وفطنته نصيب، ففي هذا الموضوع بعض الأحاديث التي ذكرت لتلبية حاجة المبحث، ولكن في الحقيقة أن معظم أحاديث النبي ﷺ لم تكن لتخلوا من هذه الصفة.

أ- مفهوم الذكاء والفطنة:

وأصل الذكاء في اللغة: هو تمام الشيء وكماله [1]، كما ويُعرف الذكاء في الفهم: أن يكون فَهماً تامّاً سريع القَبُولِ [2].

وأما في الاصطلاح فهو: "شدة قوة النفس معدة لاكتساب الآراء بحسب اللغة، فالذكاء هو قوة الحدس، والفطنة: التنبه للشيء الذي يقصد معرفته"[3].

---

[1] - **يُنظر:** الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري، أبو منصور (ت: 370هـ)، **الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي**، المحقق: مسعد عبد الحميد السعدني، دار الطلائع، (ط/بلا)، (ص263).

[2] - **يُنظر:** الهروي، **تهذيب اللغة**، (ج10، ص184).

[3] - الكفوي، **الكليات**، (ص456).

ب- النماذج النبوية الدالة على الذكاء والفطنة: منها:

1. **فَهْمُ ما يقال والتركيز في مقصد القول:** ومثاله ما روته عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ اليَهُودَ، دَخَلُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَلَعَنْتُهُمْ، فَقَالَ: «مَا لَكِ» قُلْتُ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: «فَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ»"[1].

الشاهد من الحديث أن النبي ﷺ علم من حال اليهود أنهم لم يطرحوا عليه السلام، بل قالوا عبارة (السام عليكم): أي الدعاء عليه بالموت، فما كان من أمّ المؤمنين إلا أن لعنتهم، فنهاها النبي ﷺ ليس لأنه لم يسمعهم، بل تعامل مع الموقف بذكاء فعرف كيف يرد على عبارتهم من غير أن يطرح السلام ومن غير أن يفحش ويلعن في لفظه، فالنبي صلى الله عيه وسلم تعامل بذكائه مع الموقف وعلم كيف يرد على اليهود بفطنته.

2. **ذكاء النبي ﷺ باستخدام أسلوب التورية للإقناع بالأفضل، وما تقتضيه مصلحة:** ومثاله ما رواه عَلْقَمَةُ بْنُ وَائِلٍ، أَنَّ أَبَاهُ رضي الله عنه حَدَّثَهُ، قَالَ: إِنِّي لَقَاعِدٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ يَقُودُ آخَرَ بِنِسْعَةٍ [2]، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا قَتَلَ أَخِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَقَتَلْتَهُ؟» - فَقَالَ: إِنَّهُ لَوْ لَمْ يَعْتَرِفْ أَقَمْتُ عَلَيْهِ الْبَيِّنَةَ -قَالَ: نَعَمْ قَتَلْتُهُ، قَالَ: «كَيْفَ قَتَلْتَهُ؟» قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَهُوَ نَخْتَبِطُ مِنْ شَجَرَةٍ، فَسَبَّنِي، فَأَغْضَبَنِي، فَضَرَبْتُهُ بِالْفَأْسِ عَلَى قَرْنِهِ [3]، فَقَتَلْتُهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ لَكَ مِنْ شَيْءٍ تُؤَدِّيهِ عَنْ نَفْسِكَ؟» قَالَ: مَا لِي مَالٌ إِلَّا كِسَائِي وَفَأْسِي، قَالَ: «فَتَرَى قَوْمَكَ يَشْتَرُونَكَ؟» [4] قَالَ: أَنَا أَهْوَنُ عَلَى قَوْمِي مِنْ ذَاكَ، فَرَمَى إِلَيْهِ بِنِسْعَتِهِ، وَقَالَ: «دُونَكَ صَاحِبَكَ»، فَانْطَلَقَ بِهِ الرَّجُلُ، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ رَسُولُ اللهِ

---

[1] - البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ الدُّعَاءِ عَلَى المُشْرِكِينَ بِالهَزِيمَةِ وَالزَّلْزَلَةِ، رقم الحديث(2935)، (ج4، ص44)، وحديث رقم (6256-6257)، وحديث رقم (6395)، وحديث رقم (6401)، وحديث من رقم (6926-6928) ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب السَّلَامِ، بَابُ النَّهْيِ عَنِ ابْتِدَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ بِالسَّلَامِ وَكَيْفَ يُرَدُّ عَلَيْهِمْ، رقم الحديث (2165-2166)، (ج4، ص1706).

[2] - **النسعة:** ما ضفر من الأديم كالحبال. القاضي عياض، **إكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم**، (ج5، ص486).

[3] - **قرنه:** أي على جانب رأسه. القاضي عياض، **إكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم**، (ج5، ص486).

[4] - **قومك يشترونك:** من ولي الدم يخلصونك من القتل قصاصًا بأداء الدية عنك يعني يفادونك وينقذونك من القصاص بإعطائهم الدية عنك. الأُرَمي، **الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم** (ج18، ص388).

ﷺ: «إِنْ قَتَلَهُ فَهُوَ مِثْلُهُ»، فَرَجَعَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ قُلْتَ: «إِنْ قَتَلَهُ فَهُوَ مِثْلُهُ»، وَأَخَذْتُهُ بِأَمْرِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَا تُرِيدُ أَنْ يَبُوءَ بِإِثْمِكَ، وَإِثْمِ صَاحِبِكَ؟» قَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ – لَعَلَّهُ قَالَ – بَلَى، قَالَ: «فَإِنَّ ذَاكَ كَذَاكَ»، قَالَ: فَرَمَى بِنِسْعَتِهِ وَخَلَّى سَبِيلَهُ"[1].

يظهر ذكاء النبي ﷺ في الأسلوب الذي استخدمه في إقناع أخو القاتل بالعفو وذلك بأسلوب التعريض الذكي، فحاصله استخدام المعاريض، والتورية في الفتوى للمصلحة، وفي التعاريض مندوحة عن الكذب، وأن النبي ﷺ استخدم هذا الأسلوب في هذا الحديث في قوله: (إن قتله فهو مثله)، فهو بذلك يوهم ولي المقتول معنى آخر، قد يؤدي إلى خوفه، وعفوه عن القاتل وهو الذي حصل، والعفو مصلحة للولي، وللمقتول في دينهما، وفيه مصلحة للجاني، وهو إنقاذه من القتل، فلما كان العفو مصلحة توصل إليه بالتعريض [2].

فما يُفهم من الحديث أن يستخدم المعلم ذكائه في محاولة الوصول إلى المصلحة التي تقتضي إرضاء جميع الأطراف مع تحقيقها العدل، ولو كان ذلك من خلال أسلوب التعريض وليس التصريح كما في الحديث من فعل النبي ﷺ.

3. **شهادة الصحابة بذكاء أحدهم على الآخر، وأنه الأولى بإن يُسأل لذكائه وعلمه:** ومثاله ما رواه هُزَيْلٌ بْنُ شُرَحْبِيلَ، قَالَ: سُئِلَ أَبُو مُوسَى عَنْ بِنْتٍ وَابْنَةِ ابْنٍ وَأُخْتٍ، فَقَالَ: لِلْبِنْتِ النِّصْفُ، وَلِلْأُخْتِ النِّصْفُ، وَأْتِ ابْنَ مَسْعُودٍ، فَسَيُتَابِعُنِي، فَسُئِلَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَأُخْبِرَ بِقَوْلِ أَبِي مُوسَى فَقَالَ: لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ المُهْتَدِينَ، أَقْضِي فِيهَا بِمَا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ: «لِلِابْنَةِ النِّصْفُ، وَلِابْنَةِ ابْنٍ السُّدُسُ تَكْمِلَةَ الثُّلُثَيْنِ، وَمَا بَقِيَ فَلِلْأُخْتِ» فَأَتَيْنَا أَبَا مُوسَى فَأَخْبَرْنَاهُ بِقَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: لاَ تَسْأَلُونِي مَا دَامَ هَذَا الحَبْرُ فِيكُمْ"[3].

---

[1] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْقَسَامَةِ وَالْمُحَارِبِينَ وَالْقِصَاصِ وَالدِّيَاتِ، بَابُ صِحَّةِ الْإِقْرَارِ بِالْقَتْلِ، وَتَمْكِينِ وَلِيِّ الْقَتِيلِ مِنَ الْقِصَاصِ، وَاسْتِحْبَابِ طَلَبِ الْعَفْوِ مِنْهُ، رقم الحديث (1680)، (ج3، ص1307).

[2] – **يُنظر:** النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج11، ص173–174).

[3] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الفَرَائِضِ، بَابُ مِيرَاثِ ابْنَةِ الِابْنِ مَعَ بِنْتٍ، رقم الحديث (6736)، (ج8، ص151)، وحديث رقم (6741–6742).

في الحديث إقرار من أبي موسى بذكاء ابن مسعود رضي الله عنهما والشهادة له بعلمه، قال ابن بطال: "أن الحجة عند التنازع إلى سنة النبي (ﷺ) وأنه ينبغي للعالم الانقياد إليها، وأن صاحبها حبر ألا ترى شهادة أبى موسى لابن مسعود لما خصمه بالسنة أنه حبر، وفيه: ما كانوا عليه من الإنصاف والاعتراف بالحق لأهله وشهادة بعضهم لبعض بالعلم والفضل"[1].

المطلب الثاني: عمّن يُتلقّى العلم:

لا شك أن العلماء متفاوتون في قدراتهم العلمية فهم ليسوا على حالٍ واحدة من الفهم والإدراك، ومع كثرة التخصصات العلمية فهم على اختلاف في تخصصاتهم، فإذا ثبت أحدهم بأنه أهل وكفؤ بأن يُتلقى عنه العلم وأُشتهر بذلك في عصره، فهو لأنه أصبح متمكناً ومبرّزاً في علمه وتخصصه الذي درسه وبرع فيه، لذا ونحن نعيش في عصر التخصصات العلمية الدقيقة، كان لزاماً أن نتحدث عن الصفات العلمية التي يجب تواجدها في العالم.

وعلى هذا فينبغي للعالم أن يشير لنفسه بأنه أعلم من غيره وأحقٌ بأن يُتلقى عنه العلم، مع التواضع وعدم التكبر، وهذا ينطبق تماماً على ما جاء في القرآن الكريم على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴾مريم: 43، فكأن سيدنا إبراهيم عليه السلام قال "إن معي طائفة من العلم وشيئا منه ليس معك"[2].

أولاً: تلقي العلم عن المُبرّز في علمه:

لقد كان النبي ﷺ خير معلم، وفضائله لا حدود لها، فمن دعا إلى الهدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئٌ، فكيف من دعا أمة بأكملها، فأخرجها من ظلمات الجهل إلى نور العلم والهدى، فمثله كمثل الأرض الطيبة التي قبلت الماء فأنبتت من الكلأ والعشب الكثير، فصلواتُ ربي وسلامه عليك سيدي يا رسول الله، نشهد أنك بلّغت وعلّمت.

---

[1] – ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج8، ص351).

[2] – الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (ج3، ص19).

وبالنظر إلى الجيل الذي نشأ على يدي رسول الله ﷺ، نعلم أنه لا حدود للعلم والهدى الذي كان عليه ﷺ، فالصحابة رضوان الله عليهم كانوا خير جيل تلقى ووعي وفهم عن رسول الله ﷺ، فأصبح منهم العلماء المبرّزون في علمهم، وأصبح منهم المتخصص والخبير في جوانب معينة.

أ- مفهوم المُبرّز في العلم:

ويُعرف المبرّز بأنه: العالم الفطِن[1]، وقيل هو: النابغ والنابغة فِي علمه أَو فنه والعظيم الشَّأْن[2].

ولا بد لنا من ذكر وصية محمد بن سيرين رحمه الله، "قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ»"[3]، فبما أن شأن هذا العلم وهذا الدين عظيم فلا بد من أخذه عمن هو كفءٌ له، فالعالم المُبرّز في علمه هو كفؤ بالأخذ عنه، وبيان ذلك كالآتي:

ب- النماذج الدالة على تلقي العلم من قِبل الصحابة عن المُبرّز في علمه بينهم: منها:

1. **توجيه السؤال لمن عُرفَ بعلمه في قضيةٍ ما:** ومثاله ما رواه أَبُو حَازِمٍ رحمه الله، قَالَ: "سَأَلُوا سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ المِنْبَرُ؟ فَقَالَ: مَا بَقِيَ بِالنَّاسِ أَعْلَمُ مِنِّي، هُوَ مِنْ أَثْلِ الغَابَةِ عَمِلَهُ فُلاَنٌ مَوْلَى فُلاَنَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، «وَقَامَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ عُمِلَ وَوُضِعَ، فَاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ، كَبَّرَ وَقَامَ النَّاسُ خَلْفَهُ، ..."[4].

والشاهد قوله: (مَا بَقِيَ بِالنَّاسِ أَعْلَمُ مِنِّي)، فللعالم "إذا انفرد بعلمِ شيءٍ يقول ذلك ليؤدي إلى حفظه"[5]، وهذا يدل على أن الصحابي الجليل سهل بن سعد آخر من بقي من الصحابة علماً

---

[1] – **يُنظر:** الهروي، **تهذيب اللغة**، (ج1، ص25).

[2] – **يُنظر:** مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، **المعجم الوسيط**، دار الدعوة، (ط/بلا)، (ج2، ص898).

[3] – مسلم، **صحيح مسلم**، مقدمة الإمام مسلم رحمه الله، بَابُ في أَنَّ الْإِسْنَادَ مِنَ الدِّينِ وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات وأن جرح الرواة بما هو فيهم جائز بل واجب وأنه ليس من الغيبة المحرمة بل من الذب عن الشريعة المكرمة، (ج1، ص14).

[4] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الصَّلاَةِ، بَابُ الصَّلاَةِ فِي السُّطُوحِ وَالمِنْبَرِ وَالخَشَبِ، رقم الحديث (377)، (ج1، ص85).

[5] – العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج4، ص104).

بالقضايا المتعلقة بالمنبر، حيث يحمل قوله: (ما بقي بالناس أعلم مني)، "أي ما بقي من أهل المدينة مَن هو أعْلمْ بأخبار رسول الله ﷺ وآثاره من منبر وغيره مني لأنه آخر من مات بها من الصحابة"[1].

ويمكن حمل قوله على احتمالين، الأول: أنه لم يتبقَّ من هو أعلم منه بهذه المسألة، لأكثر من سبب، كأن يكون استفسر كثيراً من النبي ﷺ حول هذه القضية مثلاً، أو كأن يُحتمل يكون شهد صناعة المنبر وعمل به، فلهذا كان هو الأعلم والأوثق في هذه المسألة فكان السؤال موجه إليه دون غيره، وذلك لشهرته بالعلم في هذه المسألة، وأما الاحتمال الثاني: أنه لم يتبقَّ من هو أعلم منه لأنه آخر من مات من الصحابة، وقد يُحمل ذلك على أنه آخر من مات من الصحابة علماً بهذه المسألة، فقيل أنه مات سنة 91هجري، وقيل سنة 88هجري [2].

والاحتمالين مقصدهما واحد، فسواء كان هو الأعلم لكثرة علمه بهذه المسألة، أو هو الأعلم لأنه لم يتبقَ غيره من يعلم بهذه المسألة، فالمهم تحقيق الهدف وهو سؤال العالم المُبرِّز في علمه، بحيث يكونُ أهلاً في الجانب العلمي الذي نريد أن نسأل ونستفسر عنه.

2. **إشارة العالم لنفسه بأنه الأعلم بالمسألة المطروحة إذا أُجيب عليها بشكلٍ خاطئ:** ومثاله ما رواه أَبِو شُرَيْحٍ العَدَوِيّ رحمه الله، أَنَّهُ قَالَ لِعَمْرِو بْنِ سَعِيدٍ وَهُوَ يَبْعَثُ البُعُوثَ إِلَى مَكَّةَ: ائْذَنْ لِي أَيُّهَا الأَمِيرُ أُحَدِّثْكَ قَوْلًا قَامَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْغَدِ مِنْ يَوْمِ الفَتْحِ، ...فَقِيلَ لِأَبِي شُرَيْحٍ: مَا قَالَ لَكَ عَمْرٌو؟ قَالَ: أَنَا أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنْكَ يَا أَبَا شُرَيْحٍ، ..."[3].

---

[1] – الشيخ حمزة محمد قاسم، **منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري**، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق –الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف –المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1410 هـ –1990 م، (ط/بلا)، (ج1، ص396).

[2] – **يُنظر**: البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله (ت: 256هـ)، **التاريخ الكبير**، الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، (ط/بلا)، (ج4، ص97–98).

[3] – البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب جزاء الصيد، بَابٌ: لاَ يُعْضَدُ شَجَرُ الحَرَمِ، رقم الحديث (1832)، (ج3، ص14)، وكِتَابُ المَغَازِي، باب، رقم الحديث (4295)، (ج5، ص149)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْحَجِّ، بِبَابُ تَحْرِيمِ مَكَّةَ وَصَيْدِهَا وَخَلَاهَا وَشَجَرِهَا وَلُقَطَتِهَا، إِلَّا لِمُنْشِدٍ عَلَى الدَّوَامِ، رقم الحديث (1354)، (ج2، ص987).

فقوله: (أَنَا أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنْكَ يَا أَبَا شُرَيْحٍ)، يعني أنك قد صح سماعك ولكنك لم تفهم المراد منه[1]، ويُستفاد من ذلك أن للعالم أذا رأى أنه أعلم وأثبت من الطرف الأخر فلا بد أن يشير إلى ذلك، وإلاّ كان سكوته أشد ضرر، فقد يُفهم ما يقوله الطرف الأخر بشكل خاطئ، فيؤدي ذلك إلى إشكال عند العوام من الحضور، فيجب على العالم أن يبين الفهم الصحيح وأن ينص على الخطأ لبيان ما هو صواب.

3. **شهادة الصحابة لعبد الله بن مسعود، وشهادته لنفسه بعلمه في القرآن:** وأمثلة ذلك:

- ما رواه مَسْرُوق رحمه الله، قَالَ: ذُكِرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، فَقَالَ: ذَاكَ رَجُلٌ لاَ أَزَالُ أُحِبُّهُ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «خُذُوا القُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ –فَبَدَأَ بِهِ ..."[2].

- وما رواه هو نفسه أَنَّهُ قَالَ: {وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [آل عمران: 161] ثُمَّ قَالَ: عَلَى قِرَاءَةِ مَنْ تَأْمُرُونِي أَنْ أَقْرَأَ؟ فَلَقَدْ «قَرَأْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً، وَلَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَنِّي أَعْلَمُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا أَعْلَمُ مِنِّي لَرَحَلْتُ إِلَيْهِ» قَالَ شَقِيقٌ: فَجَلَسْتُ فِي حَلَقِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا يَرُدُّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَلَا يَعِيبُهُ"[3].

وهذا يدل على كون الصحابي عبد الله بن مسعود أعلم وأثبت شخص في زمانه في كتاب الله بعد النبي ﷺ، ففي الرواية الأولى دلالة على أفضليته من الصحابة الأربعة الذين حث النبي ﷺ

---

[1] – **يُنظر**: الأُرَمي، **الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم** (ج15، ص73)، والقسطلاني، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، (ج3، ص305).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب مناقب الأنصار، بَابُ مَنَاقِبِ أُبَيّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم الحديث (3808)، (ج5، ص36)، وكِتَابُ فَضَائِلِ القُرْآنِ، بَابُ القُرَّاءِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رقم الحديث (4999)، (ج6، ص186)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَأُمِّهِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا، رقم الحديث (2464)، (ج4، ص1913).

[3] – مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَأُمِّهِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا، رقم الحديث (2462)، (ج4، ص1912).

على الأخذ عنهم فيما يخص القرآن لأنه بدأ به أولاً، ونظراً لما جاء في الرواية الثانية من شهادته لنفسه بعلمه في القرآن، لقوله: (أَنِّي أَعْلَمُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا أَعْلَمُ مِنِّي لَرَحَلْتُ إِلَيْهِ).

ويُستفاد من ذلك ذكر العالم حال نفسه، ومنزلته من العلم وشبهه من الفضائل إذا دعت إلى ذلك ضرورة، وليس من باب ثناء الإنسان على نفسه والإعجاب بها [1].

ج- طرق معرفة العالم المبرّز في العلم، من وجهة نظر الباحث استنتاجاً كما توضح أحاديث المطلب: هي:

1. شهادة الغير له بكثرة علمه، وتميّزه بالجانب الذي بَرَزَ فيه.
2. إقراره لنفسه بعلمه إذا استدعى الأمر لذلك، مع تزكية النفس والتواضع.
3. الحصول على الشهادات العلمية المتقدمة، وكتابة المؤلفات والأبحاث التي تثبت ذلك.

ثانياً: تلقي العلم عن الخبير والمتخصص:

لا شك أن الإنسان لا يولد خبيراً ولا متخصصاً، وإنما ذلك يُكتسب من الممارسة والمتابعة للعلم وأهله، فملازمة العلماء وحضور مجالسهم والحرص على كل صغيرة وكبيرة في العلم، هو ما يعطي الإنسان الخبرة الكبيرة في الجانب الذي اختاره وتابعه، وكذا المتخصص فلا بد له من اختيار فن معين وجانب يخصصه لنفسه من العلوم، يبدأ في دراسة تخصصه الذي اختاره لكي يصبح بارزاً في تخصصه الذي كان مبتغاه من علمه، فالخبير لا بد أن تكون له خبرة في جانب معين يتخصص به، والمتخصص لا يصبح ذو تخصص إلا إذا أصبح لديه الخبرة الكافية فيه.

أ- النماذج الدالة على تلقي العلم من قِبل الصحابة عن الخبير والمتخصص: منها:

1. **إحالة الأمر إلى من يخصّهُ لأنه أعلم بحاله من غيره:** ومثال ذلك ما ذكره البخاري من الأقوال في بداية باب (إذا حاضت في شهرٍ ثلاثَ حِيَضٍ)، "لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ

[1] – **يُنظر:** القاضي عياض، **إِكمَالُ المُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِم**، (ج7، ص488).

أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ} [البقرة: 228] وَيُذْكَرُ عَنْ عَلِيٍّ، وَشُرَيْحٍ: «إِنِ امْرَأَةٌ جَاءَتْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ بِطَانَةِ أَهْلِهَا مِمَّنْ يُرْضَى دِينُهُ، أَنَّهَا حَاضَتْ ثَلاَثًا فِي شَهْرٍ صُدِّقَتْ» وَقَالَ عَطَاءٌ: «أَقْرَاؤُهَا مَا كَانَتْ وَبِهِ» قَالَ إِبْرَاهِيمُ: وَقَالَ عَطَاءٌ: «الحَيْضُ يَوْمٌ إِلَى خَمْسَ عَشْرَةَ» وَقَالَ مُعْتَمِرٌ: عَنْ أَبِيهِ: سَأَلْتُ ابْنَ سِيرِينَ عَنِ المَرْأَةِ تَرَى الدَّمَ بَعْدَ قُرْئِهَا بِخَمْسَةِ أَيَّامٍ؟ قَالَ: «النِّسَاءُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ»"[1].

ومجموع الأقوال التي ذكرها البخاري في بداية الباب ناتجة عن اختلاف أقوال العلماء في المسألة، وأما قول ابن سيرين فهو ما نريده، وهو عندما سُئل عن المرأة ترى الدم بعد قرئها بخمسة أيام، فأجاب أن النساء أعلم بذلك، ومعنى كلامه هذا "يعني التمييز بين الدمين راجع إليها، فيكون المرئي في أيام عادتها حيضاً، وما زاد على ذلك استحاضة، فإن لم يكن لها علم بالتمييز يكون حيضها ما تراه إلى أكثر مدة الحيض، وما زاد عليها يكون استحاضة"[2].

فقوله: (النساء أعلم بذلك)، أي أن النساء هن أخبر وأعلم بحالهن كون هذا الشيء يختص بهن دون الذكور، وكون أن لكل امرأة حالة قد تختلف عن غيرها من النساء، فهذا الشيء يرجع إلى كل امرأة على حدة، وليس حكماً عاماً لجميع النساء، أو لمجموعة معينة من النساء دون غيرهن، فكل امرأة خبيرة بذاتها.

2. **إحالة عائشة للمسألة لعلي بن أبي طالب لخبرته بالمسح لكثرة سفره مع النبي ﷺ:** ومثاله ما رواه شُرَيْحٌ بْنُ هَانِئ، قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ أَسْأَلُهَا عَنِ الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ، فَقَالَتْ: عَلَيْكَ بِابْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَسَلْهُ فَإِنَّهُ كَانَ يُسَافِرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلْنَاهُ فَقَالَ: «جَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ لِلْمُسَافِرِ، وَيَوْمًا وَلَيْلَةً لِلْمُقِيمِ»"[3].

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الحَيْض، بَابُ إِذَا حَاضَتْ فِي شَهْرٍ ثَلاَثَ حِيَضٍ، وَمَا يُصَدَّقُ النِّسَاءُ فِي الحَيْضِ وَالحَمْلِ، فِيمَا يُمْكِنُ مِنَ الحَيْضِ، (ج1، ص72).

[2] – العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج3، ص308).

[3] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابِ الطَّهَارَةِ، بَابُ التَّوْقِيتِ فِي الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ، رقم الحديث (276)، (ج1، ص232).

فإحالة عائشة بسؤال شريح إلى علي بن أبي طالب كونه أعلم منها في هذا الجانب وهذا التخصص، "فيستحب للمحدث وللمعلم والمفتي إذا طلب منه ما يعلمه عند أجل منه أن يرشد إليه وإن لم يعرفه قال اسأل عنه فلاناً"[1].

ولمّا كان علي بن أبي طالب ذا خبرة في هذه المسألة، بسبب كثرة سفره مع النبي ﷺ ومشاهدته لما يفعله من أحكام في سفره، كان هو أهلاً لهذه المسألة لخبرته بها، وفي هذا درس من عائشة رضى الله عنها لمن بعدها من العلماء والمتعلّمين، حيث سُئلت عن المسح على الخفين، فكان جوابها بأنُ يسأل عليّ عن هذه القضية، مع العلم أنه قد يكون لها إطلاع على الموضوع ولو بشكل بسيط، ولكنها أحالت السائل إلى من هو أخبر منها في هذا الجانب، لسبب كثرة مرافقته للنبي ﷺ في سفره، فالخبير والمتخصص أولى من غيره بالجواب لأنه على إطلاع بكامل التفاصيل المتعلقة بالمسألة المطروحة.

3. **إخبار العالم نفسه بأنه هو صاحب الخبرة في السؤال الذي طُرِحَ عليه:** وأمثلة ذلك:

- ما رواه أَبو مُوسَى رضي الله عنه، قَالَ: اخْتَلَفَ فِي ذَلِكَ رَهْطٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَالْأَنْصَارِ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّونَ: لَا يَجِبُ الْغُسْلُ إِلَّا مِنَ الدَّفْقِ أَوْ مِنَ الْمَاءِ. وَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ: بَلْ إِذَا خَالَطَ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ، قَالَ: قَالَ أَبُو مُوسَى: فَأَنَا أَشْفِيكُمْ مِنْ ذَلِكَ فَقُمْتُ فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَأُذِنَ لِي، فَقُلْتُ لَهَا: يَا أُمَّاهْ –أَوْ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ –إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكِ عَنْ شَيْءٍ وَإِنِّي أَسْتَحْيِيكِ، فَقَالَتْ: لَا تَسْتَحْيِي أَنْ تَسْأَلَنِي عَمَّا كُنْتَ سَائِلًا عَنْهُ أُمَّكَ الَّتِي وَلَدَتْكَ، فَإِنَّمَا أَنَا أُمُّكَ، قُلْتُ: فَمَا يُوجِبُ الْغُسْلَ؟ **قَالَتْ عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطْتَ**، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعَبِهَا الْأَرْبَعِ وَمَسَّ الْخِتَانُ الْخِتَانَ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ»"[2].

---

[1] – النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج3، ص176)، والأُرَمي، **الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم**، (ج6، ص19).

[2] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْحَيْضِ، بَابُ نَسْخِ الْمَاءُ مِنَ الْمَاءِ وَوُجُوبِ الْغُسْلِ بِالْتِقَاءِ الْخِتَانَيْنِ، رقم الحديث (349)، (ج1، ص271).

- وما رواه مُوسَى بْنُ سَلَمَةَ الْهُذَلِيُّ، قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وَسِنَانُ بْنُ سَلَمَةَ، مُعْتَمِرَيْنِ قَالَ: وَانْطَلَقَ سِنَانٌ مَعَهُ بِبَدَنَةٍ يَسُوقُهَا، فَأَزْحَفَتْ عَلَيْهِ بِالطَّرِيقِ، فَعَيِيَ بِشَأْنِهَا إِنْ هِيَ أُبْدِعَتْ كَيْفَ، يَأْتِي بِهَا فَقَالَ: لَئِنْ قَدِمْتُ الْبَلَدَ لَأَسْتَحْفِيَنَّ عَنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَأَضْحَيْتُ، فَلَمَّا نَزَلْنَا الْبَطْحَاءَ، قَالَ: انْطَلِقْ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ نَتَحَدَّثْ إِلَيْهِ، قَالَ: فَذَكَرَ لَهُ شَأْنَ بَدَنَتِهِ **فَقَالَ: عَلَى الْخَبِيرِ سَقَطْتَ** بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِستَّ عَشْرَةَ بَدَنَةً مَعَ رَجُلٍ وَأَمَّرَهُ فِيهَا، قَالَ: فَمَضَى ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ أَصْنَعُ بِمَا أُبْدِعَ عَلَيَّ مِنْهَا، قَالَ: «انْحَرْهَا، ثُمَّ اصْبُغْ نَعْلَيْهَا فِي دَمِهَا، ثُمَّ اجْعَلْهُ عَلَى صَفْحَتِهَا، وَلَا تَأْكُلْ مِنْهَا أَنْتَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ رُفْقَتِكَ»"[1].

فقول عائشة وابن عباس (على الخبير سقطت)، أي معناه "صادفت خبيراً بحقيقة ما سألت عنه عارفاً بخَفيّه وجليّه حاذقاً فيه، وفيه دليل لجواز ذكر الإنسان بعض ممادحته للحاجة، وإنما ذكر ابن عباس ذلك ترغيبا للسامع في الاعتناء بخبره وحثاً له على الاستماع له وأنه علم محقق"[2].

فإقرار عائشة وابن عباس رضي الله عنهم، بأنهم أهلُ خبرةٍ لِما طُرح أمامهم ولِما سُئلوا عنه، جاء بثقتهم بأنفسهم وشهادة الغير لهم بسؤالهم والرجوع إليهم، فجعلهم يجيبون على ما هم خبيرين فيه، فالخبرة لا بد أن تمر في عدة عوامل ليجعلها مكتسبة مع الوقت منها الملازمة والصحبة، وهنا لم يكن ملازمةً للنبي ﷺ أكثر من عائشة زوجته وابن عباس رضي الله عنهم، فهذا ساعدهم على اكتساب الخبرة لكل منها في جانبٍ معينٍ كما أُشتهر عنهم.

والتلقي عن الدكتور الجامعي والمعلم في المدرسة هو أيضاً ينطبق مع ما جاء في هذا المطلب، فالدكتور والأستاذ كل منها خبير ومتخصص في الجانب الذي يدرّسه، وقد يكونون من أشهر الأعلام والمبرّزين في مجتمعهم لهذا تم اختيارهم في موقع المعلم ذوي الخبرة والاختصاص.

---

[1] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْحَيْضِ، بَابُ مَا يَفْعَلُ بِالْهَدْيِ إِذَا عَطِبَ فِي الطَّرِيقِ، رقم الحديث (1325)، (ج2، ص962).

[2] – النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج4، ص41)، و(ج9، ص77)، و(ج16، ص17)، والسيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: 911هـ)، **الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج**، حقق أصله، وعلق عليه: أبو اسحق الحويني الأثري، دار ابن عفان للنشر والتوزيع – المملكة العربية السعودية – الخبر، (ط/1، 1416 هـ – 1996 م)، (ج2، ص99)، والأُرَمي، **الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم**، (ج14، ص381).

ب- الصفات التي يجب أن يمتلكها العالم ليكون مبرّزاً ومتخصّصاً في علمه، كما وضحت السُنَّة النَّبويَّة، باستنتاج الباحث، هي:

1. الإمكانيات والقدرات العقلية التي تجعله من أعلم أهل زمانه بإثبات النفس وإقرار واعتراف أهل العلم والناس بذلك من حوله كما فعل النبي صلى الله عيه وسلم مع ابن مسعود.

2. الاهتمام بمجالس العلماء والحرص على ملازمتهم والتحلي بصفاتهم وأخلاقهم.

3. عدم الحياء في السؤال والشرح والإجابة ومحاولة معرفة كل التفاصيل التي تخص المسألة المراد تَعلُمها.

4. مدح النفس والقول بما عندها من العلم والفضيلة وذلك للحاجة.

الفصل الثالث

محاذير في تلقّي العلم وتعليمه

وفيه مبحثان

المبحث الأول: محاذير في تلقّي العلم وطلبه.

المبحث الثاني: محاذير في التعليم.

الفصل الثالث

محاذير في تلقّي العلم وتعليمه في السُنَّة النَّبويَّة

جاءت بعض أحاديث السنّة النبويّة تحذر من العوائق في العملية التعليمية، سواء في طلب العلم أو في تعليمه، وسواء كانت هذه الموانع مُتعَّمدة من الطالب نفسه كعدم الإخلاص، والتكلف في السؤال من غير حاجة، أو غير متعمدة كالتأثر بالعوامل المحيطة، أو مكتسبة من البيئة والناس حوله، مثل الخجل والنسيان، وأما محاذير التعليم والتي تتمثل في كتمان العلم وإخفائه عن الطلاب سواء من العالم أو الطلاب بين بعضهم البعض، كلُ ذلك تحدثت عنه السُنَّة وفق المنهج المتوازن بين إيجاد الدافعية نحو التعلّم، والمحاذير التي لا بد وأن تُراعى أثناء تلقي العلم.

المبحث الأول

محاذير في تلقّي العلم في السُنَّة النَّبويَّة

حذَّر النبي ﷺ من الموانع التي تقف في وجه طالب العلم، وتشكّل عائقاً أمامه في مرحلة تلقي العلم وطلبه، فهذه سنّة الله في تلقي العلم، بحيث لا يخلوا طريق العلم من بعض الصعوبات والعوائق، ليميز الله الخبيث من الطيب، ولكي يتجنب طالب العلم هذه العوائق، لا بد من بيانها من خلال المنهج النبويّ التعليميّ، وذلك مما يأتي:

المطلب الأول: الخجل:

يُعد الخجل من المحاذير التي تقف في وجه المتعلّمين بحيث تحول بينهم وبين وصول المعلومات وفهمها، خلال المرحلة التعليمية التي يعيشها على اختلاف نوع الدراسة والتخصص، وبيان ذلك كآلاتي:

أولاً: مفهوم الخجل، والفرق بينه وبين الحياء:

يُقصد بالخجل: هو "تغيرّ وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يذمّ به"[1].

وأما الحياء: "فهو الانقباض بتغيير الأحوال، وحدوث الحوادث فيمن يتغير به"[2].

وأما الفرق بينه وبين الحياء: فهو إما أن يكونَ محموداً كحياء عثمان بن عفان رضي الله عنه، الذي استحيت منه الملائكة [3]، وإما مذموماً وهو ما يسمى بالخجل، كأن يكون مانعاً من طلب العلم، فالطالب الخجول يحمل في طياته نوعاً من ذم سلوكه؛ لأن الخجل بحد ذاته هو حالة عاطفية أو انفعالية معقدة، تنطوي على شعور بالنقص والعيب، إلى جانب أنه لا يبعث على

---

[1] – العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج2، ص34).

[2] – ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج1، ص211).

[3] – **يُنظر:** مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رقم الحديث (2401)، (ج4، ص1866).

الارتياح أو الاطمئنان في النفس[1]، فهذه الحالة تعكس الانبعاث السلبيّ الذي يشعر به الطالب، فيؤثر ذلك على تحصيله الدراسي وعلى طريقة تلقّيه وطلبه للعلم.

ثانياً: أثر الخجل على تحصيل العلم:

وأما الآثار التي أشار إليها الباحث ومن شأنها أنها تحد من التحصيل العلمي لدى المتعلّمين، فهي:

1. يحد الخجل من وصول المعلومة للمتعلّم بالشعور بالنقص الداخلي الذي ينتاب الطالب الخجول، وبالتالي ضعف التحصيل الدراسي.

2. انعكاس حالة سلبية من المتعلّم على باقي المتعلّمين، وبالتالي التأثير على العملية التعليمية.

3. التأثير السلبي على نفسية المتعلّم وبالتالي على طريقه تلقيه وطلبه للعلم.

ثالثاً: النماذج الدالة على الخجل في السُنَّة النَّبويَّة: منها:

1. **باب الحياء في العلم:** وأمثلة ذلك:

- ما روته أُمُّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ، فَهَلْ عَلَى المَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا احْتَلَمَتْ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا رَأَتِ المَاءَ» فَغَطَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ، تَعْنِي وَجْهَهَا، وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَتَحْتَلِمُ المَرْأَةُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، تَرِبَتْ يَمِينُكِ، فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا»"[2].

- وما رواه ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ المُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ» فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ البَوَادِي قَالَ عَبْدُ

---

[1] – شبكة فلسطين اليوم، اسم المقال: **الخجل مشكلة تربوية... نهايتها ضعفٌ في التحصيل الدراسي كتابة البيان الإمارتية**، تاريخ النشر: الإثنين 30 ديسمبر 2013 05:22 م، (http://paltoday.tv/post).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ الحَيَاءِ فِي العِلْمِ، رقم الحديث (130)، (ج1، ص38)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْحَيْضِ، بَابُ وُجُوبِ الْغُسْلِ عَلَى الْمَرْأَةِ بِخُرُوجِ الْمَنِيِّ مِنْهَا، رقم الحديث (313)، (ج1، ص251).

اللَّهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ»"[1].

وقد بَوّبَ الإمام البخاري الروايتين تحت باب (بَابُ الحَيَاءِ فِي العِلْمِ)، وذلك لاشتمالهما على مقصدٍ واحد، حيث افتتح الباب كعادته بفقهه الواسع في ترجمة رائعة، وهي: "قَالَ مُجَاهِدٌ: «لاَ يَتَعَلَّمُ العِلْمَ مُسْتَحْيٍ وَلاَ مُسْتَكْبِرٌ» وَقَالَتْ عَائِشَةُ: «نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ لَمْ يَمْنَعْهُنَّ الحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ»"[2].

فأراد البخاري بهذا الباب "ليبين أن الحياء المانع من طلب العلم مذموم، فالحياء المذموم في العلم هو الذي يبعث على ترك التعلم، ولذلك بدأ بقول مجاهد وعائشة، وأما إذا كان الحياء على جهة التوقير والإجلال فهو حسن كما فعلت أمُّ سلمة حين غطّت وجهها، وقولها: إن الله لا يستحيي من الحق"[3].

فهذا يدلنا على أن الخجل على هذا النحو وهذه الصورة التي ذُكرت في الحديثين مذموم؛ لأنه يشكّل عائقاً في العملية التعليمية، حيث حال بين طالب العلم ووصول المعلومة له، فمجرد الإحساس بالخجل في العلم هو عائق، فكيف إذا كان هذا جزءاً من شخصية المتعلّم.

2. **الخجل من المعلّم لسببٍ أدبي كوجود رابط بين العالم والمتعلّم:** ومثاله ما رواه مُحَمَّدٌ بْنُ الحَنَفِيَّةِ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ كُنْتُ رَجُلًا مَذَّاءً[4] فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَمَرْتُ المِقْدَادَ بْنَ الأَسْوَدِ فَسَأَلَهُ فَقَالَ: «فِيهِ الوُضُوءُ»"[5].

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ الحَيَاءِ فِي العِلْمِ، رقم الحديث (131)، (ج1، ص38)، وحديث رقم(62)، و(72)، و(61)، و(2209)، و(4698)، و(5444)، و(5448)، و(6122)، و(6144)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابُ مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّخْلَةِ، رقم الحديث (2811)، (ج3، ص2164).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ الحَيَاءِ فِي العِلْمِ، (ج1، ص38).

[3] – ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج1، ص210).

[4] – **مذاء**: من المذي، وهو ماء رقيق يخرج عند الملاعبة. القرطبي، **اختصار صحيح البخاري وبيان غريبه**، (ج1، ص67).

[5] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الوُضُوءِ، بَابُ مَنْ لَمْ يَرَ الوُضُوءَ إِلَّا مِنَ المَخْرَجَيْنِ: مِنَ القُبُلِ وَالدُّبُرِ، رقم الحديث (178)، (ج1، ص46)، وكِتَابُ الغُسْلِ، بَابُ غَسْلِ المَذْيِ وَالوُضُوءِ مِنْهُ، رقم الحديث (269)، (ج1، ص62)، وحديث رقم (132)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْحَيْضِ، بَابُ الْمَذْيِ، رقم الحديث (303)، (ج1، ص247).

لعل حياء علي رضي الله عنه، دفعه لأن يُرسِل المقداد بن الأسود لكي يسأل عن مسألةٍ علميةٍ شرعية، وقد يكون المبرر أدبياً، لكن أحياناً قد يصبح مانعاً من تحصيل العلم وتنميته، فخجل علي رضي الله عنه قد يكون لسبب أدبي؛ لأن المتعارف أن "المذي يخرج عند المداعبة فاستحى من السؤال بحضرة أبيها احتراماً له ﷺ واحتراماً لزوجته [1].

وقد يكون الحياء محموداً في مواقف معينة، ولكنه مع الوقت قد ينقلب من عملية إيجابية إلى سلبية، مهما اختلف الموقف ومهما اختلفت الصورة، وذلك من خلال تكرار وتعدد مثل هذه المواقف، فقد يصبح جزءاً ملازماً من شخصية المتعلّم، فالحياء صفة مكتسبة فإذا أظهر المتعلّم هذه الصفة في أكثر من موقف، فسوف يؤثر ذلك على شخصيته العلمية وبالتالي على طلبه وتحصيله للعلم.

وهذا أيضاً يُحمل على ما جاء في حديث النفر الثلاثة، وهو: عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: "أَلاَ أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلاَثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَآوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ"[2].

فاختلف العلماء في الاستحياء هنا، فحمله البعض على "أن من قصد العلم، ومجالسه، فاستحيا ممن قصده، ولم يمنعه الحياء من التعلم، ومجالسة العلماء، أن الله يستحى منه فلا يعذبه جزاء استحيائه"[3]، وقيل معناه "استحيى من الذهاب عن المجلس، كما فعل رفيقه الثالث، فقوله: (فاستحيى منه): أي جازاه بمثل فعله بأن رحمه ولم يعاقبه، وهذا أيضا من باب المشاكلة؛ وذلك لأن الحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يذم به"[4].

---

[1] – **يُنظر:** النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج3، ص214).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ مَنْ قَعَدَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ المَجْلِسُ، وَمَنْ رَأَى فُرْجَةً فِي الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، رقم الحديث (66)، (ج1، ص24)، وحديث رقم (474)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب السَّلَامِ، بَابُ مَنْ أَتَى مَجْلِسًا فَوَجَدَ فُرْجَةً فَجَلَسَ فِيهَا وَإِلَّا وَرَاءَهُمْ، رقم الحديث (2176)، (ج4، ص1317).

[3] – ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج1، ص148).

[4] – العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج2، ص34).

المطلب الثاني: النسيان:

يُعد النسيان من أشد الآفات التي قد يتعرض لها طلبة العلم على تفاوتٍ بينهم، وذلك لاختلاف العوامل المؤثرة والبيئة المحيطة بكل طالب، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ ﴾ الكهف: 63، فالنسيان آفة كل زمان، وبيان ذلك كآلاتي:

أولاً: مفهوم النسيان:

يُعرف النسيان بأنه: "فقدٌ للذاكرة وَهِي عاهة تنشأ عَن اضْطِرَاب، أَو عطَب فِي المخ، أَو عَن اضْطِرَاب شَدِيد فِي الْحَيَاة الْعَقْلِيَّة، يسببه القلق أَو الصراع النفساني"[1].

فهذه الآفة تشكل عائقاً يقف في وجه طلب العلم، والنبي ﷺ حذر من التساهل والغفلة التي تؤدي إلى كثرة النسيان في حفظ القرآن، وينطبق هذا على سائر العلوم، فالمذاكرة والمتابعة تولّد الحفظ والنبوغ في العلم، والإهمال والتساهل يؤدي إلى النسيان والضياع.

ثانياً: ونستنتج من أحاديث الموضوع أهم آثار النسيان على تلقي العلم وتعليمه، وهي:

1. يشكل النسيان عائقاً كبيراً للمتعلّم في عمليتي تلقي العلم وتعليمه، بحيث يؤثر على تحصيله الدراسي وتراجعه، لِما يحول بينه وبين وصول المعلومة.
2. يعمل على تشتت المتعلّم وضياع تركيزه.
3. يعكس النسيان شعوراً سلبياً لدى المتعلّم، بإحساسه بعدم القدرة على متابعة العملية التعليمية، من ثم التأثير عليه نفسياً.

[1] – مجمع اللغة العربية بالقاهرة، **المعجم الوسيط**، (ج2، ص920).

ثالثاً: النماذج الدالة على النسيان في السُنَّة النَّبويَّة، وأمثلتها:

1. **الشكوى من النسيان مع كثرة السماع:** ومثاله ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَسْمَعُ مِنْكَ حَدِيثًا كَثِيرًا أَنْسَاهُ؟ قَالَ: «ابْسُطْ رِدَاءَكَ» فَبَسَطْتُهُ، قَالَ: فَغَرَفَ بِيَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «ضُمَّهُ» فَضَمَمْتُهُ، فَمَا نَسِيتُ شَيْئًا بَعْدَهُ"[1].

فشكوى أبي هريرة للنبي ﷺ من النسيان مع كثرة السماع، كان دافعاً لدعاء يخصه به النبي ﷺ، وتميزاً على مدار التاريخ بالحفظ والعلم.

فلا شكَ أن النسيان آفة، بل وقال العلماء أن النسيان جهلٌ بعد العلم، فهو زوالٌ عن الحافظة المدركة، وهو حالة تعتري الإنسان من غير اختياره توجب غفلته عن الحفظ، والغفلة ترك الالتفات بسبب أمر عارض [2]، فهي تشكل عائقاً يمنع من الاستمرار في العملية التعليمية؛ لِما له من تأثيرٍ على تلقي العلم.

2. **التحذير من الغفلة التي تؤدي إلى النسيان:** ومثاله ما رواه عَبْدُ اللَّهِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " بِئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ يَقُولُ: نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ، بَلْ هُوَ نُسِّيَ"[3].

في الحديث تحذير من النبي ﷺ وتنبيه من بعض الأمور التي تساهم في النسيان، حيث "يكرهه قول نسيت آية كذا وهي كراهة تنزيه، وأنه لا يكره قول أُنسيتها، وإنما نهي عن نسيتها؛ لأنه يتضمن التساهل فيها والتغافل عنها"[4]، وهذا يقاس على جميع العلوم، فالاهتمام بالعلم ومتابعة جميع مُستجداته يساعد على تنشيط الذاكرة، وأما الإهمال والتساهل والغفلة يؤدي إلى نسيان العلم وغيابه.

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ حِفْظِ العِلْمِ، رقم الحديث (119)، (ج1، ص35)، وحديث رقم (3648).

[2] – **يُنظر:** العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج2، ص183).

[3] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ فَضَائِلِ القُرْآنِ، بَابُ نِسْيَانِ القُرْآنِ، وَهَلْ يَقُولُ: نَسِيتُ آيَةَ كَذَا وَكَذَا، رقم الحديث (5039)، (ج6، ص194)، وحديث رقم (5032)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ الْأَمْرِ بِتَعَهُّدِ الْقُرْآنِ، وَكَرَاهَةِ قَوْلِ نَسِيتُ آيَةَ كَذَا، وَجَوَازِ قَوْلِ أُنْسِيتُهَا، رقم الحديث (790)، (ج1، ص544).

[4] – النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج6، ص76).

ولعل النسيان في أيامنا هذه أكثر منه في السابق على عهد النبي ﷺ والصحابة والتابعين من بعده؛ لاختلاف البيئة، وزيادة التطور العلمي والتكنولوجي الذي جعل أغلب طلبة العلم يعتمدون على الأجهزة الإلكترونية بشكل كامل، وعدم إعمال الذهن والعقل في الكثير من المسائل العلمية، وكذلك المُلهيات والتحسينات أصبحت شيئاً أساسياً عند الكثير من الناس، فكل ذلك يساهم في التشتت وعدم التركيز والضياع، وأما البيئة التي نشأ فيها النبي صلى الله عيله وسلم والصحابة فعُرفت بالبساطة وقلة الاختلاط وهذا كله يساعد على صفاء الذهن وقوة الحفظ.

فعلى هذا ينبغي لطلبة العلم عدم التركيز الكلي على هذه الأجهزة مع عدم إهمالها بالكمال لضرورتها في إيامنا هذه، ومحاولة التركيز على قراءة الكتب، وكتابة ما يحتاجه من العلم بخط يده على أوراق تخصه، ويصونها من التلف، وأن يحافظ عليها، وإعمال العقل والذهن في الكتابة والقراءة الورقية، لِما تعود على طالب العلم من عظيم الفائدة في تذكر كل ما كتبه وعدم تشتته.

المطلب الثالث: عدم الإخلاص:

لا شك أن العلم يحتاج إلى نيةٍ صادقةٍ وعزيمةٍ داخلية ذات قوة كبيرة؛ لكي يتمكن طالب العلم من التغلب على كل ما يؤثر عليه، سواء وسواسه الداخلي، أو أي ضغوطات خارجية، لهذا قال النبي ﷺ: "إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى..."[1]، فَذَكَرَ أهمية النية الصادقة، وشدد في التحذير من عدم الإخلاص وترك العمل بالعلم، فالإخلاص يكون لله وحده، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ البينة: 5.

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، بَابُ بَدْءِ الوَحْيِ، كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟، رقم الحديث (1)، (ج1، ص6)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ»، وَأَنَّهُ يَدْخُلُ فِيهِ الْغَزْوُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ، رقم الحديث (1907)، (ج5، ص1515).

أولاً: مفهوم الإخلاص:

يُعرّف الإخلاص: في اللغة ترك الرياء في الطاعات، وفي الاصطلاح: تخليص القلب عن شائبة الشوب المكدر لصفاته[1]، وقيل: الإخلاص: أن يقصد بما يفعله وجه الله متعريا عن الالتفات إلى غيره[2].

وعدم الإخلاص هو فعلُ خلاف ذلك، حيث يتمثل بالعديد من الصور، كفعل المنكر بعد النهيِ عنه، والإعراض عن المعروف بعد الأمر به، أو فعل الأمر من باب الرياء أمام الناس ليقال عنه فعل كذا وكذا.

ثانياً: أثر عدم الإخلاص على ملقي العلم، من استنتاج الباحث، هي:

1. يدفع نفس المتعلّم إلى الغرور وعدم تقوى الله، وبالتالي التكبر على طلبه للعلم.
2. يؤدي عدم الإخلاص إلى معرفة حقيقة شخصية المتعلّم، فيصبح محتقراً ومكروهاً بين تلاميذه من المتعلّمين.
3. يساهم في التشتت والضياع عن الطريق الصحيح لتلقي العلم وطلبه.

ثالثاً: النماذج الدالة على عدم الإخلاص في السُنَّة النَّبويَّة:

- **الأمر بالمعروف وعدم فعله، والنهي عن المنكر وفعله، وتعلم العلم ليقال عنه عالماً:** وأمثلة ذلك:

1. ما رواه أُسَامَةُ رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله ﷺ، يقول: " يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ [3] فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ [4]،

---

[1] – **يُنظر:** الجرجاني، **كتاب التعريفات**، (ص72).

[2] – **يُنظر:** السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: 911هـ)، **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم**، المحقق: أ. د محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب – القاهرة / مصر، (ط/1)، 1424هـ – 2004 م، (ص 209).

[3] – **فتندلق:** تزلق وتخرج من بطنه، **والأقتاب:** الأمعاء. القرطبي، **اختصار صحيح البخاري وبيان غريبه**، (ج3، ص87).

[4] – **برحاه:** حجر الطاحون التي يديرها. مصطفى البغا، **في تعليقه** على صحيح البخاري في الهامش، بنفس صفحة الحديث.

فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلاَنُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ المُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ"[1].

2. وما رواه أَبِو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عن رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: " إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ ...، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ"[2].

فالتحذير الشديد من النبي صلى الله عليه سلم في الحديثين، لخطورة عدم الإخلاص وترك العمل بالعلم؛ لما له من آثار سلبية في الدنيا، وما يترتب عليه من عذاب في الآخرة، وفي "قوله ﷺ في الغازي، والعالم، والجواد، وعقابهم على فعلهم ذلك لغير الله، وإدخالهم النار دليل على تغليظ تحريم الرياء، وشدة عقوبته، وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ البينة: 5"[3].

فهذا التحذير يدفع النفس إلى تقوى الله والإخلاص في جميع مراحل العملية التعليمية، فالعلم مسؤولية ويجب على من دخل في هذا الإطار أن يكون على قدر المسؤولية، وأن يخلص نيته لله ويتحمل النتائج التي تترتب على كونه طالباً للعلم مهما تنوعت الدراسة واختلف التخصص.

المطلب الرابع: التكلّف في السؤال من غير حاجة:

كره النبي ﷺ التكلف في السؤال من غير حاجة في أمور العلم وغيرها، وشدّد في التحذير من تعمدها، ففهم بعض الصحابة هذا وكانوا يتجنبونه، وهم ليسوا على حدٍّ سواء في ذلك، فكان

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ، بَابُ صِفَةِ النَّارِ، وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ، رقم الحديث (3267)، (ج4، ص121)، وحديث رقم (7098)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، بَابُ عُقُوبَةِ مَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَفْعَلُهُ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَفْعَلُهُ، رقم الحديث (2989)، (ج4، ص2290).

[2] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ مَنْ قَاتَلَ لِلرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ اسْتَحَقَّ النَّارَ، رقم الحديث (1905)، (ج3، ص1513).

[3] – النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج13، ص50).

البعض يقع فيه، فعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ فَقَالَ: "«نُهِينَا عَنِ التَّكَلُّفِ»"[1]، فهذا يدلنا على أن النبي ﷺ كان ينهى عن التكلف وعلَّمَ تلاميذه البعد عنه، وأيضاً "عَنْ وَرَّادٍ، كَاتِبِ المُغِيرَةِ، قَالَ: كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى المُغِيرَةِ: اكْتُبْ إِلَيَّ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ ...، وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَنْهَى عَنْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ... "[2]، فقوله: كان ينهى عن كثرة السؤال: "لأن أصل النهى عن كثرة السؤال والتنطع في المسائل مبين في كتاب الله تعالى في بقرة بنى إسرائيل، أمرهم الله بذبح بقرة فلو ذبحوا أي بقرة كانت لكانوا مؤتمرين غير عاصين"[3].

أولاً: مفهوم التكلّف:

يُعرف التكلف: بأن يحمل الأمر على أن يكلف بالأمر كلفة بالأشياء التي يدعوه إليها طبعه، وقيل: اسم لما يفعله الإنسان بمشقة أو بتصنع أو بتشبع [4].

ثانياً: أثره على المتعلّم:

وأما الآثار التي تعود على المتعلّم إذا تكلّف بعلمه، فاستنتجها الباحث من أحاديث المطلب وتعليقات العلماء عليها، وهي:

1. يشكل مانعاً يحول بين المتعلّم وبين تلقيه للعلم.
2. الخوض فيما لا يعينه مما يؤدي إلى الغموض وعدم الفهم.
3. التشتت والضلال عن المنهج الصحيح للعملية التعلمية.

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ وَتَكَلُّفِ مَا لاَ يَعْنِيهِ، رقم الحديث (7293)، (ج9، ص95).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ قِيلَ وَقَالَ، رقم الحديث (6473)، (ج8، ص100)، وكِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ وَتَكَلُّفِ مَا لاَ يَعْنِيهِ، رقم الحديث (7292)، (ج9، ص95)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْأَقْضِيَةِ، بَابُ النَّهْيِ عَنْ كَثْرَةِ الْمَسَائِلِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ، وَالنَّهْيِ عَنْ مَنْعٍ وَهَاتِ، وَهُوَ الِامْتِنَاعُ مِنْ أَدَاءِ حَقٍّ لَزِمَهُ، أَوْ طَلَبِ مَا لَا يَسْتَحِقُّهُ، رقم الحديث (593)، (ج3، ص1341).

[3] – ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج6، ص531)، و(ج10، ص339).

[4] – **يُنظر**: المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، (ص107).

ثالثاً: النماذج الدالة على التكلّف في السؤال من غير حاجة في السُنَّة النَّبويَّة: منها:

1. **خروج المتعلّم عن الدائرة العلمية المقررة له:** ومثاله ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "لَا يَزَالُ النَّاسُ يَسْأَلُونَكُمْ عَنِ الْعِلْمِ حَتَّى يَقُولُوا: هَذَا اللهُ خَلَقَنَا، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟، وفي روايةٍ أخرى قال: فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ"[1].

نهى النبي ﷺ عن التكلف في السؤال في أمور العلم، وبيّن كيف أن التكلف يصل بطلبة العلم إلى حد السؤال عن أي شيء يخرجه من الدائرة العلمية التي تحيطه، فالنبي ﷺ "أمر الصحابة أن يدفعوا الخواطر بالإعراض عنها، والرد لها من غير استدلال ولا نظر في إبطالها، فهذه الخواطر على قسمين: أما التي ليست بمستقرة ولا اجتلبتها شُبهة طرأت، فهي التي تُدفع بالإعراض عنها، وعلى هذا يُحمل الحديث، وعلى مثلها ينطلق اسم الوسوسة فكأنه لما كان أمراً طارئاً بغير أصل دفع بغير نظر في دليل إذ لا أصل له ينظر فيه، وأما الخواطر المستقرة التي أوجبتها الشبهة فإنها لا تُدفع إلا بالاستدلال والنظر في إبطالها والله أعلم"[2].

2. **الغضب من السؤال لغير حاجة:** وأمثلة ذلك:

- ما رواه أَبِو مُوسَى رضي الله عنه، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَشْيَاءَ كَرِهَهَا، فَلَمَّا أُكْثِرَ عَلَيْهِ غَضِبَ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ: «سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ» قَالَ رَجُلٌ: مَنْ أَبِي؟ قَالَ: «أَبُوكَ حُذَافَةُ» فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: مَنْ أَبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «أَبُوكَ سَالِمٌ مَوْلَى شَيْبَةَ» فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا فِي وَجْهِهِ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَتُوبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ"[3].

---

[1] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ بَيَانِ الْوَسْوَسَةِ فِي الْإِيمَانِ وَمَا يَقُولُهُ مَنْ وَجَدَهَا، رقم الحديث (134-135-136)، (ج1، ص120). والبخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ وَتَكَلُّفِ مَا لاَ يَعْنِيهِ، رقم الحديث (7296)، (ج9، ص96)، وحديث رقم (3276).

[2] – النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج2، ص155).

[3] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ الغَضَبِ فِي المَوْعِظَةِ وَالتَّعْلِيمِ، إِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ، رقم الحديث (92_93)، (ج1، ص30)، وحديث رقم (540)، وحديث رقم (7089)، وحديث رقم (7291_7294) ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ تَوْقِيرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَرْكِ إِكْثَارِ سُؤَالِهِ عَمَّا لَا ضَرُورَةَ إِلَيْهِ، أَوْ لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ تَكْلِيفٌ وَمَا لَا يَقَعُ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، رقم الحديث (2359_2360)، (ج4، ص1832).

- وما رواه زَيْدٌ بْنُ خَالِدٍ الجُهَنِيّ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ اللُّقَطَةِ، فَقَالَ: «اعْرِفْ وِكَاءَهَا [1]، أَوْ قَالَ وِعَاءَهَا، وَعِفَاصَهَا [2]، ثُمَّ عَرِّفْهَا سَنَةً، ثُمَّ اسْتَمْتِعْ بِهَا، فَإِنْ جَاءَ رَبُّهَا فَأَدِّهَا إِلَيْهِ» قَالَ: فَضَالَّةُ الإِبِلِ؟ فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ، أَوْ قَالَ احْمَرَّ وَجْهُهُ، فَقَالَ: «وَمَا لَكَ وَلَهَا، مَعَهَا سِقَاؤُهَا وَحِذَاؤُهَا، تَرِدُ المَاءَ وَتَرْعَى الشَّجَرَ، فَذَرْهَا حَتَّى يَلْقَاهَا رَبُّهَا» قَالَ: فَضَالَّةُ الغَنَمِ؟ قَالَ: «لَكَ، أَوْ لِأَخِيكَ، أَوْ لِلذِّئْبِ»"[3].

نلحظ في كلا الروايتين غضب النبي ﷺ من تكلف بعض الصحابة في العلم، وأنهم أكثروا من السؤال في أمور ليس لها حاجة، حتى أنهم شددوا وتوسعوا في ذلك مما أثار غضبه صلى الله عليه وسلم واحمرَّ وجهه الشريف، وقد جاء في معنى الرواية الأولى عن ابن عباس، قال: كان قوماً يسألون رسول الله ﷺ استهزاءً، فيقول الرجل: من أبي؟ ويقول الرجل يَضل ناقته: أين ناقتي؟ فنزلت هذه الآية: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ} [المائدة: 101] حَتَّى فَرَغَ مِنَ الآيَةِ كُلِّهَا"[4]، فهذا يدلنا إلى أنه لا يجب أن يُسأل العالم إلا فيما يُحتاج إليه"[5].

3. **السكوت لإشعار السائل بتكلفه في السؤال:** ومثاله ما رواه أَبِو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ "، ثُمَّ قَالَ: «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ»"[6].

---

[1] – **الوكاء:** فهو الخيط الذي يشد به الوعاء يقال أو كيته إيكاء فهو موكى بلا همز. النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج12، ص21).

[2] – **العفاص:** وهو الوعاء التي تكون فيه النفقة جلدا كان أو غيره ويطلق أيضا على الجلد الذي يكون على رأس القارورة لأنه كالوعاء له. النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج12، ص21).

[3] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ الغَضَبِ فِي المَوْعِظَةِ وَالتَّعْلِيمِ، إِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ، رقم الحديث (91)، (ج1، ص30)، وحديث رقم (2436)، وحديث رقم (5292)، وحديث رقم (6112) ومسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ اللُّقَطَةِ، (باب/بلا)، رقم الحديث (1722)، (ج3، ص1348).

[4] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: {لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ} [المائدة: 101]، رقم الحديث (4622)، (ج6، ص54).

[5] – ابن بطال، **شرح صحيح البخاري**، (ج1، ص171).

[6] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ فَرْضِ الْحَجِّ مَرَّةً فِي الْعُمُرِ، رقم الحديث (1337)، (ج2، ص975).

يخبر النبي ﷺ في الحديث الصحابة بأن الله قد فرض عليهم الحج، فقال أحدهم: (أَكُلَّ عَامٍ)، فسكت النبي ﷺ حتى كرر هذا الرجل قوله ثلاث مرات، فما كان منه ﷺ إلا أن رد على هذا الرجل جواباً كان بمثابة قاعدة علمية لتلاميذه وطلاب العلم من بعده، حيث أصّلَ للنهي عن التكلف في السؤال من غير حاجة، فالمعلم إذا اقتصر على بعض الكلام وأعرض عن بعض قصداً منه، يجب على الطلاب السمع والطاعة من غير تكلفٍ حتى لا يضعون أنفسهم موضعِ حرجٍ وصعوبة لا يقدرون عليها.

فقوله ﷺ: (ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ)، "أي مدة تركي إياكم بغير أمر بشيء، ولا نهي عن شيء، أي ذروا سؤالي فيما تركته، فإنني لا أترك عن تقصير أو نسيان"[1]، فيؤخذ من ذلك النهي عن كثرة السؤال، لما فيه غالباً من التعنت، وخشية أن تقع الإجابة بأمر يُستثقل كما حصل لبني إسرائيل في أمر ذبح البقرة فلو ذبحوا أي بقرة كانت لامتثلوا ولكنهم شددوا فشدد عليهم [2].

4. **التحريم من أجل السؤال بغير حاجة جرم:** ومثاله ما رواه عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَعْظَمَ المُسْلِمِينَ جُرْمًا، مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ، فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ»"[3].

قصد النبي ﷺ في هذا الحديث أن يبالغ في التحذير من التكلف في السؤال في العلم من غير حاجة، واعتبر أن من سأل عن شيء ليس له فيه حاجة قاصداً التعنت والتنطع، ونزل في ذلك قضاء يُشقُّ فيه على الناس، فقد ارتكب جرماً في حقهم، قال النووي: "هذا الحديث فيمن سأل تكلفاً أو تعنتاً فيما لا حاجة به إليه، فأما من سأل لضرورة بأن وقعت له مسألة فسأل عنها فلا إثم عليه، ولا عتب لقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ النحل: 43"[4].

---

[1] – شاهين، **فتح المنعم شرح صحيح مسلم**، (ج5، ص387).

[2] – **يُنظر:** ابن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (ج13، ص260).

[3] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ وَتَكَلُّفِ مَا لاَ يَعْنِيهِ، رقم الحديث (7289)، (ج9، ص95)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ تَوْقِيرِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَرْكِ إِكْثَارِ سُؤَالِهِ عَمَّا لَا ضَرُورَةَ إِلَيْهِ، أَوْ لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ تَكْلِيفٌ وَمَا لَا يَقَعُ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، رقم الحديث (2358)، (ج4، ص1831).

[4] – النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج15، ص111).

المبحث الثاني

محاذير في التعليم في السُنَّة النَّبويَّة

ينبغي للمعلم وطالب العلم بعد أن شرع في طلبه للعلم وابتدأ في تلقيه عن العلماء أن يتجنب المحاذير التي تشكل خطراً عليه خلال رحلته التعليمية، حيث حذر القرآن من بعض القضايا ككتمان العلم، وجاء النبي ﷺ بعد ذلك، وشدد في التحذير من هذه الأمور في سنته الشريفة وبين خطورتها على طالب العلم، وبيان ذلك كآلاتي:

المطلب الأول: كتمان العلم:

لقد حذّر الله عزّ وجلّ من كتمان العلم وتوعّد من فعل ذلك باللعنة فقال في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ البقرة: 159، "نزلت في كل من كتم شيئا من أحكام الدين لعموم الحكم للكل"[1].

أولاً: مفهوم كتمان العلم:

والكتمان: هو نقيض الإعلان، ويُعرف على أنه السكوت عن المعنى [2].

فكتمان العلم يقتضي إخفاؤه، والسكوت عنه لمن احتاجه، سواء من عامة الناس، أو من طلبة العلم.

ثانياً: أقسام كتمان العلم:

القسم الأول: كتمان العلم بقصد إخفائه على الناس: حيث يُعدُّ من الكبائر؛ لأن فاعله استحق اللعن، والدليل الآية في بداية المطلب، ومما يستأنس به وصية عمر بن عبد العزيز لأبي بكر بن

---

[1] – أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (ج1، ص182).

[2] – **يُنظر:** ابن منظور، **لسان العرب**، (ج12، ص506)، والعسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت: نحو 395هـ)، **معجم الفروق اللغوية**، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، (ط/1)، 1412هـ، (ص447).

حزم، حيث قال له: "وَلْتُفْشُوا العِلْمَ، وَلْتَجْلِسُوا حَتَّى يُعَلَّمَ مَنْ لاَ يَعْلَمُ، فَإِنَّ العِلْمَ لاَ يَهْلِكُ حَتَّى يَكُونَ سِرًّا"[1]، فالشاهد هو قوله: (حتى يكون سراً) أي: "خفية، وأراد به كتمان العلم"[2]، فعمر بن عبد العزيز أشار إلى أن سبب هلاك العلم وضياعه هو كتمانه وإخفاؤه بقصدٍ وتعمدٍ، كما وأشار إلى ضرورة استمرار مجالس العلم؛ لأنها تحدٌّ من كتمان العلم، حيث تعين على نشر العلم وبيانه للجميع.

القسم الثاني: كتمان العلم للمصلحة العلمية: وفيه يكون الكتمان لفترة من الزمن هو المصلحة على القول بالمعلومات، وذلك إما لأخبار تثير الفتنة بقولها، أو أن النبي ﷺ خصَّ بها البعض؛ لمعرفته بأن عقول العامة من تلاميذه ليسوا على قدْر واحد من الإمكانيات، فقد لا تستوعب عقولهم ما يقوله، فيكونَ لبعضهم فتنة، ويُفهم بشكل خاطئ، مع توضيح أن كتمانه لا يكون للأبد.

وينبغي الإشارة إلى أن النماذج التي وردت في السنة النبوية كانت على القسم الثاني، كما سأبين بعد قليل، فلم يُذكر عن أحد من الصحابة بأنه كتم العلم عن غيره متعمداً ومات على ذلك.

ثالثاً: نماذج من كتمان العلم للمصلحة العلمية في السُنَّة النَّبويَّة: منها:

1. **التحديث الكثير والوقوع في معرض الشبهة خيرٌ من كتمان العلم:** ومثاله ما رواه أَبِو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: " إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَلَوْلاَ آيَتَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُ حَدِيثًا، ثُمَّ يَتْلُو {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالهُدَى} [البقرة: 159] إِلَى قَوْلِهِ {الرَّحِيمُ} [البقرة: 160] ..."[3].

وفي الحديث أن أبا هريرة رضي الله عنه، غضب لكثرة قول البعض بأنه أكثر من حديث النبي ﷺ، فكأنهم وضعوه موضع شبهة، فما كان منه إلا أن أجاب بقوله تعالى لكي يدفع الشبهة عن نفسه ويبين التزامه بالمنهج الذي وضعه ربُّ العزة في كتابه والنبي من بعده في سنته، وهي قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ ﴾ البقرة: 159، قال العيني: "والمعنى: لولا أن

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابٌ: كَيْفَ يُقْبَضُ العِلْمُ، حديث الباب (رقم/بلا) (ج1، ص31).

[2] – العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج2، ص129).

[3] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ حِفْظِ العِلْمِ، رقم الحديث (118)، (ج1، ص35).

الله تعالى ذم الكاتمين للعلم لما حدثتكم أصلا، لكن لما كان الكتمان حراماً وجب الإظهار والتبليغ، فلهذا حصل مني الإكثار لكثرة ما عندي منه"[1].

2. **التحديث على فراش الموت خشية من كتمان العلم:** ومثاله ما رواه الْحَسَنِ رحمه الله، قَالَ: عَادَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادٍ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ الْمُزَنِيَّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، قَالَ مَعْقِلٌ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ لِي حَيَاةً مَا حَدَّثْتُكَ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»"[2].

خاف معقل رضي الله عنه في مرض موته من كتمان الحديث الذي خصّه به النبي ﷺ، فقوله لعبيد الله بن زياد: (لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ لِي حَيَاةً مَا حَدَّثْتُكَ): "إما لأنه علم قبل أنه ممن لا ينفعه العظات، كما ظهر منه مع غيره، ثم خرج آخرا من كتمه الحديث ورأى تبليغه لأمر النبي ﷺ أصحابه بالبلاغ، أو لأنه خافه من ذكره مدة حياته لما يهيج عليه ذكر هذا الحديث ويثبته في قلوب الناس من سوء حاله"[3].

3. **الكتمان لخشية الفتنة:** ومثاله ما رواه الصُّنَابِحِيُّ رحمه الله، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: مَهْلًا، لِمَ تَبْكِي؟ فَوَاللهِ لَئِنْ اسْتُشْهِدْتُ لَأَشْهَدَنَّ لَكَ، وَلَئِنْ شُفِّعْتُ لَأَشْفَعَنَّ لَكَ، وَلَئِنْ اسْتَطَعْتُ لَأَنْفَعَنَّكَ، ثُمَّ قَالَ: وَاللهِ مَا مِنْ حَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَكُمْ فِيهِ خَيْرٌ إِلَّا حَدَّثْتُكُمُوهُ، إِلَّا حَدِيثًا وَاحِدًا وَسَوْفَ أُحَدِّثُكُمُوهُ الْيَوْمَ، وَقَدِ اُحِيطَ بِنَفْسِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ»"[4].

---

[1] – العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج2، ص182).

[2] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ اسْتِحْقَاقِ الْوَالِي الْغَاشِّ لِرَعِيَّتِهِ النَّارَ، رقم الحديث (142)، (ج1، ص125).

[3] – القاضي عياض، **إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِمِ**، (ج1، ص447).

[4] – مسلم، **صحيح مسلم**، كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ مَنْ لَقِيَ اللهَ بِالْإِيمَانِ وَهُو غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحُرِّمَ عَلَى النَّارِ، رقم الحديث (29)، (ج1، ص57).

=ومثله الأحاديث التي أوردها البخاري في (بابُ مَنْ خَصَّ بِالعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ، كَرَاهِيَةَ أَنْ لاَ يَفْهَمُوا)، (ج1، ص38)، وحديث عثمان في البخاري أيضاً في (بَابُ: الوُضُوءُ ثَلاَثًا ثَلاَثًا)، حديث رقم (160)، (ج1، ص43).

فقوله: (ما من حديث لكم فيه خير إلا حدثتكموه): "دليل على أنه كتم ما خشي عليهم المضي فيه والفتنة مما لا يحتمله كل أحد، وذلك فيما ليس بحجة عمل، ولا فيه حد من حدود الشريعة، ومثل هذا عن الصحابة كثير من ترك الحديث مما ليس بحجة عمل ولا تدعو إليه ضرورة، أو لا تحمله عقول الكافة، أو خُشِيتْ مضرته على قائله أو سامعه، لا سيما مما تعلق بأخبار المنافقين، والإمارة، وتعيين أقوام وصفوا بأوصاف غير مُستحسنة وذم آخرين ولعنهم"[1].

ففي هذه الأحاديث دلالة واضحة على أن كتمان العلم لفترة معينة كان لمصلحة، فكثير من الأحاديث التي ذكرها النبي ﷺ تدخل تحت هذا المضمون، كتخصيص بعض الصحابة بالعلم دون بعض، وحرصهم على كتمانه إلى فترة من الزمن، وقولها قبل موتهم؛ لأنها تحمل في ثناياها من الأخبار التي إذا ما نُشرت أدت إلى الفتنة، وأنها من الأخبار التي لا تتحملها عقول العامة من الناس، وأنها تتعلق بما يخص المنافقين وتحديدهم ولعنهم.

ففي كتمان هذه المعلومات حين صدورها من النبي ﷺ مصلحةٌ أكثر من التصريح بها وقولها أمام عامة الناس، إلّا أن الصحابة صرحوا بذلك عندما زالت هذه المصلحة وخافوا أن يكونوا ممن كتموا العلم.

المطلب الثاني: القول بغير علم:

لقد حذر النبي ﷺ تلاميذه من القول بغير علم، وشدد في ذلك لأنه من علامات الساعة، فجاء في الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "«إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»"[2]، فقول العالم برأيه في العلم من غير معرفة ولا دراية هو ضلال، ضلالٌ لصاحبه وضلالٌ لمن حوله ممن يستمعون له.

---

[1] – القاضي عياض، **إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم**، (ج1، ص259).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ العِلْمِ، بَابٌ: كَيْفَ يُقْبَضُ العِلْمُ، رقم الحديث (100)، (ج1، ص31)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الْعِلْمِ، بَابُ رَفْعِ الْعِلْمِ وَقَبْضِهِ وَظُهُورِ الْجَهْلِ وَالْفِتَنِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، رقم الحديث (2673)، (ج4، ص2058).

وقد تعلّم تلاميذ النبي ﷺ ورضي الله عنهم منه هذه القاعدة وطبقوها، حيث ورد عنهم في ذلك عَنْ أَبِي عَقِيلٍ، أَنَّ أَبْنَاءَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، سَأَلُوهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ فِيهِ عِلْمٌ، فَقَالَ لَهُ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ: وَاللهِ إِنِّي لَأُعْظِمُ أَنْ يَكُونَ مِثْلُكَ، وَأَنْتَ ابْنُ إِمَامَيِ الْهُدَى -يَعْنِي عُمَرَ، وَابْنَ عُمَرَ -تُسْأَلُ عَنْ أَمْرٍ لَيْسَ عِنْدَكَ فِيهِ عِلْمٌ، فَقَالَ: «أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَاللهِ عِنْدَ اللهِ، وَعِنْدَ مَنْ عَقَلَ عَنِ اللهِ، أَنْ أَقُولَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، أَوْ أُخْبِرَ عَنْ غَيْرِ ثِقَةٍ» [1].

ففي الرواية أن يحيى بن سعيد عاب على عبد الله عدم معرفته مسألة في العلم طُرحت عليه، بقوله: (لَيْسَ عِنْدَكَ فِيهِ عِلْمٌ)، أي: إني لأَعُدُّ وأحْسبُ عَيبًا وعارًا قبيحًا أنْ يكونَ مثْلُك مسؤولًا عن أمرٍ ليس عنده فيه علْمٌ فتجهل؛ فرد عليه أن أشد من هذا العار والعيب هو قوله: (أَنْ أَقُولَ بِغَيْرِ عِلْمٍ)، أي: أَعْظَمُ من ذلك الذي قُلْتَ عقوبةً عند الله تعالى وأشَد عارًا عندَ مَنْ عَقَل عن الله تعالى قولي وجوابي عن ذلك الأمر الذي سُئلْتُ عنه بغير شبهة علْم ولا مُسْتَنَد دليل [2].

النماذج الدالة على القول بغير علم في السُنَّة النَّبويَّة:

1. **عدم القطع بالمعلومة ما لم يكن هنالك دليل صحيح يُثبت ذلك:** وأمثلة ذلك:

- ما رواه قَيْسُ بْنُ عُبَادٍ رحمه الله، قال: كُنْتُ فِي حَلْقَةٍ فِيهَا سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ وَابْنُ عُمَرَ، فَمَرَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ، فَقَالُوا: هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ قَالُوا كَذَا وَكَذَا، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَقُولُوا مَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ، ..."[3].

فقوله: (مَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَقُولُوا مَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ)، يُعدُ تأصيلاً لقاعدة علمية ثابتة، تؤدي بنا إلى عدم القطع بالخبر والمعلومة ما لم يكن هنالك دليل ثابت وقاطع في المسألة؛ لأن في ذلك نوعٌ من ادّعاء المعرفة ولو بغير قصد، قال القاضي عياض: "وقول عبد الله بن سلام: (ما

---

[1] – مسلم، **صحيح مسلم**، مقدمة الإمام مسلم رحمه الله، بَابُ الْكَشْفِ عَنْ مَعَايِبِ رُوَاةِ الْحَدِيثِ وَنَقَلَةِ الْأَخْبَارِ وَقَوْلُ الْأَئِمَّةِ فِي ذَلِكَ، حديث الباب (رقم/بلا) (ج1، ص16).

[2] – **يُنظر:** الأُرَمي، **الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم**، (ج1، ص278).

[3] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ التَّعْبِيرِ، بَابُ الخُضَرِ فِي المَنَامِ، وَالرَّوْضَةِ الخَضْرَاءِ، رقم الحديث (7010)، (ج9، ص36)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رقم الحديث (2484)، (ج4، ص1934).

كان ينبغي لهم أن يقولوا ما ليس لهم به علم): على طريق التواضع وكراهة الشهرة، أو لقطعهم على ذلك من جهة الدليل لا من جهة النص"[1].

- وما روته أُمُّ العَلاَءِ رضي الله عنها، قالت: سَكَنَ عِنْدَنَا عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، فَاشْتَكَى، فَمَرَّضْنَاهُ حَتَّى إِذَا تُوُفِّيَ وَجَعَلْنَاهُ فِي ثِيَابِهِ، دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ، فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللَّهَ أَكْرَمَهُ؟»، فَقُلْتُ: لاَ أَدْرِي بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا عُثْمَانُ فَقَدْ جَاءَهُ وَاللَّهِ اليَقِينُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الخَيْرَ، وَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ مَا يُفْعَلُ بِهِ»، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ لاَ أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا، وَأَحْزَنَنِي ذَلِكَ، قَالَتْ: فَنِمْتُ، فَأُرِيتُ لِعُثْمَانَ عَيْنًا تَجْرِي، فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «ذَاكِ عَمَلُهُ»"[2].

فقوله ﷺ: (وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللَّهَ أَكْرَمَهُ؟)، فكأن النبي ﷺ عاب على أم العلاء قطعها بشهادتها وقولها من غير علمٍ ولا دليلٍ، قال العيني: "أنكر على أم العلاء قطعها على عثمان إذ لم تعلم هي من أمره شيئا"[3]، ففي هذا تحذير من النبي ﷺ لطلبة العلم بعدم القول في المسألة بغير علم، والقطع والتأكيد عليها من غير دليل يُثبت ذلك، خاصة فيما تعلق بأمر غيبي.

وأما ما كان منه ﷺ فهو يختلف عن غيره من المعلمين؛ لأنه نبيٌ مرسل يُوحى إليه من الله عزّ وجلّ عن طريق الوحي جبريل عليه السلام، قال سبحانه: "وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى" (النجم/آية3-4).

2. **لا حاجة للقول في العلم من غير علمٍ ومعرفة:** ومثاله ما رواه مَسْرُوق رحمه الله، قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عَلِمَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ

---

[1] – القاضي عياض، **إِكمَالُ المُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِم**، (ج7، ص521).

[2] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ الشَّهَادَاتِ، بَابُ القُرْعَةِ فِي المُشْكِلاَتِ، رقم الحديث(2687)، (ج1، ص181)، وحديث رقم (3929)، وحديث رقم (7003).

[3] – العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (ج8، ص16).

فَلْيَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ مِنَ العِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لاَ يَعْلَمُ اللَّهُ أَعْلَمُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ ﷺ: {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ المُتَكَلِّفِينَ} (ص/آية86) ..."[1].

في قول ابن مسعود إرشاد منه بأن من علِم شيئاً في مسألةٍ ما فليُجِبْ، ومن لم يعلم شيء فليَقُلْ لا أعلم، فهنا كأنه يقول ليس هنالك حاجة في القول بغير علمٍ ومحاولة الإجابة على ما لم يعرف ويدعي العلم والمعرفة فيما لا يحيط به، وهذا يتناسب مع الآية التي جاءت في الحديث حيث قال الزمخشري فيها: "وما أنا من المتكلفين من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من أهله، وما عرفتموني قط متصنعا ولا مدعيا ما ليس عندي"[2].

فالتكلّف جزء من ادعاء المعرفة خاصة إذا كان صاحبها لا يمتلك العلم الكافي للإجابة عمّا عُرض عليه، فتفسير الزمخشري للآية يوضح أن محاولة التّصنّع والتكلّف للطالب بما لا يملك من العلم ما هي إلّا ادعاء وقول بغير علم ليس له حاجة، ولا يعود على صاحبه إلّا بالضرر والخلل في نيته تجاه علمه ودراسته.

المطلب الثالث: تعليم كلّ ما سُمِعَ من العلم:

لقد عدَّ الصحابة أن قول الطالب كل ما سمعه من العلم هو من محاذير وموانع عملية التعليم، وأنها من الأمور التي تُعاب على طالب العلم، وتقدح في علم العالم ومنزلته بين تلاميذه؛ وذلك لأن طلاب العلم ليسوا على قدْرٍ واحدٍ من الإمكانيات والمستوى العقلي بل هم متفاوتون، وما يقالُ أمام أذكيائهم لا يُقالُ أمامُ عوامهم؛ وذلك لأن ما لا يبلغه العقل يكون لصاحبه فتنة، وينبغي الإشارة إلى أن هذه القضية نسبية؛ لأنها تعود إلى طبيعة المتعلّمين والحال التي يكونوا عليها حيث تُقال أمامهم المسائل العلمية مع مراعاة طبيعة المسائل هذه المسائل ومدى صعوبتها.

---

[1] – البخاري، **صحيح البخاري**، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: {وَمَا أَنَا مِنَ المُتَكَلِّفِينَ} [ص: 86]، رقم الحديث(4809)، (ج6، ص124)، وحديث رقم (4774)، وحديث رقم (4822)، وحديث رقم (4824)، ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابُ الدُّخَانِ، رقم الحديث (2792)، (ج4، ص2155).

[2] – الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (ج4، ص109).

وأما النماذج الدالة على التحذير من تعليم كل ما سمع من العلم في السُنَّة النَّبويَّة:

- **وصية الصحابة والتابعين لبعضهم بعدم التحديث بكل ما سمعه المرء خشية الوقوع في الخطأ، ولمراعاة القدرات المتفاوتة عند المتعلّمين:** وأمثلة ذلك:

1.ما رواه أَبو عُثْمَانَ النَّهْدِيُّ رحمه الله، قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: «بِحَسْبِ الْمَرْءِ مِنَ الْكَذِبِ أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»"[1].

2.وما قاله مَالِكٌ رحمه الله: «اعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ يَسْلَمُ رَجُلٌ حَدَّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ، وَلَا يَكُونُ إِمَامًا أَبَدًا وَهُوَ يُحَدِّثُ بِكُلِّ مَا سَمِعَ، وفي رواية أخرى حَتَّى يُمْسِكَ عَنْ بَعْضِ مَا سَمِعَ»"[2].

وأما الحكمة من النهي عن التحديث والقول بكل ما علمه وسمعه طالب العلم، إنما هي خشية وقعه بالكذب والخطأ سواء متعمداً قاصداً ذلك أو بغير قصد، وذلك لعدة أمور أهمها أن بعض المسائل قد لا تُفهم لجميع طلاب العلم فتكون لهم فتنةَ وضلال، لقول عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ: "«مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْماً حَدِيثاً لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً»"[3].

فقوله (بحسب المرء من الكذب) "فيه من الزجر عن التحديث بكل ما سمع الإنسان فإنه يسمع في العادة الصدق والكذب فإذا حدث بكل ما سمع فقد كذب لإخباره بما لم يكن، وأما قوله: (ولا يكون إماما وهو يحدث بكل ما سمع) فمعناه إنّ حدّثَ بكل ما سمع كَثُرُ الخطأ في روايته فَتُرك الاعتماد عليه والأخذ عنه"[4].

---

[1] – مسلم، **صحيح مسلم** مقدمة الإمام مسلم رحمه الله، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْحَدِيثِ بِكُلِّ مَا سَمِعَ، حديث رقم (5)، (ج1، ص11).

[2] – **المرجع السابق**، مقدمة الإمام مسلم رحمه الله، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْحَدِيثِ بِكُلِّ مَا سَمِعَ، (رقم/بلا)، (ج1، ص11).

[3] – **المرجع السابق**، مقدمة الإمام مسلم رحمه الله، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْحَدِيثِ بِكُلِّ مَا سَمِعَ، (رقم/بلا)، (ج1، ص11).

[4] – النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (ج1، ص75).

فالكلام منه الحق والباطل، ومنه الصدق والكذب، فمن نُقل عنه ما حدث به من ذلك، فكان من جملة ما يروى عنه من الكذب، صار كاذباً لروايته إياه، وإن لم يتعمده، ولا عرف أنه كذب[1].

وأما أهم آثار هذه المحاذير على عناصر العملية التعليمية من المعلم والمتعلّم، التي يمكن استنتاجها من هذا المبحث، فهي:

1. ضعف التحصيل الدراسي لدى المتعلّمين، لاجتماع الأمور المانعة من ذلك ككتمان العلم، والقول في المسائلة العلمية من غير دراية ومعرفة فيها.

2. عدم مراعاة المعلم للقدرات المختلفة والمتفاوتة التي يمتلكها طلبته، لعدم وجود تصور كافٍ عن الحال التي يكونون عليها.

3. ضياع العلم وهلاكه بكتمانه عمّن يكون أهلاً لحامله، أو قوله لمن لا يُحسن التصرف به وصيانته.

[1] – **يُنظر:** القاضي عياض، **إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم**، (ج1، ص114).

الخاتمة:

وفيها أهمّ النتائج والتوصيات:

أولاً: أهمّ النتائج:

1. التأصيل العلميّ لتعليم العلم وتلقّيه من المتعلمين، إنما يبدأ من القرآن الكريم، ثم من المنهج النبوي فهما درة هذه الأمة، ورسولنا ﷺ معلمنا الأول.
2. اقتداء الصحابة بالنبي ﷺ لتوفر جميع الخصال والمؤهلات العلمية والتعليميّة في شخصه.
3. حلّ الكثير من الأزمات التي تتعرض لها العملية التعليمية، لا يكون إلا بالرجوع للمنهج النبوي في شتى مجالاته، مع مراعاة تعلمه وفهمه بالطريقة الصحيحة.
4. استخدام النبيّ ﷺ وسائل مختلفة في تلقّي العلم تناسب الظرف والبيئة التي كان عليها الصحابة.
5. ملازمة العلماء، وكتابة العلم، والتركيز على العلم النافع، ومتابعة تطوّره، من الأُسس الهامة التي من شأنها أن تُخرج لنا طلبة متميزين في العلم.
6. استخدم النبيّ صلي الله عليه وسلم أسساً ووسائل مختلفة في التعليم تناسب القدرات الاستيعابية، والإمكانيات العقلية لصحابته الكرام.
7. الصبر، والأمانة العلمية، والذكاء، وحلّ الإشكالات العلمية، من الصفات التي إذا ما تحلى بها طالب العلم كان على قدرٍ عالٍ من المعرفة والدراية العلمية في تخصصه.
8. هنالك ارتباط وثيق بين تميّز المتعّلم في علمه، وبين فهمه للمنهج النبوي بالطريقة الصحيحة من حيث معرفة أسسه ووسائله وعمّن يتلقى العلم.
9. عدم العمل بالعلم، والتكلّف في السؤال من غير حاجة، وكتمان العلم، والقول بغير علم، كلها محاذير في العلم والتعليم تعود إلى انتفاء الإخلاص الذي هو رأس المرض.

10. السُنَّة النَّبويَّة مصدر ثرِيٌّ للأمة الإسلاميّة، وليس ذلك في الناحية التشريعية فقط، بل هي مصدر لإرشاد الفكر، وتوجيه السلوك.

ثانياً: أهم التوصيات:

1. عودة الأمة إلى تعلّم المنهج النبويّ لحاجة أفرادها ومؤسستها التعليميّة إلى هذا المنهج لا سيّما التعليمي منه نظراً؛ لِما فيه من الكمال.
2. ينبغي الاهتمام بالمنهج النبوي لإعادة شخصية المعلم كما اتصف بها النبي ﷺ، والصحابة كمتعلّمين، التي غُيبت في شخصية المعلّمين والمتعلّمين في أيامنا هذه.
3. التمسك بالمنهج النبويّ في التعلّم والتعليم؛ لأنه البوابة الكبرى لنهضة هذه الأمة واستعادة مجدها.
4. الاقتداء بالنبيّ ﷺ في حرصه على تثبيت العلم وغرسه في نفوس الصحابة.
5. الابتعاد عن كل ما يحول بين المتعلّم في طلبه للعلم وبين العملية التعليمية، من محاذير مؤثرة في العلم والتعليم.
6. الكتابة في مواضع تتعلق بجوانب فكرية، وسلوكية في السنة، مثل:

أ. السنّة والسلوك الحضاريّ.

ب. السنّة والبناء الحضاريّ.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- الأُرَمي، محمد الأمين بن عبد الله العَلَوي الهَرَري الشافعي، **الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم (المسمَّى: الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج)**، مراجعة: لجنة من العلماء برئاسة البرفسور هاشم محمد علي مهدي، المستشار برابطة العالم الإسلامي – مكة المكرمة، دار المنهاج – دار طوق النجاة، (ط/1، 1430 هـ – 2009 م).

- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، (ت:256هـ)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، (ط/1، 1422هـ).

- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله (ت: 256هـ)، **التاريخ الكبير**، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، (ط/بلا)..

- بدر الدين، أميمة ، **التكرار في الحديث النبوي الشريف**، مجلة جامعة دمشق (المجلد 26 العدد الأول والثاني 2010).

- ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: 449هـ)، **شرح صحيح البخاري**، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، (ط/2، 1423هـ – 2003م).

- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت: 816هـ)، **كتاب التعريفات**، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، (ط/1 1403هـ–1983م).

- الجروي، أحمد بن محمد بن منصور بن القاسم بن مختار القاضي، أبو العباس ناصر الدين ابن المنير الجذامي الإسكندراني (ت: 683هـ)، **المتواري على تراجم أبواب البخاري**، المحقق: صلاح الدين مقبول أحمد، مكتبة المعلا – الكويت، (ط/بلا).
- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني (ت: 852هـ)، **لسان الميزان**، المحقق: دائرة المعرف النظامية – الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان، (ط/2)، 1390هـ /1971م.
- _، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة –بيروت، 1379، تحقيق وتدقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، وعبد العزيز بن عبد الله بن باز.
- الحدري، خليل بن عبد الله بن عبد الرحمن، **التربية الوقائية في الإسلام ومدى استفادة المدرسة الثانوية منها**، مكتبة الملك فهد الوطنية، جامعة أم القرى، (ط/1)1418هـ.
- الحكيم الترمذي، أبو عبد الله محمد بن علي، **الأمثال من الكتاب والسنة**، تحقيق وتعليق: الدكتور السيد الجميلي، دار ابن زيدون بيروت لبنان، ودار أسامة دمشق سوريا، (ط/2) 1407هـ-1987م.
- الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد (ت 388 هـ)، **أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)**، المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، (ط/1)،1409 هـ - 1988 م.
- _، **معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود**، المطبعة العلمية – حلب، (ط/1 1351 هـ - 1932م).
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت: 463هـ)، **الرحلة في طلب الحديث**، المحقق: نور الدين عتر، دار الكتب العلمية – بيروت، (ط/1، 1395).

- دبابش، منال موسى علي، **منهج الرسول ﷺ في التربية من خلال السيرة النبوية**، درجة الماجستير في أصول التربية، في الجامعة الإسلامية في غزة ، 2008م.

- دروزة، محمد عزت، **التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]**، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، (ط/ 1383هـ).

- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين خطيب الري (ت: 606هـ)، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ط/3 – 1420هـ).

- الراغب الأصفهانى، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف (ت: 502هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، (ط/1) – 1412هـ.

- الرامهرمزي، أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الفارسي (ت: 360هـ)، **المحدث الفاصل بين الراوي والواعي**، المحقق: د. محمد عجاج الخطيب، دار الفكر –بيروت، (ط/3، 1404).

- الزَّبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، (ت: 1205هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (ط/بلا).

- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت: 538هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي – بيروت، (ط/3 – 1407هـ).

- زيتون، الدكتور كمال عبد الحميد، **التدريس نماذجه ومهاراته**، عالم الكتب القاهرة، (ط/1، 2003م).

- أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: 982هـ)، **تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ط/بلا).
- السنيكي، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى (ت: 926هـ)، **الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة**، المحقق: مازن المبارك، دار الفكر المعاصر – بيروت، (ط/1، 1411).
- سهام سديرة، **بنية الزمان والمكان في قصص الحديث النبوي الشريف**، رسالة ماجستير في الأدب العربي، جامعة منتوري قسنطينة في الجزائر، 2006م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: 911هـ)، **الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج**، حقق أصله، وعلق عليه: أبو اسحق الحويني الأثري، دار ابن عفان للنشر والتوزيع –المملكة العربية السعودية – الخبر، (ط/1، 1416هـ–1996م).
- السيوطي، (ت: 911هـ)، **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم**، المحقق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب – القاهرة / مصر، (ط/1)، 1424هـ–2004م.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (ت: 1393هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت –لبنان، (ط/3) 1400هـ–1980م.
- قاسم، الشيخ حمزة محمد، **منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري**، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق – الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف –المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1410هـ–1990م، (ط/بلا).

- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (ت: 1393هـ)، **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: 1984هـ، (ط/بلا).

- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم النمري القرطبي (ت: 463هـ)، **جامع بيان العلم وفضله**، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، (ط/1، 1414هـ-1994م).

- عبد المجيد، دكتور محمود عبد المجيد، **نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث**، مكتبة الصديق الطائف، (ط/2، 1413هـ-1992م).

- عتر، الدكتور نور الدين، **منهج النقد في علوم الحديث**، دار الفكر، دمشق – سورية، (ط/3، 1401هـ-1981م).

- ابن حميد، صالح بن عبد الله إمام وخطيب الحرم المكي، عدد من المختصين، **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ**، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، (ط/4).

- أبو عرّاد، د. صالح بن علي الشهري، **مقدمة في التربية الإسلامية**، الدار الصوتية للنشر والتوزيع -الرياض، (ط/1، 1424هـ-2003م).

- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت: نحو 395هـ)، **معجم الفروق اللغوية**، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، (ط/1)، 1412هـ.

- علي علي صبح، **التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف**، المكتبة الأزهرية للتراث، (ط/1: 1423هـ- 2002م).

- العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين (ت: 855هـ)، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ط/بلا).

- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت: 505هـ)، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة – بيروت، (ط/بلا).

- الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: 393هـ)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، (ط/4، 1407هـ-1987م).

- ابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: 1399هـ-1979م، (ط/بلا).

- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت: 170هـ)، **كتاب العين**، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (ط/بلا).

- عياض، القاضي عياض بن موسى بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت: 544هـ)، **شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم**، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، (ط/1، 1419هـ- 1998م).

- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت: 276هـ)، **تأويل مختلف الحديث**، المكتب الاسلامي -مؤسسة الإشراق، (ط/2-مزيده ومنقحة 1419هـ-1999م).

- القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم (578-656هـ)، **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميستو -أحمد محمد

السيد – يوسف علي بديوي – محمود إبراهيم بزال (دار ابن كثير، دمشق – بيروت)، (دار الكلم الطيب، دمشق – بيروت)، (ط/1، 1417هـ- 1996م).

- القرطبي، (578 هـ – 656 هـ)، **اختصار صحيح البخاري وبيان غريبه**، المحقق: رفعت فوزي عبد المطلب، دار النوادر، دمشق – سوريا، (ط/1، 1435هـ-2014م).

- القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت: 923هـ)، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، (ط/7، 1323هـ).

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، (ط/2، 1420هـ-1999م).

- الكرماني، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين (ت: 786هـ)، **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، (ط/1: 1356هـ- 1937م، ط/2: 1401هـ-1981م).

- الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، أبو البقاء الحنفي (ت: 1094هـ)، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، (ط/بلا).

- مصطفى، إبراهيم، وآخرون، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، **المعجم الوسيط**، دار الدعوة، (ط/بلا).

- أبو النصر، محمد، **أساليب نبوية في التربية والتعليم**، تمثل هذه الدراسة الكتاب الأول للباحث في سلسلة تطوير الكوادر التعليمية، الطبعة السادسة سنة 1436هـ، حيث يمثل كاتبها عضو المكتب العلمي في تجمع دعاة الشام.

- حسين، محمد إلياس، **الوسائل التعليمية التي استخدمها الرسول ﷺ: دراسة تحليلية،** مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور–باكستان، العدد الخامس والعشرون، 2018م.
- قلعجي، محمد رواس، وقنيبي، حامد صادق، **معجم لغة الفقهاء**، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، (ط/2)، 1408هـ–1988م.
- قطب، محمد، **منهج التربية الإسلامية**، دار الشروق–القاهرة، (ط/11) 1408هـ–1988م.
- مسلم، بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ط/بلا).
- المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم القاهري (ت: 1031هـ)، **التوقيف على مهمات التعاريف**، عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت–القاهرة، (ط/1، 1410هـ–1990م).
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: 711هـ)، **لسان العرب**، دار صادر – بيروت، (ط/3– 1414هـ).
- النحلاوي، عبد الرحمن، **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع**، دار الفكر، (ط/25، 1428هـ–2007م).
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت: 676هـ)، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ط/2، 1392).
- النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (ت: 850هـ)، **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية –بيروت، (ط/1–1416هـ).

- الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري، أبو منصور (ت: 370هـ)، **الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي**، المحقق: مسعد عبد الحميد السعدني، دار الطلائع، (ط/بلا).

- الهروي، (ت: 370هـ)، **تهذيب اللغة**، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ط/1، 2001م).

- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، الشافعي (ت: 468هـ)، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت، (ط/1، 1415هـ).

المواقع الالكترونية:

- موقع إسلام ويب، **اسم المقال: استخدام النبي ﷺ الوسائل التعليمية**، تقديم: عمر عبيد حسنه، تاريخ وسنة النشر (بلا)،

https://library.islamweb.net/newlibrary/display_umma.php?lang=&Ba
. bId=4&ChapterId=4&BookId=277&CatId=201&startno=0

- موقع إسلام ويب، اسم المقال: **التعليم النبوي بالسؤال**، نشر في (2015/9/13)،

tp://articles.islamweb.net/Media/index.php?page=article&lang=A&id
.=202105

- موقع مفهوم، موضوع: **ما الآيات والأحاديث التي تحث على طلب العلم؟**،

https://mafhome.com

- البياتي، حسين عبيد جبر، **الوسائل التعليمية التعلّمية**، شبكة جامعة بابل (محاضرة مسجلة)، تاريخ النشر: 2014/2/4،

http://www.uobabylon.edu.iq/uobcoleges/lecture.aspx?fid=13&depid=1&lcid=38643،

- مجلة رجيم، اسم المقال: **تعريف لغة الإشارة**، إعداد: نورا الحمود، نشر في 2019/7/30، الرابط (https://www.rjeem.com).

- المنتدى الرسمي للشيخ الدكتور محمد العريفي، أسم الموضوع: **مهارة السؤال**، تاريخ النشر:2019/7/29م، الرابط

(http://www.3refe.com/vb/showthread.php?t=227278).

- شبكة فلسطين اليوم، اسم المقال: **الخجل مشكلة تربوية... نهايتها ضعفٌ في التحصيل الدراسي كتابة البيان الإمارتية**، تاريخ النشر: الإثنين 30 ديسمبر 2013 05:22 م، (http://paltoday.tv/post).

- شبكة موضوع، بواسطة غادة الحلايقة –آخر تحديث: ٢٠:٤٣، ٢٣ يوليو ٢٠١٨، اسم المقال: **تعريف العصف الذهني**، (https://mawdoo3.com).

An- Najah National University
Faculty of Graduates Studies

The Standards of Receiving and Teaching Science in the light of "Sunnah" "Objective study"

By
Abdel-Rahman Mohamed Tarman

Supervised by
Dr. Muhammad Ragheb Al-Ghitan

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master Fundamentals of Islamic Law (Usol Al-Din) Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus, Palestine.

2019

The Standards of Receiving and Teaching Science in the light of "Sunnah"
"Objective study"

By
Abdel-Rahman Mohamed Tarman
Supervised By
Dr. Muhammad Ragheb Al-Ghitan

Abstract

The study aims to explain the approach of the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him) in his teaching of the companions (Sahaabah) (may Allaah be pleased with them) and instilling the rules and principles of science and education deeply in their souls, followed by the inductive and analytical approaches.

The study consisted of an introductory chapter, three chapters, and the epilogue. In the introductory chapter, I talked about the perception of knowledge and its fields linguistically and contextually, in addition to an overview of science in the Qur'an and the Sunnah, then I mentioned the fields of science in terms of the knowledge of life and religion, and knowledge of evil and good.

It was then followed by the first chapter, which represented the means of receiving the knowledge derived from the words and actions of the Prophet (PBUH), such as sitting with scientists, the journey of seeking knowledge, correspondence, rotation and power of attorney. It also described the basic characteristics of the learners, such as asking for knowledge, his study, his caring, his own criticism. after this

indigenization, I talked about the most important bases that differentiate learners like attendance, writing, concentrating on good knowledge and following its development.

The second chapter deals with the importance of science, and then mentions the educational bases of the prophetic method, such as choosing the right time, brainstorming, observing and taking into account the differences and abilities of the learners. Also, it talks about the most important means of education used by the Prophet with his students (peace and blessings of Allaah be upon him) to show them science and knowledge, such as repeating the speech, asking a question and scientific application, then I conclude the chapter by defining who is worthy of providing science I mention the most important qualities the scientist must have, such as patience, intelligence, scientific honesty, praise the students and solve scientific problems.

The third chapter highlights the most important caveats that face the student while receiving and seeking knowledge, such as shyness, forgetfulness, dishonesty, and avoiding asking unnecessary questions, and then I mention the caveats that apply to education, such as hiding knowledge, saying things without knowledge, teaching whatever has been received from science and knowledge.

The results of the study were:

1. Indigenization of the subjects of knowledge and teaching by the prophet (PBUH) in his Sunnah through teaching his companions and applying it with them.

2. A prophetic approach is an integrated approach in terms of taking and teaching knowledge. It begins with stressing on the importance of knowledge and teaching in Prophet Sunnah. The bases of this approach are the Holy Qur'an that was sent down to the prophet (PBUH) and was understood and applied by him.

3. The greatness and professionalism of the companions of the prophet result from their observation of the Prophet (PBUH) and their attempt to emulate his character in all spheres and aspects of life.

So the study is called the bases of receiving and teaching knowledge in the light of Prophet Sunnah " objective study".